PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 023488370

2274
.36264
.389

2274.36264.389
al-Rawi
Tarikh al-dawlah al-'Arabiyah

ISSUED TO

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

DUE JUN 15, 1994

تاريخ
الدولة العربية
خلافة الراشدين والأمويين

تأليف
ثابت اسماعيل الراوي

الطبعة الاولى

ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه

مطبعة الارشاد ـ بغداد
١٩٧٠

al-Rāwī, Thābit Ismā'īl

تاريخ
الدولة العربية

خلافة الراشدين والأمويين

Tarikh al-dawlah
al-'Arabiyah

تأليف

ثابت اسماعيل الراوي

مطبعة الارشاد ـ بغداد

١٩٧٠

2274
.36264
.389

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين الذي دعا بدعوة الحق والايمان دعوة الاسلام بلسان عربي مبين فابان للعرب في رحاب الجزيرة العربية سبل الهداية والرشاد وجمعهم على كلمة واحدة ان لا اله الا الله محمد رسول الله .

كانت دعوة الاسلام للناس اجمعين فلما اسلم العرب وهم المقصودون اولاً بهذه الدعوة اتجه الرسول (ص) الى الامم الاخرى يدعوهم الى الاسلام ليظهر هذا الدين على الدين كله ولو كره المشركون لكن المنية عاجلته فتوفى في السنة الحادية عشرة للهجرة .

واجه المسلمون موقفاً خطيرا ذلك ان الرسول الكريم (ص) لم يعهد لاحد من اصحابه بقيادة هذه الامة الجديدة الا انهم استطاعوا ان يتخطوها فاختاروا ابا بكر ليكون اول خلفاء المسلمين ليقودهم في الطريق الذي بدأه الرسول (ص) .

كما واجه المسلمون حركة خطيرة هي حركة الردة اذ ان قبائل العرب سرعان ما عادت الى ماضيها وقطعت صلتها بالخليفة الجديد لكن صلابة ابى بكر وثقة المسلمين بالنصر نجحت في اعادة هذه القبائل الى حظيرة الاسلام فاجتمع العرب لاول مرة في تأريخهم في وحدة دينية ووحدة قومية ساعدتهم على الانطلاق لدك معاقل الفرس والروم .

ثم ما لبث أبو بكر ان توفى بعد سنتين من توليه امر الخلافة تسلم بعده عمر بن الخطاب قيادة هذه الامة فسار في الطريق نفسه الذي بدأه ابو بكر

11-12-75 1985

فالحق الجيوش بالجيوش فقضى على الدولة الساسانية وهوى عرش فارس ولاحقت جيوش المسلمين فلول الروم المنهزمة وتحرر العراق والشام ومصر من الحكم الاجنبي •

وضعت هذه الانتصارات الاسس الاولى لاول امبراطورية عربية اسلامية كما وضع عمر بن الخطاب (ر) اسس ادارتها وتنظيمها ليضمن ربط هذه الاجزاء بالعاصمة المدينة المنورة • هذه الانتصارات الرائعة التي قل نظيرها في تاريخ الامم لسرعتها الخاطفة اوجدت لها أعداء اولئك الذين غلبوا على امرهم فلما استفاقوا من هول الصدمة عولوا على الانتقام من هذه الامة ودينها الحنيف فقتل عمر بن الخطاب بايدى اعجميه فارسية •

لم تقف مؤامرات الاعاجم عند هذا الحد بل وجهوا همهم الى تفتيت وحدة العرب المسلمين مستغلين وضع الخليفة عثمان بن عفان (ر) ومن التف حوله من ذوى قرباه فكانت الفتنة فقتل عثمان بن عفان (ر) •

تولى الخلافة على بن ابي طالب (ر) الذي واجه حرباً اهلية فثار عليه اثنان من كبار الصحابة هما طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وانضمت اليهم عائشة (ر) زوج الرسول الكريم (ص) فحدثت معركة الجمل ثم تحول ذلك الصراع في انجاه آخر فوقعت موقعة صفين بين علي وأهل العراق وبين معاوية بن ابي سفيان وأهل الشام واقتتل المسلمون لاول مرة وشهر المسلم سيفه في وجه أخيه المسلم انتهت هذه الموقعة بالتحكيم الذي اثار قسماً من جيش علي بن ابي طالب (ر) فخرجوا عليه وسموا بالخوارج وظهور هذ الجماعة اهم حادث لمعركة صفين •

انتهى ذلك الصراع العسكري بمقتل علي بن ابي طالب (ر) ونجاح معاوية بن ابي سفيان الذي اقام دولة جديدة هي الدولة الاموية •

اختلفت هذه الدولة عن سابقتها بانها احدثت مبدأ الوراثة لحصر

الخلافة في البيت الاموي فكل الخلفاء الذين تولوا لخلافة من بني امية سواء كانوا من الفرع السفياني او الفرع المرواني كما انتقل مركز الخلافة من المدينة المنورة الى دمشق الا ان هذه الدولة سارت في نفس الاتجاه السابق فاندفعت جيوش العرب المسلمين في الشرق والغرب حتى وصلت فتوحاتهم الى الصين شرقاً والى جنوب فرنسا غرباً واخضع العرب اممآ وشعوباً مختلفة وحددت هذه الفتوحات ابعاد الامبراطورية العربية الاسلامية اذ لم يضف العباسيون بلاداً جديدا فضلا انهم لم يحتفظوا بكل ما ورثوه عن الامويين .

ساعدت هذه الفتوحات على نشر الدين الاسلامي كما سادت اللغة العربية غيرها من اللغات واصبحت العروبة الصفة المميزة لهذه الدولة ولذلك اطلقنا عليها اسم الدولة العربية .

تعرضت الدولة الاموية لمشاكل عديدة اذ وقفت الفئات المعارضة العلويون والخوارج موقفاً عدائياً كذلك وفق أعداء العرب والمسلمين من الاعاجم موقفاً عدائياً ايضاً اولئك الذين صمموا على الانتقام من هذه الامة كما تعرضت هذه الدول لمشاكل خاصة مشكلة الوراثة وكذلك انقسام العرب انفسهم الى حزبين متصارعين قيسيين ويمانيين .

هذه المشاكل جميعاً هدت من قوة الدولة واضعفت تماسكها فسهل على اعدائها ان يجدوا سبيلاً للثورة عليها فكانت الثورة العباسية التي اطاحت بالحكم الاموي فهوت راية بني امية وارتفعت راية بني العباس تسندها أيدي اعجمية فشارك الفرس في امور الحكم واصبح العرب جزءاً من هذه الدولة الجديدة وليس كلاً فكانت الدولة العباسية .

ثابت اسماعيل الراوي
١٩٧٠/٦/٢٢

تاريخ الدولة العربية

الجزء الاول

تاريخ الدولة العربية

خلافة الراشدين والامويين

تـأليف

ثابت اسماعيل الراوي

مطبعة الارشاد ـ بغداد

١٩٦٩

الخلفاء الراشدون

أبو بكر الصديق

(١١ هـ - ١٣ هـ / ٦٣٢ م - ٦٣٤ م)

ابو بكر وهو عبدالله بن عثمان التيمي وكنية ابيه وبو قحافه وكان يسمى في الجاهلية عبد الكعبة فسماه الرسول عبدالله ولقب عتيقا لأن الرسول بشره بأن الله اعتقه من النار ويقال ايضا سمي عتيقا لحسنه وجماله وسمي ايضا بالصديق لأنه أول من صدق برسالة الرسول من الرجال . روى عن الرسول انه قال : (ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت له عنه كبوه وتردد ونظر الا ابا بكر ما عتم عنه (ما لبث) حين ذكرته وما تردد فيه)[1] وروى ايضا انه سمي الصديق لأنه أول من صدق الرسول صبيحة الاسراء .

ولد أبو بكر بعد عام الفيل بعامين ، فهو اصغر من الرسول بسنتين وكان مشهوراً بالعفة والصدق ، ولم يشرب الخمر التي كانت عادة مستحكمة في المجتمع المكي ، كما كان عالما بانساب العرب وكان من رؤساء قريش في الجاهلية واهل مشاورتهم وكان اليه أمر الديات والغرم وهي احد الوظائف العشرة التي كانت موزعة على بطون قريش ، كما كان يشتغل بتجارة الثياب وقد جمع من وراء ذلك ثروة طائلة قدرت باربعين الف درهم ، وقد ترك التجارة بعد اسلامه ليتفرغ الى نشر الدعوة الاسلامية مع رسول الله (ص) وقد استعان بثروته على نشر الاسلام فكان يعتق منها ويقوى المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم . ومن اشهر من

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٣٥ .

اعتقهم بلال بن رباح وكان بلال مملوكا لاحد سراة مكة وهو امية بن خلف وكان امية يعذب بلالا ليقنه عن دينه فاشتراه ابو بكر من مولاه واعتقـــه .

كان أبو بكر رفيق الرسول واكثر الناس اتصالا به . روى عن عائشة (رض) انها قالت ما عقلت ابوى الا وهما يدينان الدين وما مر علينا يوم قط الا ورسول الله يأتينا فيه بكرة وعشية . وقد اصطفاه الرسـول من بين المسلمين يرافقه في هجرته من مكة الى المدينة وكان معه في الغار (غار ثور اسفل مكة) وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) كما كان مع الرسول في كل المشاهد والحروب وهو من القلائل الذين ثبتوا مع الرسول في معركة احد ومعركة حنين . اضف الى ذلك انه كان مقربا الى الرسول يخصه دون غيره بامور العامة والخاصة فكان العرب الذين عرفوا الدول واحوالها يسمون ابا بكر وزير محمد) .

وصف أبو بكر بأنه كان ابيض يخالطه صفرة حسن القامة نحيفا احنى رقيقا عتيقا اقنى معروق الوجه غائر العينين[1] .

بيعة ابي بكر :

توفي الرسول الكريم يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الاول سنة (١١ هـ) وقد اضطرب المسلمون وافقدت الصدمة الكثير منهم صوابه فلم يصدق خبر الوفاة الكثير منهم وتساءلوا كيف يموت الرسول ؟ وكأنهم نسوا ما انزل الله من الآيات التي تشير الى وفاة الرسل فلم يكونوا الا بشرا يصيبهم ما يصيب الآخرين . حتى عمر بن الخطاب (رض) فقد اتزانـه وسيطرته على نفسه فلم يصدق الخبر بل وقف رافعا سيفه مهددا يتوعد كل من يقول بوفاة الرسول (ص) وكان يخاطب المتجمهرين يحذرهم مغبة

(١) الدينورى : المعارف ص٧٤ .

اشاعة هذا النبأ • قال ان رجلا من المنافقين زعَم ان رسول الله توفى وانه ما مات ولكنه ذهب كما ذهب موسى والله ليرجعن رسول الله فيقطع ايدي رجال زعموا انه مات[٢] •

فاذا كان هو حال عمر بن الخطاب الذي كان ألصق الناس بالرسول واكثرهم سماعا لاقواله ولما ينزل الله عليه من الآيات فلا عجب ان ساد الآخرين الهرج والمرج أو عمتهم الفوضى والاضطراب • ولكن الناس سرعان ما عادوا الى رشدهم بعد ان وقفوا على الحقيقة الواقعة عندما ذكرهم أبو بكر بان رسول الله بشر يصيبه ما يصيبهم • وبعد سماعه النبأ دخل حجرة رسول الله وكشف عنه وقال يا رسول الله طبت حيا وميتا ثم خرج على المسلمين وخطبهم قائلا : (ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وتلى الآية الكريمة (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الشاكرين)[١] فاستفاق الناس من غفلتهم وذهب عنهم اضطرابهم بعد علمهم الحقيقة المرة وهي وفاة الرسول قائدهم وزعيمهم •

لم تكن وفاة الرسول وحدها هي التي اذهلتهم ، ولكنما جعلهم في حيرة من أمرهم مسألة المسلمين ومن يتولى امرهم بعد الرسول ؟ والرسول لم يعهد لاحد من المسلمين بامر قيادة هذه الامة ورعايتها • على ان الرسول كان خلال مرضه قد اوعز الى ابى بكر ان يؤم المسلمين في صلاتهم وهذه اشارة منه بتقديم ابى بكر على غيره من الصحابة ، ولكنها اشارة تبدو غير صريحة لتولي أمر المسلمين وكان الرسول حكيماً في ترك هذا الامر الى المسلمين فلو انه عهد الى رجل بعينه لاصبح هذا العهد سنة يلتزم بها

---

(٢) الطبرى : الامم والملوك جـ٣ ص١٩٧ •
(١) الطبرى : الامم والملوك جـ٣ ص١٩٨ •

المسلمون في امصارهم وازمانهم كافة ما دامت سنة من سنن النبي ولكن الرسول اراد من ذلك ان يختار المسلمون احدهم كما كان حالهم في الجاهلية اذ درج العرب على سنة اختيار اكفأهم واصلحهم لقيادتهم ، ولم يكونوا ليتقيدوا بالوراثة . ولهذا نجد الرسول يترك أمر المسلمين شورى بينهم يختارون احدهم ليقودهم ويتم ما بدأه الرسول وقد نجم عن هذا الموقف موقف كاد ان يقضي على وحدة المسلمين في المدينة وهم عماد الامة الاسلامية حيث انحاز الانصار من الاوس والخزرج الى سقيفة بني ساعده وقدموا عليهم سعد بن عبادة الخزرجي وكان مريضا فحمل الى السقيفة وخطب في المتجمعين يحرضهم على ان يتمسكوا بالامر ولا يدعوه يفلت منهم فهم الذين نصروا الرسول وايدوه عندما هاجر اليهم بعد ان اعياه اقناع قومه وعشيرته في مكة . ولكن الانصار لم يتخذوا قرارا نهائيا في بيعة سعد بن عباده لأنهم غير واثقين من انفسهم اذ كانوا يشعرون بأن المهاجرين احق منهم فهم صحابة رسول الله وعشيرته . كذلك حسد الاوس للخزرج ولما لقريش من قوة ومكانة بين القبائل العربية وانها لا تدين الا لهذا الحي من قريش .

اما المهاجرون ، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر ، فقد اسرعوا لحضور هذا الاجتماع وقد انضم اليهم ابو عبيدة بن الجراح ثم دار نقاش حاد بين المهاجرين والانصار ، الانصار يدلون بحججهم وهي انهم نصروا الرسول واستقبلوه في مدينتهم ونافحوا عنه حتى علت كلمة الله ودان العرب بالاسلام في اقطار الجزيرة العربية ، اما المهاجرون فكانت حجتهم انهم اول من اسلم وقد قاسوا الكثير من العنت في سبيل ذلك وهاجروا ابتغاء نصرة الدين تاركين على مغض اهلهم وديارهم في سبيل الله ، وهم فوق ذلك عشيرة الرسول واقرباؤه وان العرب لا تدين الا لهذا الحي من قريش . وقد أيد المهاجرين بعض الانصار ومنهم بشير بن سعد الذي خطب في الاجتماع

واعلن تأييده لقريش . واخيرا اهتدى القوم الى بيعة ابي بكر وتزاحم الناس عليه حتى كادوا ان يطئوا سعد بن عبادة فيقتلوه . وكان تقديم ابى بكر على غيره انه كان اكبر المسلمين سنا واول من اسلم وهو الذي ضحى باموالة في سبيل الله ونشر دينه ، كذلك كان اقرب الناس الى الرسول فكان رفيقه في هجرته يشاركه في سرائه وضرائه وكذلك امره الرسول أن يؤم المسلمين في الصلاة خلال مرضه وهذا دليل على تقديمه . ذكر ابن سعد في كتابه الطبقات عن علي بن ابي طالب (رض) قال لما قبض النبي (ص) نظرنا في امرنا فوجدنا النبي (ص) قد قدم ابا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضى رسول الله (ص) لديننا فقدمنا ابا بكر[1] . وبذلك قامت خلافة ابي بكر وسمي خليفة لأنه خلف الرسول في قيادة الامة الاسلامية فهو قائدها في الحرب وامامها في الصلاة يرعى شؤونها ويقودها في سلمها وحربها .

خطب ابو بكر بعد ان حصل على بيعة اهل المدينة مبينا سياسته . قال : (ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له انشاء الله والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه انشاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا قوم ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط الا ابتلاهم الله بالبلاء اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله)[2] .

اعمال ابي بكر :

أول عمل قام به أبو بكر هو انفاذه جيش اسامة بن زيد بن حارث الكلبي وكان الرسول قد اعد هذا الجيش قبل وفاته وعهد بقيادته الى اسامة

---

(١) ابن سعد : الطبقات جـ٣ ص١٨٣ .
(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٦٩ .

ابن زيد وكان عمر اسامة (ثماني عشرة سنة) لمحاربة البيزنطيين في بلاد الشام والقبائل العربية المتحالفة معهم من قضاعة ، لينتقم لقتلى معركة مؤته وهي المعركة التي حدثت في السنة الثامنة للهجرة بين المسلمين والبيزنطيين في بلاد الشام وقتل فيها ثلاثة من قواد المسلمين هم زيد بن حارثه الكلبي والد اسامة وكان مولى الرسول وربيبه واحب الناس اليه وقتل ايضا جعفر ابن ابي طالب اثر مقتل زيد بن حارثة كما قتل عبدالله بن رواحه الذي تولى القيادة بعد جعفر • ثم برز خالد بن الوليد وقاد المسلمين واستطاع بعبقريته الحربية ان يخلصهم من الفناء فلقبه الرسول سيف الله المسلول •

كان هذا الجيش قد تأخر عن الرحيل بسبب مرض الرسول وكان الرسول حريصا على انفاذه فكان يردد انفذ وابعث اسامة فلما توفي الرسول واضطربت قبائل العرب واخذت تهدد المدينة اعترض بعض الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب على انفاذ هذا الجيش ورأوا ان يبقى في المدينة كي يعاون الخليفة الجديد على رد تهديد الاعراب فكان رد ابي بكر لو خطفتني الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى به رسول الله (ص) ثم رد على قولهم ابدال اسامة برجل آخر يكون اسن منه ان وثب وكان جالسا واخذ بلحية عمر بن الخطاب وقال له ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله (ص) وتأمرني ان انزعه • ثم أمر الجيش بالرحيل واوصاهم • وقد احرز هذا الجيش النصر ودخل الاراضي السورية واحرق بعض المدن التي قاومته وعاد الى المدينة •

كان ابو بكر مصيباً في اصراره على انفاذ هذا الجيش اذ كان ابو بكر احرص الناس على تنفيذ اوامر الرسول ونواهيه فقد رأى ارسال هذا الجيش تحقيقا لرغبة كان الرسول قد حاول تحقيقها في ايامه ، ولكن المنية عاجلته فاراد ابو بكر تحقيقها ، كذلك هدف ابي بكر من ارسال هذا الجيش هو اشعار القبائل العربية والروم بقوة المسلمين وانهم لم يضعفوا

أو يتفرقوا بعد وفاة الرسول فما زالوا على وحدتهم وتكاتفهم واندفاعهم في سبيل تعزيز الدين الجديد وتقويته ونشره • ذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ان القبائل العربية كانت تقول عندما مر بها جيش اسامة : لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم[1] ، كما شعر الروم بقوة المسلمين ، ذكر الواقدي في كتابه المغازى ان هرقل ملك الروم كان في حمص عندما غزا اسامه بلاد الشام فدعا بطارقته فقال : (هذا الذي حذرتكم فابيتم ان تقبلوه مني قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر تغير عليكم ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم) •

وهكذا نجح ابو بكر في انفاذ هذا الجيش وحقق رغبة الرسول الكريم واشعر العرب بقوة المسلمين ووحدتهم ووقوفهم ثابتين وراء خليفتهم الجديد • وقد نجح هذا الجيش في مهمته فاخضع المدن التي قاومته ثم عاد الى المدينة ظافرا •

حركة الردة :

نجح الرسول الكريم في ان يخضع العرب لحكمه ذلك الحكم الذي كان يستند على الاساس الديني والعرب تعتقد ان الرسول انما يحكم ويتصرف عن وحي الله وامره وقد عمل الرسول على ان يجعل الناس متساويين وعلى ازالة الفوارق بينهم : ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى • هذه الدعوة كان قد آمن بها كثير من العرب منهم من آمن بها عن عقيدة وايمان ، ومنهم من دخل فيها مع الداخلين مسايرة لمجرى الاحداث وكانت اكثر القبائل العربية قد اسلمت بعد ما رأت من نجاح الرسول في قضائه على معارضة اهل مكة والطائف وكان اسلامها خضوعا لسيادة الرسول وحكومته فلما توفى وجدت كثير من القبائل

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٧٤ •
(٢) الواقدى : المغازي جـ٣ ، ص٢٧٠ •

انها لا تستطيع ان تستمر في الخضوع لحكم المدينة الذي يترأسه ابو بكر • ومن هنا كان ارتداد هذه القبائل عن الاسلام بالاضافة الى ذلك ان بعض القبائل كانت قد ارتدت قبل وفاة الرسول الكريم وكان بعض زعماء القبائل قد اعلنوا نبؤتهم وطالبوا الرسول ان يعترف بها وندون هنا نبذاً مختصرة عن بعض القبائل التي ارتدت وحجتها ، وعن المتنبئين وادعاءاتهم لنقف على الدوافع الرئيسية التي دفعتهم الى الخروج من هذا الدين •

الاسود العنسي :

وقد تنبأ في اليمن واتخذ صنعاء مركزا له في السنة العاشرة للهجرة في حياة الرسول واسمه عبهله بن كعب وكنيته ذو الخمار وقد خرج في عامة قبائل مدحج اليمانية فاستولى على نجران وصنعاء واخرج بعض عمال الرسول الكريم الذين كانوا قد ولوا امر بلاد اليمن ومنهم معاذ بن جبل وخالد بن سعيد بن العاص وابو موسى الاشعرى وغيرهم • ولما اجتمع حوله اكثر القبائل اليمانية واستولى على اكثر بلاد اليمن كتب الى من بقى من عمال الرسول قال : (ايها المتوردون علينا امسكوا علينا ما اخذتم من ارضنا ووفروا ما جمعتم فنحن اولى به وانتم على ما انتم عليه)[1] وهذا يدل على ان النزعة نزعة اقليمية فلم يجد الاسود العنسي ولا من تابعه من اهل اليمن اي مبرر لاستحواذ هؤلاء العمال الذين ولاهم الرسول امر اليمن على اموال وارض اليمن ووجدوا ان الارض ارضهم والاموال اموالهم فثاروا على هذا الحكم الذي عدوه غريبا عنهم • ومن الذين انضموا الى الاسود العنسي عمرو بن معد كرب الزبيدي الملقب بابى نور وهو من شجعان العرب وقد شارك فيما بعد معركة القادسية والمعارك الاخرى • وقد انتهى امر الاسود العنسي بمؤامرة دبرها الابناء (وهم من مولدى الفرس في اليمن والذين كانوا قد اسلموا) بالاتفاق مع زوجته فقتلوه في

(١) الطبري : الامم والملوك جـ٣ ، ص٣١٤ •

داره وقيل ان قتله كان في الليلة التي توفى فيها الرسول (ص) .

هذا ما كان في اليمن اما ما كان في المدينة المنورة العاصمة فقد جاء وفد يمثل عدد من القبائل العربية القريبة من المدينة وهي قبائل مدلج والليث والديل وعبس وفاوضوا ابا بكر على ان يقيموا الصلاة على ان لا يؤتوا الزكاة وقد ابى ابو بكر ان يقبل منهم وردهم وقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فلما ايقن هذا الوفد ان ابا بكر لا يستجيب لهم ، وقد رأوا قلة المسلمين ، ذهب وفدهم الى قبائلهم يخبرونهم بقلة المسلمين ويدعونهم الى مهاجمة المدينة . وقد شعر ابو بكر بالخطر فحذر اهل المدينة واستنفرهم ، وقد حدث ما توقعه ابو بكر فهاجمت بعض هذه القبائل المدينة المنورة ولكن المسلمين انتصروا عليهم وردوهم . ولم يكتف ابو بكر بذلك بل جهز اصحابه وخرج يتابع القوم حتى نزل بذى القصة[1] وقتل عددا من عبس وذبيان . وكان اول نصر للمسلمين على المرتدين وفي ذي القصة عقد الالوية وكانت أحد عشر لواء :

١ – خالد بن الوليد وأمره بطلحة بن خويلد فاذا فرغ سار الى مالك بن نويره بالبطاح .

٢ – عكرمه بن ابي جهل وامره بمسيلمة الكذاب .

٣ – المهاجر بن ابي امية وامره بجنود الاسود العنسي ومعونة الابناء في اليمن على قيس بن المكشوح ومن اعانه من اهل اليمن ثم يمضى الى كنده بحضرموت .

٤ – خالد بن سعيد بن العاص بعثه الى الحمقتين من مشارف بلاد الشام .

٥ – عمرو بن العاص الى قضاعه ووديعة والحارث .

٦ – حذيفة بن محصن وامره باهل دبا .

---

(١) ذي القصة موقع الى الشمال من المدينة المنورة .

٧ ـ عرفجه بن هرثمه وامره بمهره ٠

٨ ـ شرحبيل بن حسنه في اثر عكرمه بن ابي جهل ٠

٩ ـ طريفه بن حاجز وامره ببني سليم ومن معهم من هوازن ٠

١٠ـ سويد بن مقرن وامره بتهامه اليمن ٠

١١ـ العلاء بن الحضرمي وامره بالبحرين ٠

ففصلت الامراء من ذي القصة ونزلوا على قصدهم فلحق كل أمير جنده وقد عهد اليهم عهده وكتب الى من بعث اليه من جميع المرتدين كتابا يدعوهم الى الاسلام فاذا ابوا فالقتال ثم لا يبقى على احد قدر عليه وان يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتله كما اوصى قواده ان يتقوا الله وبالجد في أمر الله وبمجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام الى اماني الشيطان بعد ان يعذر اليهم فيدعوهم بداعية الاسلام فان اجابوا امسك عنهم وان لم يجيبوا شن غارته عليهم حتى يقروا له ثم ينبئهم الذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم ٠

طليحة الاسدي :

ارتد طليحة في حياة رسول الله (ص) وادعى النبوة فوجه النبي اليه ضرار بن الازور ولكنه لم يستطع القضاء عليه وعاد ضرار بعد وفاة الرسول وقد التف حول طليحة عدد من القبائل من غطفان وفزاره وطي واسد في بزاخه من ارض نجد ومرجع انضمامهم اليه نزعتهم القبلية اذ قال عيينه ابن حصن الفزارى ـ والله لأن نتبع نبيا من الحليفين احب الينا من ان نتبع نبيا من قريش ـ ٠ وكان سبب ارتداد هؤلاء هو الزكاة اذ جاءت وفودهم الى ابي بكر تطلب اعفاءها من الزكاة على ان تقيم الصلاة فابى ابو بكر ذلك فرجعت وفودهم الى عشائرهم ليعلموهم رأى ابى بكر وقد وجه ابو بكر خالد بن الوليد الى حرب طليحة الاسدي وكان طليحة قد قتل فارسين من

فرسان المسلمين غدرا وهما عكاشه بن محصن وثابت بن اقرم • وقاتلهم خالد بن الوليد بعد ان انفضت طي من حول طليحة وقل اتباعه فهرب الى بلاد الشام ثم عاد الى الاسلام وشارك في فتح العراق • ونسبت اليه الروايات اقوالا هي اشبه بسجع الكهان قال (والحمام واليمام والصرد الصوام قد ضمن قبلكم باعوام ليبلغن ملكتا العراق والشام)[1] • ومن القبائل الاخرى التي ارتدت عن الاسلام في نجد هوازن وسليم وعامر وقد استطاع طريفه ابن حاجز القضاء عليهم واعادتهم الى رحاب الدين الاسلامي •

سجاح بنت الحارث التميمية :

تنبأت بعد وفاة الرسول في الجزيرة في بني تغلب فاستجاب لها الهذيل[2] وترك النصرانية ثم دعت زعماء بني تميم فاستجابوا لها ثم اتجهت الى اليمامة في جنوب نجد وفيها مسيلمه بن حبيب (الكذاب) ، وقد تنبأ في بني حنيفة ، واجتمع الاثنان واتفقا على توحيد قومها وقومه لكي يصل الى غايته وهي سيادة العرب قال مسيلمه لسجاع هل لك ان اتزوجك فآكل بقومي وقومك العرب • وتنسب الروايات الى ان مسيلمه اصدقها بأن وضع عن اتباعها صلاة العشاء وصلاة الفجر • ومن الذين تابعوا سجاع شبيب بن ربعى الرياحي والزبرقان بن بدر • وقد انتهى امرها اذ رجعت الى الجزيرة في بني تغلب وابقت عددا من اتباعها مع مسيلمه الكذاب فاغار عليهم خالد بن الوليد وفض جمعهم وقتل مسيلمه ، اما سجاح فقد عادت الى الاسلام وحسن اسلامها •

مالك بن نويرة :

وهو الذي حاربه خالد بن الوليد في بني يربوع في البطاح من ارض

---

(١) الطبري : الامم والملوك ج٣ ، ص٢٢٨ •

(٢) الهذيل زعيم بني تغلب القبيلة العربية النصرانية التي كانت تسكن العراق •

نجد وقتله وتزوج خالد امرأته ليلى بنت المنهال وقد لاقى خالد من وراء عمله هذا لوم عمر بن الخطاب واستدعي الى المدينة ولكنه اعتذر الى الخليفة ابى بكر عما فعله مع مالك فاعذره ابو بكر وقيل ان قتل مالك كان خطأ ولم يكن خالد يريد قتله ، وقيل ذلك ان مالكا كان قد قبض عليه خالد بن الوليد وحبسه وكانت ليلة باردة فامر خالد حراس الحبس ان يدفئوا اسراهم ومعنى ادفئوا في لغة كنانه اقتلوا فاخرج الحراس المحبوسين وقتلوهم فلم يدر خالد الا بعد ان انتهى الامر .

مسيلمة الكذاب :

وهو مسيلمه بن حبيب من حنيفه ويكنى ابا ثمامه وكان قصيرا شديد الصفرة اخنس الانف افطس قد تنبأ باليمامه من جنوب نجد . وكان اهل اليمامه قد اسلموا زمن الرسول وارسلوا وفد للقاء الرسول وكان في الوفد مسيلمه . وتذكر الروايات أن مسيلمه كلم الرسول فقال له ان شئت خلينا لك الامر وبايعناك على انه لنا بعدك فقال له رسول الله (ص) لا ولا نعمة عين ولكن الله قاتلك فلما عاد الوفد الى اليمامه ادعى مسيلمه النبوة فاتبعه بنو حنيفه وغيرهم ممن باليمامه ، وكتب الى رسول الله (ص) كتابا (من مسيلمه رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش لا ينصفون والسلام عليك) فكتب اليه رسول الله (ص) (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي الى مسيلمه الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والسلام على من اتبع الهدى) .

فلما تولى ابو بكر الخلافة ارسل الى حرب مسيلمه عكرمه بن ابي جهل فهزمه مسيلمه ثم الحقه ابو بكر بشرحبيل علم ينجح هو الآخر في لقاء مسيلمه وبني حنيفة فارسل الى خالد بن الوليد ان يتجه الى مسيلمه فسار اليه والتقى المسلمون ، وبنو حنيفه يقودهم مسيلمه فيهزم المسلمون

أول الامر حتى اضطر خالد الى ترك فسطاطه الا ان المسلمين ثبتوا وتبايعوا على الموت والقتال فعادوا الكرة فهزم المشركون ودخلوا حديقة لهم - يحتمون بها ولكن المسلمين اقتحموا عليهم الباب وقتل مسيلمه قتله وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس وشر الناس ، وقتل من المسلمين عدد كبير قدر بـ ٦٥٠ شهيد وبذلك قضي على اكبر خطر كان يهدد الدولة الجديدة اذ ان مسيلمه جمع حوله عددا كبيرا من القبائل كما تحالف مع بني تميم وزعيمتهم سجاح • وقدرت الروايات عدد من قاتل معه بحوالي اربعين الفا •

وقد ارتد اهل البحرين واستطاع العلاء بن الحضرمي القضاء على ردتهم كما ارتد اهل عمان ومهرة فارسل ابو بكر حذيفه بن محصن وعرفجه الى عمان وامر عكرمه بن ابي جهل بالانضمام اليهما ثم اتجهوا جميعا بعد الفراغ من عمان الى مهرة • وقد التقى المسلمون مع المرتدين في دبا وكان رأس المرتدين لقيط بن مالك الازدى فاستطاع المسلمون الظفر بالمرتدين وبذلك انتهت ردة عمان ومهرة ودبا كما ارتدت قبائل الاشعريين وعك في تهامة اليمن وارتد اهل اليمن ثانية • كذلك ارتدت قبيلة كندة بزعامة الاشعث بن قيس الكندى وقد احرز المسلمون النصر على هؤلاء المرتدين • هذا حال الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول الكريم حيث انتفضت هذه القبائل تحاول العودة الى حياتها الاولى مرتدة عن الدين الاسلامي ولهذه الردة اسبابها •

اسباب حركة الردة

١ - التعصب القبلي :

عاش العرب في جاهليتهم في ظل النظام القبلي تربطهم ببعضهم الروابط القبلية وتفرض عليهم هذه الروابط الولاء للقبيلة والعمل من اجلها فقط واذا حدث ان ارتبطت قبيلة ما بقبيلة اخرى لظروف طارئة في حالة الحرب

خاصة فيكون اجتماع هاتين القبيلتين لفترة محدودة تنتهي عادة بزوال ذلك الظرف الطارىء وتعود كل قبيلة الى حياتها وارتباط افرادها دون ان يفقد احدهم ـ جزءا من حريته تلك الحرية التي كان يتمسك بها العربي فردا وتتمسك بها القبيلة مجموعة اذ لم يألف العربي الاندماج مع القبائل الاخرى او الخضوع لارادة غير ارادته وارادة قبيلته التي يجد فيها مصلحته الخاصة والعامة ، فلما جاء الاسلام وانتشر في الجزيرة العربية اسلمت كل القبائل العربية وارسلت وفودها في السنة التاسعة للهجرة الى الرسول تعلمه اسلامها وتحسب ان اسلامها سوف لن يفقدها شيئاً من حريتها وكيانها • لهذا وجدنا عددا من زعماء القبائل يعلن فك ارتباطه بالرسول وهؤلاء الذين اطلقت عليهم الروايات بالمتنبئين واعلنوا عودتهم الى حياتهم الاولى غير ملزمين بهذه الرابطة التي دعا اليها الرسول الكريم واجتمعت قبائلهم حولهم تؤيدهم في دعواهم هذه •

لم يجد العربي في ذلك ضيرا لأنه تعود ان يكون مخلصا لقبيلته يحارب من اجلها مفضلا مصلحتها على كل مصلحة ومفضلا زعيم قبيلته على كل زعيم • كذلك لم يجد هذا العربي مسوغا يدفعه لتبرير خروجه عن رأى القبيلة والارتباط بحكومة المدينة وخاصة أن هؤلاء الاعراب لم تنفذ الى اعماقهم بعد العقيدة الدينية لتزيل رواسب الماضي القريب ولهذا تعصب العربي لقبيلته • ولا ادل على ذلك من قول احد بني حنيفه قوم مسيلمه الكذاب وهو طلحه النمرى الذي قدم اليمامة يسأل عن مسيلمه فلما التقى به سأله من يأتيك قال رحمن قال افي نور أو في ظلمه ؟ فرد عليه مسيلمه بل في ظلمه فقال طلحة اشهد انك كذاب وان محمدا صادق ولكن كذاب ربيعه احب الينا من صادق مضر وهذا يدل على الولاء للقبيلة ولزعيم القبيلة حتى لو ثبت خلاف ما يعتقده البعض ، كما ان الروايات نسبت الى عدد من المتنبئين العته والجنون والشعوذه فنسبت الى الاسود العنسي انه كان

يسجع سجع الكهان مقلدا القرآن وكان له حمار يقيمه ويقعده فهو آيته التي جذبت حوله اهل اليمن ، كذلك نسبت هذه الروايات الى مسيلمه مثل ذلك وذكرت كلاما ان دل على شيء فانه يدل على السخف والهذيان ، فقالت ان مسيلمه كان يحاول تقليد القرآن فيقول (يا ضفدعة نقي كما تنقين نصفك في الماء ونصفك في الطين) كما نسبت الى طليحة افعالا واقوالا مشابهة • واعتقد ان هذه الاقوال لا يمكن ان تجوز على الكثير من العرب • اذ كيف استطاع هؤلاء المتنبؤن ان يجمعوا حولهم كل هـذه الاعداد الكبيرة ؟ فمسيلمه قاتل عنه اربعون الفا وحتى بعد مقتله حاول اتباعه قتل خالد بن الوليد • وكذلك اهل اليمن ارتدوا مرتين بعد مقتل الاسود العنسي ولهذا ارى ان التفاف العرب حـول هؤلاء لم يكن لمعجزة قدمها هؤلاء المتنبؤن وانما لتعصبهم لقبائلهم وحرصهم على وحدتها وكيانها ومصالحها • فقد كتب الاسود العنسي الى عمال الرسول في اليمن قال : (ايها المتوردون علينا امسكوا علينا ما اخذتم من ارضنا ووفروا ما جمعتم فنحن اولى به وانتم على ما انتم عليه) واخيرا اقول ان النعصب القبلي والحرص على وحـدة القبيلة واباء العرب الخضوع لغير مصالحها وزعيمها كل ذلك كان السـبب الرئيسي لحركة الردة •

٢ ـ الزكـاة :

لما استخلف ابو بكر الصديق ارتدت طوائف من العـرب ومنعت الصدقة وقال قوم منهم نقيم الصلاة ولا تؤدى الزكاة زاعمة انها اتاوة كانت تدفعها الى الرسول فلما انتقل الى جوار ربه اصبحوا في حل من دفعهـا الى خليفته ؛ ولكن ابا بكر اصر على ان يدفعوها والا قاتلهم وقد عارضه في موقفه هذا بعض الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، وكانت معارضتهم تستند الى قول الرسول (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم من ماله ونفسه الا بحقها) ولهذا وجد المعترضون سبيلا

الى موقفهم هذا وكأن عمر كان يقول لابي بكر ان الرسول لم يحارب الا المشركين فاذا ما آمنوا بالله وحده فلا حرب عليهم ولم يشترط الرسول الصلاة والزكاة في اسلام هؤلاء الناس أو حربهم أو مصالحتهم لكن ابا بكر كان مصرا على رأيه حيث قال : (والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه) كان ابو بكر مصيبا في هذا الاصرار لأنه رأى ان التهاون في ركن من اركان الدين يؤدى الى التهاون في سائر الاركان خصوصا وان عهد ابي بكر كان عهدا حاسما لأنه تلى عهد الرسول الكريم وكل تغير يحدث في الامور الهامة سيكون سنة يلتزم بها اللاحقون من الخلفاء . فلو فرضنا ان ابا بكر وافق على اسقاط الزكاة عن بعض المسلمين واسقط الصلاة عن البعض الآخر لما استطاع عمر بن الخطاب ان يلزم هؤلاء بالعودة الى صلاتهم أو زكاتهم وبالتالي يتفرق امر هذا الدين الى فرق ومذاهب شتى . ولما كان الدين واحدا كان اصرار ابى بكر صائبا حيث مكن لهذا الدين الوحدة والشمول فعادت هذه القبائل الى حضيرة الدين وقد تجلى هذا الاصرار الصائب في قول عمر بن الخطاب اذ قال (فوالله ما هو الا ان قد شرح الله صدر ابى بكر فعرفت انه الحق) لذلك نرى ان ابا بكر انما حارب هؤلاء لامتناعهم عن دفع الزكاة فقط ولم يكونوا كارهين الدين انما انفوا ان يدفعوها لخليفة الرسول بعد ان دفعوها الى الرسول اتاوة أو ضريبة ترتبط بكون الرسول حاكما دينيا اكثر من كونه حاكما دنيويا . فاذا كانوا قد دفعوها فانما لارتباطها بالعقيدة التي نسوا ان ابا بكر انما خلف الرسول في امته لينفذ فيهم حكم الله ورسوله . كما ان الحرص على المال كان سببا في امتناعهم عن دفع الزكاة ، ذكر الطبرى ان حربا وقعت بين المسلمين وبين بني عمرو بن معاوية وهم في الرياض لأن المصدق (وهو الذي يأخذ الصدقات) اخذ ناقة اعجبته فحاول صاحبها ابدالها بجمل أو ناقة اضعف منها فرفض المصدق الا اياها فثارت الحرب بين الجانبين وهذا

مثل لحرص الناس على اموالهم في كل مكان وزمان .

٣ ـ ظهور المتنبئين :

ظهر بعض الرجال الذين ادعوا النبوة وقد اخذ هؤلاء على عواتقهم جمع قبائلهم كما فعل الرسول وحاولوا ان يقلدوه ويأتوا بكلام يدعون انه شبيه بالقرآن كما فعل مسيلمه الكذاب في قومه بني حنيفة في اليمامه جنوب نجد ، والاسود العنسي في اليمن ، وطليحه الاسدي في بني اسد ، وسجاح في بني تميم . وقد استطاع هؤلاء ان يجمعوا قبائلهم حولهم ويقودوهم في معارضة خلافة ابي بكر وكذلك في الرجوع الى عاداتهم القديمة . ولكنهم لم يستطيعوا الثبات امام قوة المسلمين الذين استطاعوا القضاء على حركات هؤلاء المتنبئين واعادة قبائلهم الى حضيره الاسلام .

سارت اخبار هؤلاء في كل الكتب التاريخية القديمة فوصفتهم بهذا الوصف وربما يكون هذا الوصف حقيقة ، ولكن اغلب الظن ان هؤلاء كانوا قادة قبائلهم فعظم عليهم ان يلحقوا انفسهم بالرسول او ابى بكر فظهر زعماؤهم وقادوا اقوامهم في وجه قوة المسلمين ، وقد نسبت اليهم الرويات التاريخية اقوالا وافعالا ذكرنا بعضها مسبقا وذلك يدل على سخف اصحابها وسفههم وخطل عقولهم . واعتقد ان وصفهم بهذه الاوصاف جاء بعد انتصار المسلمين على اكبر قوتين آنذاك قوة الفرس وقوة الروم وفتحت امامهم سبل النصر والظفر والحصول على الغنائم الوفيرة التي لم يكونوا ليحلموا بها . كل هذه الانتصارات الباهرة الخاطفة احرزها العرب بفضل ايمانهم ودينهم الجديد فهو الذي وحدهم وقادهم الى هذه النتيجة الباهرة فهم لم يخترعوا سلاحا جديدا ولم يأتيهم عون من غير انفسهم فقد كانوا في الجاهلية ضعافا ثم صاروا بعد اسلامهم امة قوية ارهبت الدول الكبرى واطاحت بعروشها .

امام هذه النتيجة الباهرة تلفت العربي الى ماضيه القريب وشعر بأن

كل من حاول الخروج من هذا الدين انما هو مجنون أو معتوه ومن هنا وصف هؤلاء المثبلون بهذه الاوصاف التي لا يمكن ان تكون عونا لاصحابها في اجتذاب الناس حولهم وتسخيرهم للقتال من اجل نبؤاتهم .

٤ ـ العادات القديمة :

حاول الرسول جهده ان يزيل العادات الجاهلية التي كانت تسيطر على حياة القبائل وقد نجح في عمله ذلك ، الا ان بعض القبائل ظلت واقعة تحت تأثير الماضي ومرتبطة به وكانت في محاولتها الارتداد عن الدين الاسلامي انما تحاول ان تنزع الى ماضيها القديم بما فيه من عادات وتقاليد ورذائل .

٥ ـ قصر المدة بين اسلام هذه القبائل وبين ردتها :

اسلم كثير من القبائل في السنة التاسعة للهجرة وهو عام الوفود اذ ارسلت القبائل العربية وفودها الى الرسول بعد فتحه مكة واخضاعه قريشاً لسلطانه تعلن اسلامها ولم يمض الا زمن قصير حتى توفي الرسول وكانت وفاته في السنة الحادية عشرة ، لذلك نرى ان هذه القبائل قد قضت سنتين فقط في حضيرة الاسلام فلم تستطع هذه المدة القصيرة ان تميت الماضي كلية كما انها لم تستطع ان تثبت هذه العقيدة في قلوب الناس لأن العقائد تحتاج الى وقت طويل حتى يألفها الناس ويتعودوا عليها ، بالاضافة الى ذلك كان انتشار العرب في جزيرتهم قد حال دون هذه العقيدة ان تصل الى جميع الاعراب بصورة عملية فان كانوا قد دخلوا فيها اسما فان الوقت لم يتح لهم لتعلم فروض الصلاة والزكاة والصيام وغيرها من الفروض نظرا لتفكك المجتمع العربي متأثرا بالبيئة البدوية الصحراوية ، لذلك نجد ان هذه القبائل لم تر ما يمنعها من العودة الى ماضيها القديم . وهذا ما نسميه بالردة .

واجه ابو بكر الصديق كل هذه الصعاب بما عرف عنه من عزم وحزم

وغيرة على الدين فبادر الى تسيير الجيوش الى المرتدين والمتنبئين ومانعي الزكاة • وقد انتصرت هذه الجيوش على المرتدين وقضت على حركة الردة • ومما ساعد على انتصار المسلمين قوة ايمانهم التي بعثت في نفوسهم الشجاعة والاقدام ، والاستخفاف بردة العرب كذلك الى الروح القوية التي بثها محمد (ص) في نفوس اتباعه المخلصين ، واخيرا كان الحجازيون عازمين على ان يخضعوا هذه القبائل لسلطان الحجاز حتى لا تنتزع منهم سيادتهم التي نالوها بفضل مركزهم الديني ، وكون الرسول واحدا منهم لذلك فقد تسلحوا بالعقيدة والايمان هادفين الى آمالهم في سيادة العرب الدينية والدنيوية •

نتائج حروب الردة :

اما النتائج التي تمخضت عن هذه الحركة ثم القضاء عليها فهي :

اعادة الدين الاسلامي الى العرب كافة والقضاء بذلك على الكفر والالحاد وازالة معالم الوثنية الى الابد من كافة انحاء الجزيرة فنتج عن ذلك قيام وحدة دينية استظل بها المسلمون بظل القرآن الكريم وخضعوا لحكومة واحدة ولرئيس واحد • وتبع هذه الوحدة الدينية قيام وحدة قومية فاجتمعت قبائل العرب في وحدة متماسكة اصبحت قاعدة لانطلاق الجيوش لنشر الدعوة الاسلامية الى خارج الجزيرة • وقد استطاع ابو بكر ان يكرس هذه الوحدة لازاحة القوى التي ترابط على حدود الجزيرة والتي رأى فيها ابو بكر حاجزا يمنع انتشار الدعوة فعول على القضاء على هاتين القوتين قوة فارس والروم ، فانطلق الزحف العربي كالسيل الهادر يكتسح العوائق والسدود ، ويقوض اركان الحكم الفارسي والبيزنطي ، وكان نصرا عظيما احرزته القوى العربية المستظله براية القرآن الكريم فوصلت جيوشهم الى الصين شرقا والاندلس غربا ثم قامت امبراطورية كبيرة شيدت

صروح حضارة زاهرة كان لها دورها الاساسي في الحضـــارة العالمية وفي تاريخ البشر .

تبع هذا النصر العظيم تعلق العرب بدينهم الجديد لأنهم رأوا ان سر انتصارهم انما يرجع الى هذا الدين ، فهو الذي حقق لهم معجزة لم يكونوا ليحملوا بها من قبل . والا ما الذي غير العرب فابدل ضعفهم قوة وفرقتهم وحدة . رأى العرب ان الجواب على هذه التساؤلات جواب سريع هو هذا الدين الكريم الذي بث في نفوسهم القوة والايمان والعزم الاكيد فكـــان نصرهم العظيم اما لو عكسنا الامر لاستطعنا ان نقدر عظم انتصار المسلمين على المرتدين . فلو ان المرتدين انتصروا لعادات القبائل الى ماضيها القديم وثنيتها وفرقتها ، ولما قامت الوحدة ، ولما استطاع ابو بكر الصديق ان يدك حصون فارس والروم ، ولما انتشر الاسلام خارج الجزيرة العربية ، اما من ناحية الدين نفسه فانه سوف ينزوى في الحجاز وتضعف ثقة الناس به ويضمحل ويتناقص اتباعه ، ولكن الله ابى الا ان يتم نوره فكتب الخلود لهذا الدين قال سبحانه وتعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وهكذا يمكننا ان نقدر ما تمخضت عنه حروب الردة من نتائج باهـــرة فوحدت العرب دينيا وقوميا ، وانطلقت الجيوش التي قضت بقوة على اباطرة فارس والروم ، وحررت الشعوب وقادتها في طريق الهداية والنور . فكان انتصار الدين الاسلامي والعرب اجمع .

الفتوحات الاسلامية في خلافة ابي بكر :

عاش العرب قبل الاسلام في جزيرتهم وفي ظل النظام القبلي اذ لم يعرف العرف الدولة وانظمتها الا ما كان في اليمن وعلى اطراف الجزيرة مما يلي بلاد الشام والعراق . ولكن الغالبية العظمى من العرب عاشت سنواتها الطويلة في بادية الجزيرة وصحراؤها في حدود النظام القبلي وفي حدود مصالح القبيلة فكانت الغارات تشن بين الحين والاخر بين القبـائل

المختلفة كل يحاول الانتصار على خصمه يدفعهم حماسهم القبلي والمصالح القبلية ؟ فالقبيلة هي الوحدة السياسية والقومية للنظام السائد في رحاب الجزيرة العربية وكان من نتائج هذا الوضع ان عمتهم الفرقة وشملهم الضعف فكانوا يخشون بأس الدول المجاورة لهم دولة الفرس ودولة الروم • لكنهم بعد اسلامهم تغيرت نظرتهم وتوحد هدفهم فلم يعودوا يحاربون من اجل القبيلة وانما يحاربون من اجل هدف سام هو اعلاء كلمة الله ونشر دينه ! كذلك لم يعودوا يحاربون باسم القبيلة وانما يحاربون باسم العرب اجمع ! فوحدة الهدف جمعتهم في وحدة المصير فانطلقوا يحاربون الدول المجاورة لهم ويفتحون البلاد حاملين اعلام الدين الجديد وساعين الى اعلاء كلمة الله وتخليص هذه الشعوب من مضطهديها ليقودوهم في طريق الحرية والهداية والنور ! فكانت فتوحات العرب التي تمثلت فيها وحدة العرب وقوتهم وانطلاقهم كالسيل الهادر يزيح العوائق والسدود ليصل الى حدود الصين شرقا والى جنوب فرنسا غربا ثم تقوم دولة كان لها ، وما زال اثرها المجيد على التاريخ الانساني والحضارة الانسانية في مختلف مناحي الحياة •

دولة الفرس الساسانيين :

قامت هذه الدولة على انقاض دولة ملوك الطوائف المتخلفة عن امبراطورية الاسكندر الاكبر • وكان مؤسس هذه الدولة هو اردشير بن بابك الذي استطاع في سنة ٢٢٣م القضاء على كل مقاومة في بلاد فارس ، فبسط نفوذه عليها واستطاع ايضا ان يضم العراق الى دولته الجديدة وقد عنى الفرس عناية خاصة بامور العراق : فعنوا بالزراعة فشقوا الترع والقنوات واقاموا السدود • فكانت ارض السواد عميمة الخير كثيرة الانتاج: قال ابو يوسف في كتابه الخراج (كان العامر من الارض كثيرا والمعطل يسيرا) ثم اهتموا بتحصين حدود السواد باقامة المسالح والحصون وساعدوا

على قيام امارة الحيرة لتكون سدا يحول بين ارض العراق وبين غارات البدو الذين دأبو على الاغارة على ارض السواد ، وازداد اهتمام الفرس بامر العراق عندما اتخذوا المدائن (طيسفون) عاصمة لهم منذ عهد كسرى أنو شروان وبقيت العراق تحت الحكم الفارسي حتى الفتح الاسلامي • اما بالنسبة للدولة الفارسية فقد هدتها المنافسة على العرش ، اذ ثار صراع حاد بين المتنافسين فكثر من تولى العرش الفارسي بعد كسرى انو شروان ، فكان الواحد منهم لا يكاد يستقر على دست الحكم حتى يتعرض لثورة احد ابناء الاسرة او احد قواد الدولة حتى كانت ولاية بوران بنت كسرى ابرويز وكانت ولايتها في آخر حياة رسول الله (ص) • وقد ملكت سنة واربعة اشهر ثم ملك بعدها جشنسده اقل من شهر وبعده ازرميدخت بنت كسرى ابرويز اخت بوران وهي التي جلدها رستم وقتلها لقتلها اباه ، ثم ولى بعدها كسرى بن مهر جشنس ولكن لم يبق ملكه الا اياماً وظل حالهم في اختلاف حتى ملك يزدجرد بن شهريار وهو آخر ملوك الفرس• كان انشغال الفرس بامور العرش قد انساهم العناية بامور الدولة كما ان الملك كان يساير رغبات الاحزاب وكبار رجال الدولة حسب مصالحهم الشخصية مما ادى الى تفكك الدولة وسوء تصريف امورها ، كما زاد من تفكك الدولة وضعفها العهد الطويل الذي مر على قيامها ؛ فقد انقضى على تأسيسها اربعة قرون وهو عصر طويل تزعزعت فيه اسس الامبراطورية واختل نظامها ؛ فلما تعرضت للفتح العربي لم تستطع الوقوف في وجه الانطلاقة العربية فهوت تحت ضربات المسلمين وخضعت لسلطانهم •

الدولة البيزنطية :

هي الدولة الكبرى الثانية التي كانت تنافس الدولة الفارسية في القوة والبأس وسعة النفوذ •

قامت هذه الدولة بعد انقسام الامبراطورية الرومانية الى دولتين الغربية وعاصمتها روما ، والشرقية وعاصمتها بيزنطة • وقد حدث هذا الانقسام سنة ٣٥٩م على ايام الامبراطورية تيوثيوس وكان اول ملك بيزنطي رقاديوس وقد توالى الملوك من بعده حتى كان ملكهم لاول العهد الاسلامي هرقل الذي توج سنة ٦١٠ م واستمر ملكا حتى سنة ٦٤١ م وهو الملك الذي سقطت على يده سوريا واستولى عليها المسلمون • كذلك كانت مصر تخضع لسلطان هذه الدولة فاستخلصها منهم المسلمون •

كانت الدولتان الساسانية والبيزنطية في صراع مستمر وكان ميدان الصراع العراق والشام وقد وقعت الحرب بين الجانبين سنة ٦١٦ م وانتصر الفرس فأجلوا الروم عما كان لهم من الجزيرة في الشمال واستمرت جنود الفرس توالى فتوحاتها حتى وصلت الى البسفور تسفك دماء من يقف في طريقها ، وتشن غاراتها على فنيقيا وفلسطين ، واخذوا من اورشليم خشب الصليب المقدس واتلفوا كثيرا من الآثار المسيحية ثم زحفوا على مصر فاخذوا الاسكندرية وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الحروب (الم غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد) وقد حدث ان قام هرقل ملك البيزنطيين برد الغارة على الفرس فاحرز انتصارات رائعة انتقم فيها من الفرس واذاقهم ما اذاقوه لبلاده ، وتوجت هذه الانتصارات ثورة في بلاط الفرس قتل فيها شيرويه اباه وصالح هرقل واعاد خشب الصليب المقدس فنال هرقل بذلك منتهى الفخار وذهب الى اورشليم سنة ٦٢٩ ليشكر الله على ما اتاه من النصر : وهذه السنة هي التي راسل فيها رسول الله (ص) الملوك يدعوهم الى الاسلام وكان ممن راسله هرقل وهو في ذلك الوقت باورشليم وطرد في ذلك الوقت اليهود من اورشليم وامر ان يظلوا بعيدين عنها ثلاثة أميال : وبعد ذلك عاد هرقل الى حمص وكانت منزلا له لأنها كانت مكان لهو وترف •

نخرج من هذا ان انشغال الدولة بالحروب الخارجية قد اضعف شوكتها بالاضافة الى الصراع الداخلي على العرش والمنافسة بين الاحزاب والفرق الدينية المسيحية وكل هذه الاسباب جعلتها اضعف من ان تقف في وجه تقدم العرب بحيث انتصروا عليها بسرعة خاطفة واستخلصوا منها بلاد الشام ومصر • وما بقى لها من املاك في شمال افريقيا حتى انزوت داخل حدودها في آسيا الصغرى حيث بقيت تناوش العرب المسلمين طوال عهد الراشدين والامويين والعباسيين حتى قامت دولة الاتراك العثمانيين اذ استطاع محمد الفاتح سلطان الدولة العثمانية ، احتلال القسطنطنية وبذلك قضى على الدولة البيزنطية وكان ذلك سنة ١٤٥٣ م •

الفتوحات العربية :

عاش العرب قبل الاسلام في رحاب الجزيرة العربية في مدنها وباديتها وصحاريها ولم يفكروا في غزو البلاد المجاورة او السيطرة عليها الا عندما تدفعهم الحاجة لتحسين احوالهم المعاشية فكانوا يتسربون الى العراق والشام تخلصا من شظف العيش الذي كانوا يلاقونه في برارى الجزيرة ؛ وكان تسربهم هذا افرادا او جماعات لا يتسم بالقوة أو السلطان وانما كان انضواء تحت حكم الدول المجاورة القوية ، وهما دولة الفرس ودولة الروم • لكن امر العرب قد تغير بعد اسلامهم فتكونت تلك الوحدة الدينية التي استظلت بظلها قبائل العرب ، تبع ذلك قيام وحدة قومية جمعت العرب في وحدة الهدف ووحدة العمل فاتجهوا بانظارهم الى خارج حدود الجزيرة فاستطاعوا خلال فترة وجيزة القضاء على الدولة المجاورة وبسطوا نفوذهم على بلاد الهلال الخصيب ؛ ثم امتد ذلك النفوذ الى حدود الصين شرقا وغربا الى جنوب فرنسا فخضعت لسلطانهم شعوب عدة وامم مختلفة فقامت بذلك الامبراطورية العربية الاسلامية واضطلع العرب منذ ذلك الحين بدورهم في بناء الحضارة البشرية ، وفي مسيرة التاريخ

الانساني العام ... ولو ان العرب لـــم يخرجوا من جزيرتهم مكتفين بحدودهم لما كان لهم هذا التأثير الذي ما زالت آثاره قائمة الى يومنا هـذا وستبقى هذه الآثار الى ما شاء الله .

انطلق العرب تدفعهم حماستهم الدينية هادفين الى نشـــر الدين الاسلامي في بقاع بعيدة عن الجزيرة العربية ، واعلاء كلمة الله معتقدين ان عليهم واجبا هو هداية الناس وانقاذهم من وهدة الجهل والضلالة . وقد شجعهم على تحقيق هذه الغاية ما ورد في القرآن الكريم من الآيات البينات التي توضح ان الاسلام لم يبعث للعرب فقط ، وانما بعث للنـاس كافة (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) و (سورة الفرقان) (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) (الاعراف) (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (سورة آل عمران) (هو الذي ارسل رســـوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (سورة التوبة) .

كما اندفع العرب للقتال والجهاد في سبيل الله وقد وقر في قلوبهم ان من مات منهم يدخله الله جنته ، وفيها النعيم المقيم ومن بقى منهـــم فسوف يحظى بنعيم الدنيا وعزها (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتلْ أو يغلبْ فسوف نؤتيه اجرا عظيما) (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بمـا آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وهكذا اندفع المسلمون يعمر قلوبهم الايمان وتملأ نفوسهم الحماسة لاعلاء كلمة الله ونشر دينه ليظهر هذا الدين على الدين كله .

بالاضافة الى هذا لابد لنا من ان نشير الى الدافع الاقتصادي الذي كان له تأثيره في اندفاع العرب الى هذه البقاع اعني بلاد الهلال الخصيب التي عرفوا خيراتها منذ القديم فكانوا يغزونها بين الحين والحين ساعين الى تحسين احوالهم الاقتصادية مما دفع بالفرس الى اقامة امارة الحيرة على حدود العراق ليردوا غارات العرب عن بلاد السواد ، كما اقام الروم امارة الغساسنة لمثل هذا الغرض ذكر البلاذرى في كتابه ، فتوح البلدان ، ان ابا بكر لما فرغ من امر اهل الردة رأى توجيه الجيوش الى الشام فكتب الى اهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم ، فسارع الناس اليه من بين محتسب وطامع واتوا المدينة من كل اوب[1] من هذا النص نستدل على ان الدافع الاقتصادي كان له تأثيره على اندفاع المسلمين للفتح .

واخيرا لابد ان نشير الى أهمية العوامل السياسية فقد رأى ابو بكر واصحابه ان يشغلوا العرب بمشروعات قومية عظيمة تصرف اذهانهم عن التفكير في المسائل الداخلية والدينية وتوجيه انظارهم لفتح البلاد المجاورة بدلا من الاقتتال فيما بينهم ذلك الاقتتال الذي حرمه الدين الاسلامي فوجد العربي الذي هيأ نفسه للقتال في كل وقت متسعا لاشباع رغبته في قتال الكفرة فيكون قد خدم الدين واشبع غريزته التي نمت وترعرعت على حب القتال ، بالاضافة الى ان ابا بكر كان يرى ان في وجود دولتين كبيرتين على حدود الجزيرة مانعا يجعل انتشار الدين الاسلامي امرا صعبا ؛ لذلك فكر في ازاحة هذين الحاجزين او كما كان يطلق عليهما اسد فارس واسد الروم ليسهل على الدين ان يجد طريقه الى نفوس تلك الشعوب التي ترزح تحت حكم هاتين الدولتين .

هذه هي الدوافع التي دفعت بالمسلمين الى ارسال الجيوش الى العراق

---

(١) البلاذى : فتوح البلدان ص١١٥ .

والشام ثم الى بقية البلاد التي خضعت لسلطان العرب .

فتح العراق :

خضع العراق للحكم الفارسي منذ سنة ٢٢٣ م واصبح جزءاً من املاك الامبراطورية الساسانية ثم اصبح في عهد انوشروان مركزا للدولة نفسها حتى جاء الفتح الاسلامي سنة (١٣ هـ - ٦٣٣م) .

اما عملية فتح العراق فقد تمت على مرحلتين الاولى قام بها خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني وابو عبيد بن مسعود الثقفي في خلافة ابى بكر . واوائل خلافة عمر . والمرحلة الثانية قام بها سعد بن ابي وقاص والنعمان بن مقرن المزني في خلافة عمر بن الخطاب (رض) .

تميزت المرحلة الاولى بأنها اشبه بالغارات التي كانت تشنها القبائل العربية قبل الاسلام . لذلك نجد ان قسما من سكان العراق من العرب ساعد الفرس اول الامر في معاركهم ضد المسلمين . على ان هذه المرحلة لم تأت بنتائج حاسمة فلم يرتكز الفتح ارتكازا قويا ولم تثبت اقدام المسلمين كما ان الفرس لم يكونوا قد قدروا قوة العرب ، والغرض الذي جاءوا من اجله بل حسبوا انهم انما جاءوا ليفعلوا كما كان اسلافهم من قبل للاغارة والسلب والنهب في حين انهم انما جاءوا فاتحين ومبشرين بدين جديد يدعو الى الحق والعدل والمساواة والايمان بالله وحده لا شريك له وبرسوله محمد (ص) حتى تجمع الفرس حول يزدجرد وتناسوا احقادهم واختلافاتهم وعولوا على ان يجمعوا للعرب كل قوتهم ليدافعوا عن كيانهم امام هذا الخطر الذي دهمهم، والذي يهددهم بتقويض دولتهم وعزهم السياسي . غير انهم لم يتمكنوا اول الامر من الثبات امام قوة خالد بن الوليد الذي تمكن من دحرهم في كثير من المعارك ونتيجة لذلك أصبح القسم الغربي من العراق من جنوبه الى شماله في قبضة المسلمين . اما القسم الشرقي فقد بقى في ايدى الفرس . فلنعد الآن الى

الحديث عن خالد بن الوليد نتابع تقدمه في ارض العراق والمعارك التي خاضها .

اختلفت الروايات حول خط سير خالد بن الوليد ، فرواية تذكر أن خالداً بعد ان فرغ من حرب اهل اليمامه ومسيلمة الكذاب اتجه بأمر من ابى بكر الى العراق ليعاون المثنى بن حارثة الشيباني الذي كان يناوش الفرس ، فدخل عن طريق الأبلة ثم صعد شمالا حتى انتهى الى الانبار . اما الرواية الثانية فتقول ان خالد بن الوليد دخل عن طريق الحيرة ثم اتجه الى ملاقاة الفرس في مواقع عدة من أرض العراق حتى انتهى الى الأنبار . ولكل من هاتين الروايتين مؤيدون فالرواية الثانية تقول ان خالدا اتجه الى الحيرة وهذا امر تحتمه العمليات العسكرية لأن الحيرة عاصمة امراء الحيرة والجيوش تتجه دائما الى مراكز الدول وعواصمها ويستندون في تأكيدهم لهذه الرواية الى الكتاب الذي اورده الطبرى وهو كتاب الصلح الذي عقده خالد بن الوليد مع اهل الحيرة وقرر فيه خالد فرض الجزية على اهل الحيرة واعتبر ارضهم ارض صلح يدفعون عنها ما اتفقوا عليه مع خالد بن الوليد .

اما الرواية الثانية فان مؤيديها يستندون الى الوضع الجغرافي ، فاليمامة التي انطلق منها خالد بن الوليد تقع جنوبي العراق واقرب بقعة لها من ارض العراق هي الأبلة مكان البصرة حاليا فلما امر خالد بالتوجه الى العراق انطلق الى الأبلة ومنها صعد شمالا . وكان ابو بكر قد امر عياض بن غنم ان يتجه الى العراق من اعلاه . ذكر الطبرى ان ابا بكر كتب الى خالد بن الوليد اذ امره على حرب العراق ان يدخلها من اسفلها والى عياض اذ امره على حرب العراق ان يدخلها من اعلاها ثم يستبقيا الى الحيرة[1] .

---

(١) الطبرى : الامم والملوك جـ٤ ص٥ .

وكانت أول معركة وقعت بين خالد بن الوليد وبين الفرس هي معركة الأبلة وكان مع خالد عشرة آلاف من المسلمين وقد انضم اليه المثنى ابن حارثة الشيباني ، وكان الفرس ثمانية عشر الفا عليهم الهرمزان وقد انتصر فيها العرب • ثم اتجه خالد شمالا فاصطدم بجيش فارس يقوده قارن بن قريانس في موقع المذار فانتصر خالد عليه انتصارا رائعا وقتل من الفرس عدد كبير • ذكر الطبرى انه ثلاثون الفا سوى من غرق ، وقتل قائدهم قارن • ولولا المياه لأتى على آخرهم ولم يفلت منهم من افلت الا عراة واشباه العراة • وكان وقوع هذه المعركة سنة ١٢ هـ •

وفي هذه السنة وقعت معركة الولجه ، وموقعها في وسط السواد قرب مكان واسط (وهي مدينة الشطرة الحديثة) • كان قائد الفرس الاندرزغر وكان فارسياً من مولدى السواد وقد حشد له كسرى جيشا كبيرا من الفرس والعرب والدهاقين ، واجتمعوا جميعهم في الولجه فتقدم خالد اليهم واقتتل الطرفان قتالا شديدا كان النصر فيه حليف المسلمين • اما قائد الفرس فقد هرب ومات عطشا • وقد قام خالد في المسلمين خطيباً يحرضهم على حرب الفرس ويرغبهم في ارض السواد ويزهدهم في بلاد العرب قال : (الا ترون الى الطعام كرفغ التراب ! والله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء الى الله عز وجل ، ولو لم يكن الا المعاش لكان الرأى ان نقارع عن هذا الريف حتى نكون اولى به ، ونولي الجوع والاقلال من تولاه ممن اثاقل عما انتم عليه) ثم كانت وقعة البس قرب السماوة الحالية أو نهر الدم وهي المعركة التي تلت معركة الولجة وسببها ان خالدا قد اوقع بعدد كبير من بني بكر بن وائل الذين اعانوا الفرس على حرب العرب فغضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الاعاجم وكاتبتهم الاعاجم فاجتمعوا جميعا الى اليس وولي كسرى قيادتهم بهمن جاذويه ، الا ان بهمن حاذويه اوكل قيادتهم الى جابان فتقدم جابان فاجتمعت اليه

المسالح[1] التي كانت بازاء العرب وعدد من القبائل العربية المتنصرة من بني عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من اهل الحيرة ونزل خالد بازاءهم ثم اقتتل الطرفان قتالا شديدا وكان الفرس يرجون وصول بهمن جاذوية فطاولوا القتال مع المسلمين وقال خالد اللهم ان لك على ان منحتنا اكتافهم الا استبقي منهم احد قدرنا عليه حتى اجرى نهرهم بدمائهم ثم ان الله كشفهم ومنحهم اكتافهم فامر خالد مناديه في الناس الاسر الاسر لا تقتلوا الا من امتنع فاقبلت الخيول بهم افواجا مستأسرين يساقون سوقا وقد وكل بهم رجالا يضربون اعناقهم في النهر ففعل ذلك بهم يوما وليلة فاصطبغ النهر بالدم وجرى الماء بلونه فسمي النهر بنهر الدم .

ثم كانت حادثة امغيشيا (قرب الديوانية) وهي الى الشمال من اليس اتجه اليها خالد بعد اليس فلما اقترب منها نفر منها اهلها وتفرقوا في السواد فامر خالد بهدمها وكل شيء كان في حيزها وكانت مصر كالحيرة واصاب المسلمون بها اموالاً كثيرة فقد وصل سهم الفارس الفا وخمسمائة حتى قال ابو بكر حين بلغه ذلك يا معشر قريش عدا اسدكم على الاسد فغلبه على خرا ذيله اعجزت النساء ان ينشئوا مثل خالد[2] .

سار خالد شمالا والتقى بالفرس وانتصر عليهم حتى انتهى الى الحيرة فحاصرها ولم يطل ذلك الحصار اذ استسلم اهل الحيرة وقبلوا دفع الجزية وكتب لهم خالد كتاب الصلح وفرض عليهم جزية سنوية مقدارها مائة الف وتسعون الف وقد وقع عن اهل الحيرة اياس بن قبيصه وعمرو ابن عبدالمسيح وغيرهم .

ولما افتتح خالد الحيرة جاءه امراء المناطق القريبة وصالحوه ومنهم

---

(١) المسالح : الحصون .

(٢) الطبري : الامم والملوك ، ج ٤ ص١١ .

صلوبا بن نسطونا فصالحه على بانقيا وبارسما على عشرة آلاف دينار سنويا وصالح خالد عدد من الدهاقين على مال كثير قدر بالف الف درهم وكتب لهم خالد كتابا بذلك ثم ارسل خالد طلائعه الى القرى المجاورة ثم بعث كتابين احدهما الى العامة والآخر الى الخاصة والعامة هم الفلاحون من النبط والخاصة هم الفرس يدعوهم فيه الى الاسلام .

(بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد الى مرازبة فارس . اما بعد فاسلموا تسلموا والا فاعتقدوا مني الذمة وأدوا الجزية والا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر) . وكان امراء فارس مختلفين فيمن يخلف اردشير الذي توفي في ذلك الوقت متساندين في قتال خالد وكانوا بذلك سنة والمسلمون يمخرون ما دون دجله وليس لاهل فارس فيما بين الحيرة ودجله امر قد فرض خالد على سكان هذه المناطق الجزية ثم خرج خالد من الحيرة يريد مساعدة عياض بن غنم الذي وقف عنه دومه الجندل[1] فلم يستطع فتحها . وفتح خالد الانبار وهو في طريق تقدمه بعد ان حاصرها وقاتل القوم واوصى رفاقه ان يتوخوا عيون المدافعين عنها ففقئت الف عين فسميت ذات العيون ثم تقدم خالد الى عين التمر فاستطاع فتحها وقتل من فيها من المقاتله وسبى ما فيها ، وكان فيها جمع كبير من العرب وجمع من العجم فاستأذن العرب العجم في قتال خالد فاذن لهم الفرس ولكنهم لم يثبتوا امام خالد فهربوا وهرب الفرس على اثرهم .

ثم اتجه خالد الى دومه الجندل ونجدة عياض بن غنم وكان على دومه الجندل الجودى بن ربيعه وقد استطاع خالد الانتصار على اهل دومه الجندل وفتحها ثم عاد الى الحيرة[2] .

---

(١) دومه الجندل بلدة تقع في بادية الشام وسطا بين العراق . والشام (الجوف حالياً) .

(٢) الطبري : الامم والملوك ، جـ٤ ص٥ .

حدثت معارك اخرى بين امراء خالد امثال القعقاع بن عمرو التميمي وجابر بن عبدالله البجلبي وبين الفرس من حصيد والختافس والثنى والزميل والفراض والفراض تحوم الشام والعراق وكان النصر للمسلمين في كل هذه المعارك ثم امر ابو بكر خالد بن الوليد بالتوجه الى الشام ليساعد الجيوش العربية التي ارسلت الى هناك وقد عهد خالد الى المثنى بن حارثه الشيباني بقيادة من بقى من المسلمين الا ان المثنى اضطر امام ضغط الفرس وقلة من معه ان يذهب الى المدينة يطلب من الخليفة ابى بكر امداده بقوة تساعده على تثبت اقدام المسلمين غير ان ابا بكر توفى وتولى الخلافة عمر ابن الخطاب (رض) .

فتح بلاد الشام

مقـــدمة :

خضعت بلاد الشـام للامبراطـورية الرومانيـة ثم للامبراطـورية البيزنطية وريثة تلك الامبراطورية وقد عملت هذه الدولة على تحصـين حدود بلاد الشام لمنع غارات البدو من مهاجمتها فاقامت امارة الغساسنة العربية على اطراف البلاد وقـد احتضت الامبراطورية البيزنطية هـذه الامارة وامدتها بكل وسائل القوة كي تستطيع الوقوف أمام تسرب العرب الى هذه البلاد كذلك لتقف الى جانب الامبراطورية في عراكهـا ضـد الدولة الساسانية • وقد اخلصت هذه الامارة في خدمة الامبراطورية حتى سنة ٥٨١ حين الفت الامبراطورية البيزنطية هذه الامارة •

تعرضت بلاد الشام نتيجة لذلك الى الغزو الفارسي حيث استطاع كسرى ابروير احتلال بلاد الشام ودخل فلسطين وتوغل في بلاد آسيا الصغرى وهدد عاصمة البيزنطيين الا ان هرقل امبراطور الدولة البيزنطية الذي اعتلى العرش سنة ٦١٠ استطاع طرد الفرس وخلص بلاد الشام ولحق بالفرس حتى عاصمتهم المدائن • انتهت هذه الحرب بعقد الصلح بين كسرى شيرويه وهرقل واعاد كسرى خشب الصليب المقدس الى بيت المقدس وكان قد نقله منها الى عاصمة ملكه فحضى هرقل باحترام المسيحيين ودخل بيت المقدس دخول المنتصرين ثم رحل عنها الى حمص الذي اتخذها مركزا له وكان ذلك سنة ٦٢٩ وقد بقى هرقل في بلاد الشام حتى تعرضت للفتح العربي الاسلامي[١] •

سكنت بلاد الشام بعض القبائل العربية إلى جانب السكان الاصليين

---

(١) فيليب حتي – تاريخ العرب ج١ ص١٩٩ •

من الآراميين وكانت اللغة الآرامية واللغة العربية هي لغات اغلب السكان الى جانب اللغة البيزنطية وهي لغة الدولة الحاكمة .

اما الديانة الرئيسية فهي الديانة المسيحية فكانت ديانة الدولة الحاكمة وديانة الآراميين والقبائل العربية الا ان هؤلاء كانوا على مذاهب ثلاث اذ اعتنق بعضهم المذهب النسطوري الذي عارض اتباعه مذهب الدولة الحاكمة فلاحقت الدولة هؤلاء وقد اضطروا الى الالتجاء الى الدولة الساسانية التي احتضنتهم نكاية بالدولة البيزنطية[1] . كما كان هناك المذهب اليعقوبي الذي اعتنقه اكثر العرب بتشجيع ورعاية امارة الغساسنة . واما المذهب الثالث فهو المذهب الملكاني وهو مذهب الدولة الحاكمة وكان نتيجة لذلك ان ثار الصراع بين اتباع هذه المذاهب ولاحقت الدولة البيزنطية اتباع المذاهب المخالفة لمذهبها الرسمي .

اما سلوك الدولة تجاه الشعب الشامي فقد ظهرت آثاره من ترحيب الشاميين بالعرب الفاتحين حيث فضلوهم عن ابناء دينهم مما يدل على ان البيزنطيين لم يكونوا يحسنون معاملة المحكومين من الشاميين فاثقلوا عليهم الضرائب واشتدوا في معاملتهم كما ان الارتباك وتعرض البلاد لمآسي الحروب المتلاحقة بين البيزنطيين والفرس كل هذه الامور جعلت الحكم البيزنطي ثقيلا على أهل الشام مما حمل هؤلاء على الترحيب بالجيوش العربية الفاتحة والاطمئنان لحكم العرب المسلمين .

عملية الفتح :

بدأت حركة الفتح العربي لبلاد الشام في عهد ابي بكر بعد القضاء على حركة الردة وتمت هذه العملية في خلافة عمر بن الخطاب ويمكننا تقسيمها الى فترتين :

---

(١) جواد علي ـ تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٦ ص٧٩ .

الفترة الاولى :

وهي فترة جس النبض التي قام بها القواد العرب الاربعة الذين أرسلهم أبو بكر الصديق (ر) .

الفترة الثانية :

وهي التي بدأت بتجمع العرب في اليرموك والتحاق خالد بن الوليد بهذه الجيوش بعد تركه العراق ووقوع معركة اليرموك وانتصار العرب وتتابع انصاراتهم في المعارك الاخرى .

اما سير الاحداث فقد بدأت بعد القضاء على المرتدين اذ سيّر أبو بكر الصديق أربعة جيوش لفتح بلاد الشام تحت امرة أربعة قواد هم :

١ ـ أبو عبيدة بن الجراح ووجهته حمص .

٢ ـ عمرو بن العاص ووجهته فلسطين .

٣ ـ يزيد بن أبي سفيان وجهته دمشق .

٤ ـ شرحبيل بن حسنه ووجهته وادي الاردن .

انفذ أبو بكر هؤلاء القادة الاربعة في أمرة كل واحد منهم ثلاثة آلاف مقاتل اول الامر لكن أبو بكر اتبعهم بالعديد من الرجال حتى بلغ عدد هذه الجيوش أربعة وعشرين الفا[1] .

كانت اول معركة بين المسلمين والروم معركة وادي عربه جنوب فلسطين وقد انتصر المسلمون على القوة البيزنطية التي تصدت لهم الا ان تجمع البيزنطيين اشعر قادة المسلمين بهذه القوة فكتب عمرو بن العاص الى الخليفة ابي بكر يعلمه كثرة عدد العدو وعدتهم وسعة ارضهم فكتب أبو بكر الى خالد بن الوليد وهو بالعراق يأمره بالمسير الى الشام وتأميره

---

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص١١٧ .

على الجيوش الاسلامية هناك . كانت هذه الجيوش قد تجمعت بأمر أبي بكر في موقع واحد لتقوى على مقارعة العدو وكان مكان اجتماعها في وادي اليرموك وكانت الجيوش البيزنطية التي جمعها هرقل قد تجمعت هي الاخرى وعسكرت على اليرموك في مكان يقال له الواقوصة وبقي الجيشان على حالهما حتى وصل خالد بن الوليد من العراق فتسلم قيادة الجيوش العربية واعتقد ان توجيه خالد الى الشام والعهد له بقيادة الجيوش يعود للانتصارات التي احرزها في العراق ومن قبل على المرتدين تيمنا بقيادته وهو سيف الله المسلول الذي سله على أعدائه .

مسيرة خالد الى بلاد الشام :

امتثل خالد لامر ابي بكر وخرج من الحيرة وخلف المثنى بن حارث الشيباني على قيادة من بقي من المسلمين وسار في شهر ربيع الآخر (كانون الثاني) سنة ثلاثة عشرة في خمسمائة من جند المسلمين فاتى عين التمر ففتحها ومنها سار متجها الى بلاد الشام عبر بادية الشام حتى وصل قراقر وهو ماء لقبيلة كلب وما زال يحتفظ بهذا الاسم حتى الآن وفي قراقر عمد الى الرواحل أي الجمال فارواها من الماء ثم قطع مشافرها واجراها لئلا تجتر فتعطش ثم استكثر من الماء وحمله معه وتقدم في طريقه فجعل ينحر تلك الرواحل راحلة راحلة ويشرب واصحابه الماء المحمول اما خيولهم فتشرب الماء المستخرج من اكراش الرواحل المذبوحة وكان له دليل يقال له رافع ابن عمير الطائي وبعد مسيرة خمسة أيام نضب كل ما لدى خالد من الماء كما اتى على آخر راحلة من الرواحل التي اكتنز الماء في بطونها وبداء الاعياء يصيب خيله ورحله حتى الدليل بات عاجزا عن العثور على الماء ويقال انه اصيب بالرمد وكل ما استطاع عمله ان طلب الى رجال خالد ان يبحثوا عن عسلوج من الشوك فعنده بئر وكان عمير قد عرف هذه البئر من قبل عند ذلك العسلوج وبعد بحث

مضن عثر الرجال على الماء عند ذلك العسلوج فارتوى القوم وارتوت خيولهم واتجه خالد بعد ذلك الى تدمر فهاجمها واستولى عليها ثم احتل القريتين ثم اشتبك مع الروم بالقرب من دمشق في مرج راهط التي تبعد (١٥) ميل عن دمشق وبعد ذلك اتجه الى درعا وكانت بها جيوش المسلمين هناك .

معركة اليرموك :

نزل الروم وتجمعت جموعهم على نهر اليرموك في الواقوصة ومن وراءهم هرقل يمدهم بالمؤن والرجال حتى أصبح عددهم مائتا وأربعين الفا وعلى قيادتهم باهان والقساوسة والشماسة يحرضونهم على القتال وقد انضم اليهم جبلة بن الايهم أمير غسان ومعه ستون الفا من العرب المتنصرة وكان البزنطيون قد نظموا الخدمات الادارية والتنظيمية في جيشهم على أحسن منوال فلقد كان لكل فصيل من المشاة مؤلف من ستة عشر رجلا عربة خاصة بالفصيل تحمل لجنوده الفؤس والمجارف لاعمال الحفر ومطحنة لطحن القمح وغير ذلك من الادوات والمعدات وتسير مع الجيش[١] وحدة اسعاف تضم الاطباء والجراحين وحملة نالاقت الجرحى وكان التدريب العسكري ينفذ بدقة ونظام .

امام هذا الجيش النظامي الرفيع التدريب تقف جماعات من ابناء القبائل غير المدربين فهم لا يعرفون شيئا عن فنون الحرب الا ما تعودوا عليه في حروبهم من الكر والفر وسرعة الحركة التي كانت عاملا في انتصاراتهم التي احرزوها في كل معارك بلاد الشام ولعل أهم عامل في انتصاراتهم هذه يعزى الى روحهم المعنوية العالية فهم ناريو المزاج محاربون بطبيعتهم وادى تطلعهم الى الاستشهاد طمعا في فراديس الجنة

---

(١) غلوب ـ الفتوحات العربية الكبرى ـ ص٢٤٨ .

التي وعدوا بها الى ان يقاتلوا بحمية تفوق تماما ما كان لدى اعدائهم من الروم من تفوق في السلاح والانضباط .

خلال هذه الفترة حدثت معركة اجنادين وموقعها في جنوب فلسطين اذ حاول هرقل ان يقطع عن المسلمين الامدادات ويفصل بين المسلمين ومركز الخلافة ليستطيع ضربهم من الخلف لكن المسلمين اتجهوا الى اجنادين تاركين بعض قواتهم في اليرموك وكان قائد المسلمين خالد بن الوليد وقد ابلى بلاء حسنا في هذه المعركة وانتهت بانتصار العرب على القوة الكبيرة التي تجمعت والتي قدرتها المصادر التاريخية بمائة الف مقاتل[1] .

عاد المسلمون بعد احرازهم النصر في هذه المعركة التي حدثت في السنة الثالثة عشرة هجرية الى اليرموك حيث وقعت المعركة الحاسمة والتي حددت موقف المسلمين وموقف البيزنطيين .

نشوب القتال :

عبء الروم جندهم على نظام الكراديس وخرج المسلمون وقد عبأهم خالد على نظام الكراديس (الكردوس الفرقة ـ تضم حوالي الف) وكان عدد الكراديس اربعون كردوس وجعل على القلب ابا عبيدة بن الجراح وعلى الميمنة عمرو بن العاص وعلى الميسرة يزيد بن ابي سفيان وكان خالد في المقدمة وقد شهد اليرموك الف رجل من اصحاب رسول الله (ص) وفيهم مائة من أهل بدر وكان ابو سفيان يقف على الكراديس فيقول الله الله انكم ذادة العرب وانصار الاسلام وانهم ذادة الروم وانصار الشرك اللهم ان هذا يوم من أيامك اللهم انزل نصرك على عبادك ، وروى ان رجلا من المسلمين قال لخالد وخالد يمر بالصفوف ما اكثر الروم واقل المسلمين ، فقال خالد ما اقل الروم واكثر المسلمين انما تكثر الجنود

(١) غلوب ـ الفتوحات العربية الكبرى ص٢٤٩ .

بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ثم امر خالد عكرمة بن ابي جهل والقعقاع بن عمرو التميمي ان ينشبا القتال فنشب القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان فانهم على ذلك اذ قدم البريد من المدينة يحمل رسالة عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة يعلمه بوفاة ابي بكر وعزل خالد وتوليته قيادة الجيوش الا ان صاحب البريد لم يخبر احد وانما اخبر خالد سرا فكتم خالد الامر حتى انتهت المعركة .

بدأت المعركة بهجوم الروم فتراجع المسلمون عن مواقعهم حتى كداوا ان يصلوا فسطاط خالد الا ان عكرمة بن ابي جهل واربعمائة من الفرسان ثبتوا حتى اضطر الروم الى الرجوع الى مواضعهم ثم تقدم خالد الصفوف وجال بينها واشتبك الطرفان حتى زال النهار وكان ضغط العرب موجها نحو فرسان الروم وقد استطاع العرب الحاق الهزيمة بهؤلاء ففروا من أرض المعركة واقبل خالد والمسلمون بعد ذلك على الرجال (المشاة) فقضوهم فكأنما هدم بهم حائط فافتحوا في خندقهم فاقتحمه عليهم فعمدوا الى الواقوصة حتى هوى فيها المقرنون (أي المربوطون بالسلاسل) وغيرهم فمن صبر من المقرنين للقتال هوى به من جشعت نفسه فيهوى الواحد بالعشرة لا يطيقونه كلما هوى اثنان . كانت البقية اضعف فتهافت في الواقوصة عشرون ومائة الف . ثمانون الف مقرن بالسلاسل واربعون الف مطلق سوى من قتل في المعركة من الخيل والرجال وقتل احد قوادهم (تذارق) وهو أخر الامبراطور هرقل وقتل من المسلمين ثلاثة آلاف وفيهم عدد من كبار الصحابة وهكذا تم للمسلمين النصر في هذه المعركة التي وقعت في السنة الثالثة عشرة من الهجرة .

بعد الانتهاء من المعركة تسلم أبو عبيدة من خالد بن الوليد قيادة

(١) الطبري – الامم والملوك حـ٤ ص٣٨ .

الجيوش كما امر عمر بن الخطاب (رض) وكان موقف خالد من عزله موقف الجندي المخلص الذي يحارب سواء كان قائدا أو جنديا قال خالد (اني لا احارب من اجل عمر ولكن احارب من اجل رب عمر) فلم تهن عزيمته او يساوره ضعف او تخاذل انما ظل يحارب بكل قوة واندفاع شأنه في ذلك شأن بقية المسلمين الذين اخلصوا في جهادهم لاعلاء كلمة الله ونشر دينه ٠

كان عزل خالد ليس عن خيانة او عيب وانما خشى عمر ان يرهق خالد المسلمين ويحملهم فوق طاقتهم لان خالد كان لا يبالي بالخسائر في سبيل احراز النصر كما ان عمر خشى ان يفتتن المسلمون بخالد ويضفون عليه هالات التقديس من جراء هذه الانتصارات التي احرزها فلم يخسر معركة خاضها سواء كان ذلك في العراق أو في الشام قال عمر بن الخطاب (لاعزلن خالد بن الوليد والمثنى بني شيبان حتى يعلمان ان الله انما كان ينصر عباده وليس اياهما كان ينصر)[1] ٠

ومن اعمال ابي بكر جمعه القرآن الكريم لاول مرة ٠ كان لابي بكر من يعاونه في تدبير امره فكان عمر بن الخطاب قاضيه وقيل انه مكث سنتين لا يأتيه احد وكان على بيت المال ابو عبيدة بن الجراح وكان يكتب له علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان ومن حضر من الصحابة رتب لابي بكر راتبا سنويا مقداره الفين درهم وزيد بعد ذلك خمسمائة درهم وقيل بل رتب له ثلاثة دراهم في كل يوم وهذا الراتب ليعتاش به عوضا عن التجارة التي كانت مصدر رزقه فلما تولى الخلافة اصبح غير قادر على الاستمرار في التجارة فعوض عن ذلك بهذا الراتب كما كان يأخذ برأي الصحابة في أمور العامة ويستشيرهم[2] ٠ وأخيرا فان ابا بكر

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى حـ٣ ص٢٨٤ ٠
(٢) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص٧٨ ٠

قد ضبط الامور بيد من حديد ولم يترك في خلافته سبيلا الى الشهوات وخصوصا ما أدى منها الى الفرقة وكان لا ينعم بشيء من مناعم الملك بل هو في الزهد والتواضع والنسك على مثال صاحبه ، رسول الله (ص)[1] مع هذا فقد كان الصديق موضع اجلال بكل ما في الاجلال من المعاني ما خرج انسان عن رضاه وما جسر احد ان يجهر بذات نفسه وأي عاقل يجرؤ على الخلاف لمن كان جمهور المسلمين يعجبون بسيرته وكان كل هـذا من العوامل الفعالة في تطبيق مفاصل سياسته وسر تغلبها لانه لم يكن له مأرب في شيء في امر الدنيا ولا احب جلب النفـع الى ولده واهله • ومواليه وعشيرته دون سائر الناس •

مرض أبو بكر في أيامه الاخيرة ولما شعر بدنو اجله اوصى بالخلافة من بعده الى عمر بن الخطاب (رض) بعد ان استشار الصحابة واخذ رأي الناس فيه فوافقوا على اختياره •

توفي أبو بكر في السنة الثالثة عشرة من الهجرة فارتجفت المدينة بالبكاء كيـوم قبض النبي (ص) ودفن الى جـوار الرسـول الـكريم رحمه الله •

---

(١) المسعودي – مروج الذهب جـ٢ ص٣٠٥ •

عمر بن الخطاب (رض)

(١٣هـ - ٢٣هـ ٦٣٤م - ٦٤٤م)

ليس في التاريخ الاسلامي بعد رسول الله (ص) رجل تردد الالسن اسمه ما تردد اسم عمر بن الخطاب وهي تردده وتقرن به اعجاب واكبارا ما عرف عن عمر من جليل الصفات وعظيم الواهب فاذا ذكر الناس الزهد في الدنيا مع المقدرة على النهل من انعمها ذكروا زهد عمر واذا ذكرروا العدل المطلق غير مشوب بشائبة ذكروا عدل عمر واذا ذكروا النزاهة لا يفرق صاحبها بين اقرب الناس اليه وابعدهم عنه ذكروا نزاهة عمر واذا ذكروا العلم والفقه في الدين ذكروا فقه عمر ودينه وانت تتلو من انباء ذلك في الكتب ما تحسب الكثير منه مبالغة لا يكاد العقل يصدقها فهي أدنى الى المعجزات التي تنسب الى الانبياء منها الى ما عرف عن اكبر العظماء سموا وجلال قدر ، فعمر مؤسس امبراطورية شمخت بقوتها وقدرتها وزهت بعدلها وتسامحها وسمت بدينها وعقيدتها فهي درب الخلاص للذين عشت عيونهم وتفرقت بهم السبل ليجدوا الامن والاستقرار والحرية والاخاء في رحابها وعمر كذلك واضع الاسس الاولى للنظم الاسلامية ادارية واقتصادية لتتركز الدولة الجديدة على اسس متينة قوية فقد عرف كيف يسوس الناس من بدو ساذجين اخشوبنت حياتهم وتقرنت طبائعهم وحضر رقت طباعهم وسلس قيادهم فحوى عمر كل ذلك واستطاع ان يصهر هذه الجموع في وحدة متماسكة تجمعها رابطة الدين وتظللها سيادة واحدة اتسمت بالطبع العربي والمثل العربية والخلق العربي الذي هذبه الاسلام وصقلته الانتصارات .

نسب عمر :

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن عدى وعدى بطن من بطون قريش وامه حنتمه بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم لقبه الرسول بالفاروق لان اسلامه فرق بين الحق والباطل وكنيته ابو حفص كناه الرسول بها لما رأى فيه من الشدة والعنف • ولد عمر قبيل حرب الفجار بأربع سنين وقيل أيضا بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة •

وقد لقب بأمير المؤمنين ويدل اللقب الجديد على الصفة العسكرية للحاكم اذ كانت الامة العربية في أيامه قد جندت واندفعت للقتال في سبيل الله •

عاش عمر شبابه في مكة وشارك اهلها لهوهم وجدهم وقد رعى الغنم لأبيه الخطاب وهو صغير وكان الخطاب قاسيا في معاملة ابنه يعاقبه أشد العقاب على خطأ يرتكبه فتسربت هذه الشدة الى سلوك عمر نفسه كما عرف حياة اللهو فشرب الخمر شأنه شأن شباب قريش وقد اشتهر بالقوة في جسمه فكان مصارعا قويا لم يستطع أحد التغلب عليه[1] •

الى جانب هذا فقد نشأ عمر نشأة عالية فكان مثال الفصاحة والبلاغة والصراحة في الحق • عمل في التجارة فكان يختلف مع ابناء قومه الى الشام وغيرها من البلدان كما كانت اليه السفارة وهي الوظيفة التي كانت لبني عدى اذ كانت الوظائف الرئيسية في مكة موزعة على بطون قريش العشرة فالسقاية مثلا مبني هاشم والاعنة لبني مخزوم والديات لبني نميم والسفارة الى بني عدى وقد قام عمر بالسفارة بين قريش وبين القبائل الاخرى وكانت السفارة في ذلك الوقت هي ان ينوب صاحبها عن قريش فيما اذا وقعت حرب او مفاخرة او منافرة بينها وبين القبائل الاخرى ولابد

(١) المسعودي – مروج الذهب جـ٢ ص٣١٣ •

للسفير من ان يتصف ببعض الصفات التي تؤهله للقيام بهذه المهمة منها الشجاعة والفصاحة والذكاء وسرعة البديهية ليستطيع ان ينجح في مهمته وقد توفرت في عمر كل هذه الصفات فكان عزيز الجانب محترما قوي الشكيمة شديد البأس • وقد اظهر شدته في محاربته الدعوة الاسلامية قبل اسلامه ثم اظهر شدته هذه بعد اسلامه في محاربة المشركين وتأكيد مبادىء الدين الأسلامي •

اسلام عمر :

اسلم عمر في السنة الخامسة للدعوى الاسلامية وكان عمره ست وعشرون سنة بعد اربعين شخصا سبقوه في الدخول الى الاسلام وكان الرسول الكريم يود لو اسلم عمر ليقوى الاسلام به فكان يقول اذا رأه اللهم اعز الدين بعمر بن الخطاب •

وكان لا يخفي اسلامه فلم يكن يجرأ أحد من القريشيين على معارضته قال عبدالله بن مسعود (كان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت امارته رحمة لقد رأيتنا وما نستطيع ان نصلي بالبيت حتى اسلم عمر فلما اسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا)[1] •

صحب عمر الرسول فأحسن الصحبة وبالغ في نصرته ووقف حياته للدفاع عن الاسلام •

هجـــرته :

قست قريش على الرسول والمسلمين فصبوا غضبهم على من اسلم وعذبوا النساء والرجال ووقفوا حائلا منيعا في وجه انتشار الدعوة الاسلامية فرأى الرسول الكريم ان لا بد من مجال آخر لنشر الدعوة فاتجه الى الطائف وخالط الاعراب فلم يجد ما يرغب الا ما كان

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية حـ١ ص٣٤٢ •

من أهل يثرب الذين سارعوا الى موافقته والدخول في الدين والانتصار له فعزم الرسول على الهجرة الى يثرب واذن للمسلمين بالهجرة فخرج المسلمون ارسالا زرافات ووحدانا سرا الا ما كان من امر عمر بن الخطاب فقد خرج علنا وتحدى قريشا فلم يجرؤ أحد على منعه والوقوف في طريقه وقد تميز بهذا على بقية المهاجرين[1] .

عمر مع الرسول :

صحب عمر الرسول في أكثر أوقاته وشارك في معظم الغزوات فكان بذلك قوي الصلة به وكان كثيرا ما يناقش الرسول ويقترح عليه في أمور المسلمين الدينية والدنوية ومن هذه المواقف انه اقترح على الرسول ان يتخذ مقام ابراهيم مصلى فنزلت الآية (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) كما انه قال للرسول الكريم يدخل على نسائك البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله) وكذلك قال عمر اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافيا فانزل الله تحريمها (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) كما اعترض على الرسول صلاته على زعيم المنافقين عبدالله ابن ابي عند وفاته اذ قال عمر للرسول يا رسول الله او على عدو الله ابن ابي القائل يوم كذا كذا فنزلت الآية (ولا تصل على احد منهم مات ابدا) ومن الحوادث الاخرى التي رأى فيها عمر رأيه مسألة اسرى بدر فقد استشار الرسول المسلمين في الامر فانتهو الى قبول الفداء الا ما كان من امر عمر اذ كان رأيه ان يقتل هؤلاء ولكن الرسول اخذ برأى الاكثرية وهو الفداء واطلق سراحهم فما لبث بعد ذلك الا قليل حتى نزل قوله تعالى (ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية حـ١ ص٤٧٤ .

يريد الآخرة والله عزيز حكيم)[1] ولعمر موقف آخر وهـو موقفه في صلح الحديبية الذي عقد بين الرسول وقريش وذلك في السنة السادسة للهجرة وكان مدعى هذا الصلح ان الرسول قصد مكة معتمرا فلما وصل الحديبية خرجت قريش تمنعه دخـول مكة عنوة ثم جـرت مفاوضات بين الجانبين انتهت الى هذا الصلح ومن بنود هـذا الصلح عودة المسلمين الى المدينة وان لا يدخلوا مكة الا في العام المقبل وكذلك وقف الحرب بين الجانبين مدة عشر سنوات كذلك نص هذا الصلح على امر مهم عارضه عمر وعامة المسلمين الذين كانوا مع الرسول وهـو من حق قريش ان تطلب برد ابنائها اذا ما اسلموا وان يعيدهم الرسول الى قومهم وليس للرسول ان يطالب باعادة من اسلم والتجأ اليهم فما كان من عمر الا ان قال يخاطب الرسول محتجا على بنود الصلح قال يا رسول الله الست برسول الله قال بلى اولسنا بالمسلمين قال بلى قـال اوليسوا بالمشركين قال بلى قـال فعلام نعطي الدنيه في ديننا قال أنا عبد الله ورسوله لن اخالف امره ولن يضيعني) مع ذلك كان الرسول يقول (عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان)[2] .

هذا شأن عمر مع الرسول اما شأنه مع خليفته ابي بكر فكان اشبه ما يكون بالوزير والمعاون الاول ، ومن الامور التي ظهرت فيها معاونة عمر لابي بكر انه هو الذي بايع ابا بكـر في اجتماع سقيفة بني ساعدة وبذلك قضى على النقاش بين المهاجرين والانصار بأن جعـل الخلافة في قريش في شخص ابي بكر وقضى على الفكرة التي طرحها الانصار بأن يكون منهم أمير ومن المهاجرين امير . كما وقف عمر مع ابي بكر في حروب الردة وساعده في جمع القرآن وتولى الفصل بين الناس وان لم يطلق عليه اسم القاضي .

(١) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص١٢٣ .
(٢) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك حـ٣ ص١٩٢ .

بيعة عمر :

تولى عمر الخلافة بموجب بيعة أبي بكر فقد رأى ابو بكر بثاقب بصيرته وبعد نظره ان يجعل الامر لرجل خوفا على المسلمين من الفرقة والاقتتال فاستشار كبار الصحابة واخذ رأيهم في عمر فلما رأى اتفاقهم على صلاحه للخلافة كتب بذلك عهده لعمر ، يلاحظ ان ابا بكر لم ينتخب احدا من ابنائه او اقربائه وانما انتخب شخصا اجمع الناس على احترامه لما امتاز به من الصفات وكان رأي ابي بكر انه اختار عمر لمصلحة المسلمين ويظهر هذا من قوله (اللهم لم ارد الا خيرهم فوليت عليهم خيرهم واقواهم عليهم واحرصهم على ما ارشدهم[1] .

اوضح عمر خطط سياسته في الخطبة التي القاها بعد ان نفض يديه من دفن ابي بكر قال (انما مثل العربي كمثل جمل انف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده واما أنا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق) وهنا يظهر الحزم والشدة التي اجهد عمر نفسه في السير عليهما ما دامت في مصلحة المسلمين ودينهم لا يقف في سبيله هذا أي اعتبار أو عارض وقد خص نفسه أولا قبل غيره بالشدة والزمها الطاعة واخذها بما هو قاس حتى يكون قدوة لغيره ولجميع المسلمين .

فمن شدته على نفسه ان حفصة وعبدالله أولاده كلموه فقالوا لو اكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق قال اكلكم على هذا الرأي قالوا نعم قال قد علمت نصحكم ولكنى تركت صاحبي على جادة فان تركت جادتهما لم ادركهما في المنزلة ورؤى عمر وهو يحمل قربة على عنقه فقيل له في ذلك فقال ان نفسي اعجبتني فاردت ان اذلها . وفي عام الرمادة وهو العام الذي اجدبت فيه الارض وامحلت لقلة المطر فتغير لون الارض فأصبح كالرماد وكان ذلك في السنة السابعة عشرة للهجرة فشاع الجوع والهلاك في سكان

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى حـ٣ ص٢٠٠ .

الجزيرة العربية فما كان من عمر ان حلف ان لا يأكل الا الخبز والزيت وحرم على نفسه السمن واللحم حتى يحيى الناس وكان يعتقد ان صاحب الامر يجب ان يكون في مستوى الرعية ليشعر بما يشعرون به وكان يقول كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يمسني ما يمسهم[1] .

كما كان شديدا مع اهله فاذا أراد ان ينهى الناس عن شيء تقدم الى اهله فقال لا اعلمن احدا وقع في شيء مما نهيت عنه الا اضعفت له العقوبة . وهذا عبدالرحمن ابنه شرب الخمر في مصر واقام عليه عمرو بن العاص الحد ولكن عمر لم يكتف بذلك بل امر ان يأتي به الى المدينة فأقام عليه الحد فجعل عبدالرحمن يصيح انني مريض وانك قاتلي فمرض بعد ذلك ومات .

اما شدته مع عماله فتظهر في مصادرته لاموالهم كما فعل مع عمرو بن العاص أمير مصر ومع أبي هريرة عامله على البحرين ومع خالد بن الوليد . كما كان قاسيا في معاملتهم ذكر الطبري ان عمر اتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه فاقبل سعد بن ابي وقاص يزاحم الناس حتى خلص اليه فعلاه عمر بالدرة وقال انك اقبلت لا تهاب سلطان الله في الارض فاحببت ان اعلمك ان سلطان الله لن يهابك . وقصة المصري الذي ضربه ابن عمرو بن العاص فجاء يشتكي الى عمر منه فلما وافى الموسم حضر عمرو بن العاص وابنه فطلب عمر بن الخطاب من المصري ان يضرب ابن عمرو بن العاص فأخذ يضربه وأمره ان يضرب أباه ولكن المصري أبى ان يفعل ذلك . وقصة الامير الغساني جبلة بن الابهم الذي ضرب أعرابيا لانه داس على طرف ردائه فأمر عمر جبلة ان يقعد لذلك الاعرابي ليقنص منه فهرب جبلة وخرج من بلاد الاسلام ولحق بالروم .

مع كل هذا كان عمر حريصا على العرب فكان يقول لا تضربوا العرب

(١) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص١٢٨ .

فتذلوها كما كان راعيا لامورهم حريصا لدينهم ودنياهم •

الفتوح في خلافة عمر :

فتح العـراق :

كان خالد بن الوليد قد ترك العراق واتجه الى بلاد الشام وقد عهد الى المثنى بن حارثة الشيباني بقيادة الجيوش العربية • الا ان المثنى اضطر امام ضغط الفرس ان يذهب الى المدينة المنورة ليطلب من الخليفة ابي بكر امداده بقوة تمكنه من تثبيت أقدام المسلمين الا ان الخليفة أبا بكر قد توفى وتولى الخلافة عمر بن الخطاب الذي ندب الناس للتوجه الى العراق وقد لاقى صعوبة في اقناع المسلمين لانهم كانوا يخشون قوة الفرس •

عهد عمر بقيادة المسلمين المتجهين الى العراق الى ابي عبيد بن مسعود الثقفي فاتجه الى الحيرة واستعادها من الفرس ثم اتجه بعـد ذلك لملاقاة جموع الفرس في معركة الجسر •

معركة الجسر : او قس الناطف

وهي المعركة التي اندحر فيها المسلمون ذلك ان ابا عبيد بعد ان دخل الحيرة تقدم شرقا وكان الفرس قد اعدوا قوة هائلة وعهد الى بهمن جاذوية قيادتها ومع هذه القوة فيل اثرت على هزيمة العرب وقد حمل قائدهم راية كسرى وهذه الراية لا تخرج الا في المعارك الهامة ونزل هذا الجيش على الفرات من ناحية الشرق ونزل المسلمون في ناحية الغرب في مكان يقال له المروحة فبعث بهمن جاذوية الى ابي عبيد قائد المسلمين يقول له اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم فامر ابو عبيد اصحابه بالعبور غير ملتفت الى اعتراض اصـحابه وقـال لا يكونوا اجـرأ على المـوت منـا فعبروا اليهم وهم في منزل ضيق المطرد والمذهب فاقتتلوا يوما ولما استبطأ أبو عبيد النصر هجم على الفيل فضرب مشفره فخبطه الفيل فقضى عليـه • فوهن

(١) الطبري ـ الامم والملوك حـ٤ ص٧١ •

المسلمون وركبهم اهـل فارس فبادر رجـل من ثقيف الى الجسر فقطعه فانتهى الناس اليه والسيوف تأخذهم من خلفهم فتهافتوا في الفرات فاصابوا يومئذ من المسلمين اربعة آلاف بين غريق وقتيل وحمى المثنى الناس حتى عقدوا الجسر وعبر المسلمون واصيب المثنى بجراح نتيجة لذلك وكانت من نتائج هـذه المعركة ان هـاب المسلمون التوجه الى العراق لمـا لحق بأصحابهم يوم الجسر كما ان الفرس قد استعادوا ثقتهم بانفسهم وعادت ثقة اهل السواد بهم وقد دارت بعدها معارك عدة كان النصر فيها للمسلمين وأهم هذه المعارك معركة البويب التي وقعت قرب موقع الكوفة وكان قائد الفرس مهران وقائد المسلمين المثنى بن حارثة ومعه عرفجة بن هرثمـة وجرير بن عبدالله البجلي وعاصم التميمي وكانت طبيعة المعركة تشبه الى حد كبير معركة الجسر فقد عبر الفرس النهر واحاط بهم العرب وقطعوا الجسر من خلفهم ولم يكد ينتهي النهار حتى هزم المشركون وقتل منهم عدد كبير حتى سميت معركة البويب معركة ذات الاعشار لانه عد مائة منهم قتل كل واحد منهم عشرة من العجم وهكذا ثأر المسلمين لانفسهم من معركة الجسر والسبب الرئيسي الذي حقق النصر للمسلمين كثرة من اجتمع من العرب الذين ارتدوا ثم عادوا الى الاسلام فاستحثهم عمر بن الخطاب الى اللحاق بالجيوش الاسلامية وكان ابو بكر قد منعهم من المشاركة في هذه الحروب فاندفع هؤلاء بكل حماس وشوق الى القتال فكان نصر المسلمين وقتل مهران وابيد الجيش الفارسي وغنم المسلمون مغانم كثيرة وكان هذا النصر قد بعث القوة في نفوس العرب فأخذوا يهاجمون الفرس والاسواق فهاجموا قرية بغداد وقد قام فيهـا سوق للبيع فاستولى المثنى على الاموال وهرب التجار ثم اخذ المثنى يهاجم القرى حتى وصل الى تكريت الا ان هذه الاعمال لم تكن ذات اثر حاسم في موقف العرب وثبات فتحهم اذ ان قوتهم لم تسيطر سيطرة فعالة على المدن والقرى بل كانت مهددة من قبل الفرس الذين تجمعوا من جديد واعدوا للعرب قوة كبيرة اضطر امامهـا

الخليفة عمر ان يجمع للفرس قوة تستطيع ان تأتي بنتائج حاسمة وتنهي حالة عدم الاستقرار الذي شمل موقف القوة العربية التي كانت على اطراف العراق ومن هنا بدأ الاستعداد من كلا الجانبين لخوض معركة حاسمة فكانت معركة القادسية .

معركة القادسية (١٤ هـ) :

كانت المعارك الاولى التي انتصر فيها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني وتوالى هجمات المسلمين بعد رحيل خالد على مدن العراق وقراه قد دفعت بالفرس الى التكتل والتجمع وتناسوا خلافاتهم التي كانت تمزق وحدة الدولة ونصبوا عليهم يزدجرد بن شهريار بعد ان عجزوا فيمن يولون فالتفوا حوله واضطلع رستم والفيرزان بمهمة قيادة وتعبئة الجيوش لصد العرب واخراجهم من البلاد وقد بلغ عدد هذه الجيوش مائة وعشرون الفا ومعهم ثلاثون فيلا ورايتهم العظمى درفشكابيان[1] .

اما المسلمون فقد كتبوا الى عمر بن الخطاب (رض) يخبروه كثرة من تجمع لهم من أهل فارس ويسألونه المدد فخرج من المدينة وعسكر بموقع يقال له صرار يريد ان يغزوا بنفسه الا انه عدل عن ذلك وكتب الى عمال العرب والكور والقبائل يستنفرهم للجهاد وان لا يدعوا أحد له سلاح أو قوس أو نجدة أو رأي الا اتخبتموه ثم وجهتموه الى العجل العجل فمضت الرسل الى من ارسلهم اليهم وتجمع بعضهم في المدينة وبعضهم لحق بالمثنى وقال عمر والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رئيسا ولا ذا رأي ولا ذا شرف ولا خطيبا ولا شاعرا الا رماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم وقد تولى قيادة هذه الجموع سعد بن أبي وقاص واسم وقاص مالك الزهري فتقدم الى العراق ونزل في القادسية

(١) الطبري ـ الامم والملوك حـ٤ ص٨١ .

واجتمع اليه من كان هناك من الجيوش العربية التي كانت بقيادة المثنى بن حارثة وقد توفي المثنى بعد قليل من نزول سعد فتزوج سعد امرأته وقد بلغ عدد هذه الجيوش العربية ست وثلاثون الف ومن ابرز القادة الذين كانوا مع سعد المغيرة بن شعبه والاشعث بن قيس الكندي وعمرو معدى كرب الزبيدي وسلمان الفارسي وسلمان بن ربيعة الباهلي وخالد بن عرفطة وهلال الهجرى ترجمان سعد وزياد بن ابيه كاتبه وتواقف القوم اربعة أشهر دارت خلالها مفاوضات اذ ارسل رستم الى سعد يسأله توجيه بعض أصحابه اليه فوجه المغيرة بن شعبه وكان يعرف الفارسية ولما وصل المغيرة مقر رستم قصد سريره الذي يجلس عليه ليجلس معه فمنعه الاساورة من ذلك وكلمه رستم فقال له قد علمت انه لم يحملكم على ما انتم فيه الا ضيق المعاش وشدة الجهد ونحن نعطيكم ما تتشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون فقال المغيرة ان الله بعث الينا نبيه (ص) فسعدنا باجابته واتباعه وامرنا بجهاد من خالف ديننا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده والايمان بنبيه (ص) فان فعلت والا فالسيف بيننا وبينكم • فنخز رستم غضبا ثم قال والشمس والقمر لا يرتفع الضحى غدا حتى نقتلكم اجمعين فقال المغيرة لا حول ولا قوة الا بالله وانصرف عنه وكان على فرس له مهزول وعليه سيف معلوب ملفوف عليه الخرق[1] • ثم ارسل سعد بأمر عمر وفدا الى كسرى وفيهم عمروا معدى كرب الزبيدي والاشعث بن قيس الكندي والنعمان بن مقرون المزني وآخرون وكان مقابلة هذا الوفد شبيهة بمقابلة المغيرة لرستم وقد اورد الطبري اوجها لهذه المفاوضات عديدة كلها تعطي نفس النتيجة وهي ان هذه المفاوضات لم تسفر عن تفاهم وانما كانت بداية لنشوب القتال وكان سعد قد رتب صفوف المسلمين وجعل على قيادتهم خالد بن عرفطة لان سعد كان

---

(١) ابن طباطبا ـ الفخري ص٨١ •

مصابا بعرق النسا ودماميل فهو مكب على وسادة على سطح القصر يشرف على الناس قام خالد بن عرفطة بترتيب الناس وتعيين القيادات ينفذ بذلك امر سعد ثم طلب الى الشعراء وكان من بينهم الشماخ والحطيئة ومعن بن اوس ان يحرضوا الناس ويبعثوا فيهم الحماس لقتل عدوهم كما امر القراء ان يقرأوا على المسلمين سورة الجهاد كل ذلك ليبث في نفوس المقاتلين روح الاستبسال والاقدام .

بدأ القتال بعد ظهر يوم الاثنين في المحرم سنة اربعة عشر وقد اطلق على اليوم الاول لمعركة القادسية يوم امارث وجال الفريقان واوقع الفرس خسائر في بني أسد اذ كانت الافيال تخيف خيل العرب ولهذا لم يستطع العرب التخلص من هجمات الفيلة ومن عليها اذ كان على ظهورها صناديق تحمل الرجال فتقدم عاصم بن عمرو التميمي ورجاله فهاجموا الفيلة وقطعوا أحزمة الصناديق فتساقط الرجال من على ظهورها وقتل عدد كبير منهم وانتهى اليوم الاول من المعركة دون نتيجة حاسمة .

وفي اليوم الثاني وهو (يوم اغواث) وصل مدد من الشام بقيادة هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وهم ستة آلاف وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي وقد لعب القعقاع دورا بارزا في هذا اليوم فقتل قائدين من قواد الفرس وهم (بهمن جاذوية) قاتل ابى عبيد بن مسعود الثقفي في معركة الجسر ثم قتل البيرزان مبارزة وقد اوقع المسلمون وابلهم التي حليت بالبراقع فاخافت خيوس الفرس فكان عملها في الفرس كعمل الفيلة بالعرب يوم ارمات واشتبك الجانبان من كل ناحية وبدأ الحرب والطعان وقتل عدد كبير من الفرس واظهر في هذا اليوم ابو محجن الثقفي الشاعر بطولة نادرة وكان هذا محبوسا الا انه استطاع ان يقنع سلمى بنت خصفه زوجة سعد ان تطلق سراحه وتعطيه فرس سعد على ان يرجع الى محبسه فخرج يصول ويجول والناس في عجب من امره فلما انتهى القتال

عاد الى محبسه ولما علم سعد بالامر عمى عنه واطلق سراحه .

وفي اليوم الثالث وهو (يوم عماس) جدد الفرس تعبئتهم واعادوا الفيلة الى ساحة القتال بعد ان ابعدت في اليوم الثاني منه وكانت خطة الفرس تقديم الفيلة لتوهين امر العرب ثم يشدوا بعد ذلك اما العرب وقائدهم سعد فقد اوكل امر الفيلة الى عاصم بن عمر التميمي واخيه القعقاع وكان سعد قد سأل بعض الفرس الذين اسلموا عن مقتل هذه الدابة فقيل له مشغرها وعيونها فأمر سعد القعقاع واخيه عاصم ان يهاجما الفيلة وكان فيل أبيض في جانب من أرض المعركة قد تجمعت حوله عدد من الفيلة وفيل اجرب في جانب آخر وقد استطاع القعقاع واخيه ان يقطعوا مشافر الفيل الابيض ويفقئوا عينه ثم هاجم الفيل الاجرب صنديد آخر من صناديد العرب فذهب باحدى عينه فرجعت هذه الفيلة وطرحت من عليها من الرجال وهربت من أرض المعركة ثم شد الفرس واشتبك المسلمون والفرس وحمى وطيس المعركة طوال اليوم وانقطعت الاخبار عن سعد ثم استمر القتال طوال الليل وسميت تلك الليلة (ليلة الهرير) فلم يسمع للقوم صوت غير صوت الحديد وقد ابلى القعقاع بن عمرو وكان هو قائد الميدان بلاء حسنا وتوغل في صفوف الفرس ثم أصبح الصباح فسار القعقاع بين الناس فقال ان الدبرة بعد ساعة من بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا فان النصر مع الصبر فآثروا الصبر على الجزع فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه وتبارت القبائل فيما بينها تحاول كل واحدة ان تظهر جرأتها واقدامها فتقدم المسلمون وخالطوا الفرس فاستطاعوا زحزحة قلب جيش فارس وعليهم الهرمزان عند الظهيرة وركد عليم النقع وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره ومال الغبار عليهم وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير وقد قام رستم عنه حين اطارت الريح الطيارة الى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل وحمله

وضرب هلال ابن علفة الحمل الذي رستم تحته فقطع حباله فوقع عليه احد العدلين ثم هرب رستم فلحق به هلال فضربه على جبينه بالسيف فقتله وانبت قلب المشركين عندها وانهزموا وقام الجالينوس وهو احد قادة الفرس على الردم ونادى أهل فارس الى العبور فاما المقرنون بالسلاسل فانهم جزعوا فتهافتوا في وادي العتيق[1] فوخزهم المسلمون برماحهم فما افلت منهم مخبر وهم ثلاثون الفا واخذ ضرار بن الخطاب درفش كابيان فعوض عنها ثلاثين الفا وكانت قيمتها الف الف ومائتي الف وقتل في المعركة عشرة آلاف سوى من قتل في الايام الاولى وقتل من المسلمين في هذا اليوم فقط ستة آلاف ثم تتابع المسلمون فلول الفرس المنهزمة فقتلوهم في كل قرية واجمة وشاطيء نهر ورجعوا وهنأ الناس أميرهم بالفتح والنصر وكتب سعد بالفتح الى عمر بن الخطاب (رض)[2] .

اقام سعد شهرين بعد معركة القادسية ليرتاح الناس ولينتظر امر عمر ثم امر سعد بالتوجه الى المدائن عاصمة كسرى فوجه هاشم بن عتبه قائدا للمسلمين ومعه جرير بن عبدالله وقيس بن المكشوح وغيرهم فاحتلوا برسى وبابل حتى نزلوا بهرسير مقابل المدائن ولاح لهم القصر الابيض فقال ضرار بن الخطاب الله اكبر ابيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله وتابعوا التكبير حتى أصبحوا وقد اجتمع المسلمون جميعا في بهرسير[3] يحاولون العبور الى المدينة المقابلة وهي مركز كسرى وكانت دجلة تموج بالماء والزبد وقد دلهم احد العلوج على مخاضة فانتدب سعد الناس الى العبور وقال من يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس

(١) وادي العتيق كان يفصل بين معسكر المسلمين ومعسكر الفرس وقد ردم الفرس جزء منه .

(٢) الطبري – الامم والملوك حـ٤ ص٩٠ .

(٣) بهرسير وهي المدينة المقابلة لطيسفون عاصمة كسرى وقد اطلق العرب على المدينتين اسم المدائن .

فتقدم عاصم بن عمرو التميمي ومعه ستمائة رجل على خيولهم فعبروا النهر فلما رأى الفرس ما فعل المسلمون تقدموا الى النهر وخاضوا فيه محاولين منع المسلمين ودارت معركة بين الجانبين واستعملت الرماح تشبك العيون فقتل من قتل من المشركين ونجا من نجا منهم وقد فقد احدى عينيه ثم تلاحق الناس بعد ان وقف عاصم ومن معه على الجانب الثاني واقحم سعد الناس في العبور وكان الذي يساير سعد في الماء سلمان الفارسي فعامت بهم الخيل وسعد يقول (حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه وليهزمن الله عدوه ان لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان الاسلام جديد ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر)[1] فعبر المسلمون جميعا لم يفقدوا الا رجلا واحدا زال عن فرسه ، وسمى المسلمون هذا اليوم يوم الجراثيم • وتم عبور المسلمين ودخلوا المدائن وليس فيها احد ، قد خرج منها اهلها تاركين فيها اموالهم ومتاعهم وكان كسرى قد نقل عياله الى حلوان فدخل سعد ايوان كسرى وصلى بالمسلمين صلاة الفتح ثمان ركعات فقرأ (كم تركوا من جنان وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين) كان دخول المسلمين المدائن سنة ١٦هـ وقد غنم المسلمون غنائم وفيرة وقدر الطبري ان سهم الفارس اثنا عشر الف درهم •

معركة جلولاء :

اجتمع الفرس بعد هروبهم من المدائن في جلولاء وتوافدت جموعهم وعسكروا هنالك وحفروا خندقا يحيط بمعسكرهم وكان قائدهم مهران • اما كسرى يزدجرد فقد اتخذ حلوان مركز له واخذ يمدهم بالجيوش حتى اجتمع لهم جيش كثيف فاخبر سعد عمر بذلك فكتب له

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك حـ٤ ص١٦٩ •

عمر ان سرح هاشم بن عتبه وجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي في اثنا عشر الفا فتقدم الجيش فوصل جلولاء بعد أربعة أيام ودارت معركة رهيبة بين الجانبين زحف خلالها المسلمون ثمانين زحفا استطاعوا بعدها دخول خندق الفرس الذي كانوا يتجمعون به واقتتل الطرفان قتالا شديدا انتهى بنصر المسلمين وقتل من الفرس كما ذكر الطبري مائة الف فجللت القتلى ساحة المعركة فسميت جلولاء[1] بما جللها من قتلاهم فهي جلولاء الوقيعة ثم تبعهم القعقاع حتى خانقين فنزل حلوان وهرب يزدجرد الى الجبـــال .

وكان امر عمر بن الخطاب ان يكون القعقاع بين السواد والجبل لا يتقدم بعدها اذ قال عمر في ذلك عندما رفض طلب سعد في ان يتقـدم القعقاع الى ابعد من ذلك قال وددت ان بيننا وبين العجم سدا لا يخلصون الينا ولا نخلص اليهم حسبنا من الريف الســـواد واني آثرت سـلامة المسلمين على الانفال[2] وقد حصـل المسلمون على غـنائم كثيرة قدرت بثلاثين مليون درهم وما حوى عسكر الفرس من خيل ومال ونساء فقد قسم السبي وكان يسمى بسبي جلولاء بين الجنـــود فكانت ام عامـــر الشعبي[3] واحدة منهن وارسل الخمس الى المدينة مع زياد بن ابيه فلما جاء عمر ليكشف عن ذلك المال رأى الياقوت والزبرجد والجوهر فبكى فقال له عبدالرحمن بن عوف ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله ان هذا لموطن شكر فقال عمر والله ما ذاك يبكيني وتالله ما اعطى هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا الا القى بأسهم بينهم) ثم قسم عمر هذه الاموال بين المسلمين واهل المدينـــة ، اما بالنسبة لاهـــل السواد الذين خضعوا للمسلمين بعد معركتي المدائن وجلولاء فقد كتب سعد بامرهم الى الخليفة

(١) الطبري ـ الامم والملوك ـ حـ٤ ص١٨١ .
(٢) الطبري ـ الامم والملوك حـ٤ ص١٨٢ .
(٣) عامر الشعبي ـ أحد قضاة الكوفة في العصر الاموي .

عمر فكتب اليه عمر ان اقر الفلاحين على حالهم الا من حارب أو هرب منك الى عدوك فادركته واجر لهم ما اجريت للفلاحين قبلهم واضع الخراج عليهم وابق الارض دون الاقتسام • وكان نتيجة هذه المعارك زوال الحكم الفارسي من العراق الا ان هذا الحكم لم يقض عليه نهائيا اذ ما زال يزدجرد ملك الفرس يستعد لحرب المسلمين من جديد فقد اجتمعت له فلول جيوشه المنهزمة ومن ثاب اليه من أهل فارس فاجتمع حوله جيش كبير وكان مركز تجمعه في نهاوند وقد اوكل امر قيادتهم الى ذي الحاجب •

اما المعارك الاخرى التي حدثت بعد القادسية فهي غزوة عتبه بن غزوان منطقة البصرة وكان معه خمسمائة رجل استطاع ان يستقر في منطقة البصرة ووضع هو واصحابه الاساس الاول لتمصيرها •

اما المعركة الثانية فهي معركة فتح تكريت فقد وجه سعد بن ابي وقاص سنة ١٦هـ جيشا بقيادة عبدالله بن المعتم الذي استطاع بعد حصار طويل فتح تكريت والقضاء على قوة الروم التي كانت قد تجمعت فيها لحمايتهم من الغزو العربي •

المعركة الثالثة كانت احتلال مدينة هيت وقد تجمعت فيها قوة من الروم فارسل اليهم سعد بأمر عمر جيشا بقيادة عمر بن مالك بن عتبه فحاصرها مدة طويلة انتهى هذا الحصار بتسليم اهل هيت ورحل الروم الى ديارهم[1] •

هذه المعارك جميعا ادت الى خضوع العراق الى الحكم العربي ولم يكتف العرب بالفتح وانما استقروا في أرض السواد ومصروا الكوفة والبصرة •

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك حـ٤ ص١٨٦ •

اثر الفتح العربي على العراق

تداولت على أرض العراق امم وشعوب عدة منذ فجـــر التاريخ وبرزت اولى حضارات البشر على أرضه حيث وضع السومريون الاسس الاولى لاول حضارة بشرية ثم اعقب السومريين الاكديون وهم من اصل سامي موطنهم الاصلي أرض الجزيرة العربية وقـــد اقتبسوا حضارة السومريين وتتابعت بعـــد ذلك الموجات السامية كالاموريين والآشوريين والكلدانيين ثم خضع العـــراق لسيطرة الفرس الذين تأثروا بالحضارة البابلية أكثر من تأثيرهم في حضارة وادي الرافـدين • تلى ذلك مجيء اليونانيين بقيادة الاسكندر الاكبر الذي قضـــى على الدولة الفارسية في معركة اربيل وهزم دارا الثالث في ٣٣٢ ق•م واستقر الاسكندر في بابل بعد ان وصل الى حدود الهند واستقرت معه جيوشه • وكان الاسكندر قد اصطحب عددا من الادباء والفلاسفة والكتاب اليونان • لنشر الثقـافة اليونانية بين هذه الشعوب ليقضي على العداوة التي كانت قائمة بين اليونان والفرس أو بين الشرق والغرب منذ زمن بعيـــد الا ان وفاة الاسكندر العاجلة قد اثرت على سير سياسته هذه الا ان ذلك لم يحـل دون تأثر شعوب العراق وفارس بمظاهر الحضارة اليونانية خاصة بعد قيـام دولة السلوقيين (نسبة الى سلوقس احـــد قادة الاسكندر الاكبر) • الذي استطاع ان يخضع تحت سلطانه أرض العـــراق وفارس • اعقب ذلك فترة اضطراب وقيـام دول الطوائف انتهت هـــذه الفترة بقيام دولـــة الساسانيين التي اخضعت بلاد فارس والعراق لسلطانها وقد بقي العراق خاضعا لهذه الدولة حتى عهد كسرى انوشروان الذي اتخـــذ طيسفون (المدائن) عاصمة له وهي في قلب أرض العراق فأصبح العراق مركز للدولة الساسانية وبقي على هذه الحال حتى الفتح العربي سنة ١٣هـ ـ ٦٣٣م الذي قضى على هذه الامبراطورية واخضع العراق وبلاد فارس للدولة العربية الجديدة •

من هذا العرض السريع يتبين لنا ان العراق خضع لدول عديدة واستقرت على أرضه أمم مختلفة وانتشرت على أرضه عقائد ولغات عدة • فكان شعب العراق يتألف عند الفتح العربي من قوميات ثلاث فارسية وهي التي تألفت من خاشية كسرى وجنوده وقواده ومن لحق به من الصناع وأصحاب الحرف والمنتفعين والدهاقين وغيرهم فكان أكثر سكان القسم الشرقي من أرض العراق من الفرس وقد اطلق على هؤلاء الطبقة الخاصة • اما سكان ما بين الفرات ودجلة فكان أكثرهم من النبط (وهم بقايا سكان العراق القدماء من الكلدان والسريان) وكان يطلق على هؤلاء الطبقة العامة وحرفتهم فلاحة الارض • اما القسم الغربي من أرض العراق فكانت تسكنه قبائل عربية عدة منها الذي استقر كعرب الحيرة والانبار والولجة وغيرها واخرى كانت تتجول بين أرض الجزيرة وأرض العراق كقبائل تغلب والنمر واياد والعدسيين وكلب ، ولهذا كان القسم الغربي من أرض العراق أكثر سكانه من العرب • بالاضافة الى ذلك كانت هناك قوميات أخرى تسكن الى جانب هذه القوميات الثلاث •

نجم عن وجود هذه القوميات ان انتشرت على أرض العراق لغات ثلاث : الفارسية وهي لغة الدول الحاكمة • والآرامية وهي لغة النبط • والعربية وهي لغة القبائل العربية اما المعتقدات التي انتشرت بين سكانه فكانت المجوسية وهي ديانة الدولة الحاكمة والنصرانية وهي ديانة النبط واكثر القبائل العربية ومعتقدات أخرى وثنية اعتنقها بعض سكان العراق •

انتصر المسلمون في معارك الفتح في القادسية والمدائن وجلولاء وقضوا على الدولة الساسانية فخضع العراق للحكم العربي وقد نجم عن ذلك ان اندفع العرب لفتح بلاد ايران وملاحقة كسرى يزدجرد الذي حاول ايقاف الزحف العربي ان لم يكن استرجاع ما فقده وقد استطاع

العرب فتح بلاد فارس واصبهان وبلاد الري وجرجـــان وطبرستان ثم اندفعوا بعد ذلك الى الشرق فاكتسحوا بلاد خراسان ومنهـــا الى بلاد تركستان حتى وصلوا حدود الصين كما ان الفتح العربي للعراق قد ادى الى استقرار عدد من القبائل العربية فأصبح العراق طوال حكم الخلفـاء الراشدين والامويين مركزا لانطلاق الجيوش الى الشـــرق لاستمرار عملية الفتح وقد ساعد تمصير البصرة والكوفة على استقرار عـــدد من القبائل العربية القادمة من الجزيرة العربية حيث كانتا أي البصرة والكوفة محطات أو معسكرات استقبال لهذه القبائل وفي الوقت نفسه فهي تدفع بهذه الجموع للمشاركة في عملية الفتح وقد سهل تمصـير هذه المصرين المشاركة في اعمال الفتح بأن قربها من ساحات المعارك التي بعدت عن موطن العرب في الجزيرة .

مصرت البصرة في سنة ١٤ هـ مصرها عتبة بن غزوان بأمر الخليفة عمر وانزلها من كان معه من المسلمين وكان عدد من نزلها ثمانمائة من المسلمين ولم يمضى وقت طويل حتى أصبح عدد سكانها ثلاثمائة ألف وذلك في عهد زياد بن ابيه[١] .

احتلت البصـــرة مركزين حربي وتجاري فهي مركز لاستقبال الجموع العربية ومنها تنطلق هذه الجموع للمشاركة في المعارك في بلاد ايران وغيرها . ومركزها التجاري اذ ان موقعها على شط العرب قـــد جعلها ميناء العراق منها واليها تنتقل التجارات من مختلف المناطق .

اما الكوفة فقد مصرها سعد بن ابي وقاص سنة ١٧هـ بأمر الخليفة عمر أيضا ونزلها المسلمون الذين اختطوا خططهم وبنوا بيوتهم وقـــد ساعد تمصير الكوفة والبصرة على قيام عملية التعريب التي حدثت في العراق

---

(١) ياقوت ـ معجم البلدان حـ٢ ص٦٤٤ .

فانتشرت اللغة العربية بين أرجائه وسادت غيرها من اللغات فترك كثير من النبط والفرس لغتهم وتكلموا اللغة العربية وكذلك انتشر الدين الاسلامي وأصبح دين الاكثرية من سكانه وقضى بذلك على الاديان والمعتقدات التي كانت منتشرة بين سكانه وأصبح العراق منذ ذلك الحين جزء من الوطن العربي والقوية العربية ولعب دورا هاما ورئيسا في بناء الكيان العربي الاسلامي وذلك عندما أصبح مركزا للخلافة الاسلامية على عهد العباسيين.

فتح دمشق :

بعد الانتهاء من معركة اليرموك اتجه ابو عبيدة بن الجراح نحو دمشق يقود الجيش العربي لكنه قبل ان يصل الى دمشق علم بان هرقل قد جمع جيشا كبيرا في فحل وهي احدى مدن الاردن فاتجه ابو عبيدة لملاقاة الروم وكان الروم قد بثقوا البثوق فانساحت المياه لتكون حاجزا بينهم وبين العرب الا ان المعركة التي دامت يوما وليلة انتهت بفوز المسلمين وفرار الروم ووجد الروم انفسهم حيارى فالعرب من خلفهم والوحل من امامهم فساروا في الوحل فلحق بهم المسلمون وقد خشعوا فركبوهم وهم لا يقدرون ان يمنعوا يد لامس فوخزهم العرب بالرماح فكانت الهزيمة في هذه المعركة هزيمة منكرة فقتل منهم ثمانون الف ولم يفلت منهم الا الشريد وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون كرهوا البثوق والمياه والوحل فكانت عونا لهم على عدوهم .

تقدمت الجيوش الاسلامية بعد هذه المعركة لفتح دمشق وفي طريقهم الى دمشق اصطدموا بجيش بيزنطي في مرج الصفر فاقتتلوا قتالا شديدا حتى جرت الماء بالدماء وطحنت بها الطاحونة[1] وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف ثم ولى الكفرة منهزمين مغلوبين لا يلون على شيء حتى اتوا دمشق فلما اشرفوا عليها تحصن اهلها فحاصرها المسلمون وطال الحصار فكان خالد بن الوليد قد نزل على الباب الشرقي ونزل عمرو بن العاص على باب توما ونزل شرحبيل على باب الفراديس ونزل ابو عبيده على باب الجابية ونزل يزيد بن ابي سفيان على الباب الصغير وقد دام الحصار حوالى اربعة اشهر واخيرا استغل خالد بن الوليد ومعه القعقاع ابن عمرو التميمي ليلة عيد للنصارى وقد انستهم الخمرة واجب الدفاع عن اسوار دمشق فتسور خالد ومعه عدد من الرجال مستعينين بسلالم من

---

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص١٢٥ .

حبال ارقوها على اعالى السور فصعدوا الى سور المدينـــة وقصدوا الباب فقتلوا حراسه وفتحوه ودخل المسلمون وكبروا فلما عرف امير المدينـة البيزنطي اسرع واتصل بابي عبيده وفتح له ابواب المدينة فدخل أبو عبيدة المدينة صلحا بينما دخل خالد المدينة عنوة ولكنها اعتبرت المدينة كلهـــا وكأنها فتحت صلحا •

استكمال فتح بلاد الشام :

اتجهت الجيوش العربية بعد فتح دمشق كل الى وجهته فتوجـــه شرحبيل بن حسنة الى الاردن ففتح مدنهـا فتح طبرية وبيسان وجرش والجولان وغيرها وكان فتحها يسيرا على المسلمين •

واتجه عمرو بن العاص الى فلسطين قاصدا بيت المقدس وفي طريق تقدمه اصطدم بجيش بيزنطي يقوده ارطبون فاستطاع المسلمون الانتصار على هذا الجيش •

تقدم عمرو بن العاص نحو بيت المقدس وقد تحصن اهلها فضرب عمرو الحصار ودام حصارها اربعة أشهر وقد امتنعت عليه لمناعة اسوارها وشدة حصونها ولكن اليأس تسرب الى نفوس المدافعين ففكروا بالصلح خاصة وان اغلب المدن الشامية قد خضعت للعرب فليس في مقدورها تقديم المساعدة لاهل بيت المقدس الا انهم اشترطوا ان يكون المتولى لهذا الصلح الخليفة عمر بن الخطاب نفسه ليأمنوا على كنيستهم الكبرى ورؤسائهم الدينيين حتى لا يجبروا على ترك دينهم فكتب عمـــرو الى الخليفة عمر بهذا الامر فلبي الخليفة وجاء الى بيت المقدس وكتب لاهلها كتاب امنهم فيه على كنيستهم ودينهم واموالهم كما كتب لبقية المدن السورية كتبـــا مشـــابهة •

اتجـه ابو عبيدة ومعه خالد بن الوليد الى حمص وكانت حمص مركزا لهرقل الامبراطور البيزنطي وقد تركها وانتقل الى انطاكية بعـد

خسران جيوشه في اليرموك ودمشق فاستطاع المسلمون دخولها •

واتجه يزيد بن ابي سفيان وعلى مقدمته اخوه معاوية لفتح الساحل السوري فاستولوا على مدنه الواحدة تلو الاخرى •

نتيجة لهـــذه الانتصارات لم يبق في يد الامبراطور البيزنطي الا انطاكية وهي كبرى المدن الشامية في شمال البلاد فاتجه اليها عمرو بن العاص فلما علم هرقل بذلك هرب ليلا دون ان يعلم ابنه واهله فلما علم الابن بقرار والده هرب هو الآخر في اليوم الثاني ولحقوا جميعا بالعاصمة القسطنطينية • وهكذا تم فتح بلاد الشام في مدة قصيرة لم تتجاوز ثلاث سنين فقد انتصر المسلمون في اليرموك سنة ١٣هـ ودخلوا القـدس سنة ١٦هـ[١] ودخلوا انطاكية سنة ١٧هـ[٢] •

قسم المسلمون البلاد الشامية الى خمسة اجنـــاد عسكرية فوزعوا الجيش على كافة المدن الشامية فسهل على المسلمين الاستقرار في هـــذه المدن وادى ذلك الى نشر الدين الاسلامي بين العرب وغير العرب من سكان البلاد كما أصبحت اللغة العربية هي اللغـة الرئيسية لكافة سكان البـــلاد •

طاعون عمواس وعام الرماد :

في سنة ١٧هـ اصاب المسلمين هولان عظيمان هما المجاعة والطاعون • اما المجاعة فقد نشأت عن قلة نزول المطر واثر ذلك على نمو الحشائش التي كانت عماد الحياة الاقتصادية في البادية حيث تقتات عليها ابل ومواشي البدو • وقد ادى هذا الى تغير وجه الارض فأصبح كالرماد فسمي ذلك العام عام الرمادة فعم الجوع والقحط وهلك الناس جوعا ولجأ العديد

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك حـ٤ ص١٥٨ •
(٢) الطبري ـ الامم والملوك حـ٤ ص٢٠١

منهم الى المدينة المنورة يبحثون عن شيء يسد رمقهم • فاحتضنهم عمر وهيأ لهم الغذاء والكساء حتى رفع الله هذا البلاء ورجع الاعراب الى مواطنهم •

اما طاعون عمواس فسمي نسبة الى عمواس وهي قرية فلسطينية ظهر فيها الطاعون لاول مرة ومنها انتشر الى مدن الشام وقراه فأتى على خمسة وعشرين الفا من المسلمين[٢] •

عمر يزور بلاد الشام :

كان عمر قد عزم على زيارة بلاد الشام سنة ١٧هـ فخرج حتى وصل تبوك على الحدود الشامية والتقى بعدد من قادة المسلمين وفيهم أبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وطلبوا اليه الرجوع لانتشار الوباء وهلاك الناس فرجع عمر الى المدينة فلما رفع الوباء قرر عمر زيارة بلاد الشام ليقف بنفسه على أمور البلاد عن كثب وليس صحيحا ان زيارة عمر هذه تلبية لرغبة أهل القدس الا انه زار بيت المقدس كما زار بقية المدن الشامية بعدها عقد مؤتمرا لقادة الجيوش الاسلامية في الجابية ثم عاد الى المدينة وقد استقر عزمه على زيارة العراق الا انه لم يفعل ذلك •

فتح مصر : سنة ٢٠هـ ٦٤١م

مقـــدمة

خضعت مصر لحكم الرومان منذ سنة ٣٠ ق٠م بعد ان قضوا على دولة البطالسة (نسبة الى بطليموس أحد قادة الاسكندر الاكبر والذي اقتسم امبراطورية الاسكندر بعد وفاته مع القادة الآخرين فكانت مصر من نصيب بطليموس والعراق من نصيب سلوقس والشام وفلسطين من نصيب انتجونس الاعـور اما بلاد اليونان فكانت في يد والدة الاسكندر وصية على ابنه) ٠

عمل الرومان كل ما في جهدهم لاستغلال مصر لمنفعتهم وليس لمنفعة أهالي البلاد حتى قيل ان سفن روما كانت تأتي من روما محملة رملا تفرغ هذا الرمل على سواحل مصر لتحمل القمح والغلات المصرية ٠

ورث البيزنطيون الامبراطورية الرومانية في املاكهـا ٠ فخضعت مصـــر لهذه الدولة من ســـنة ٢٨٤م حتى تعرضت للفتح الاســـلامي سنة ٦٤٠م ٠

سلك البيزنطيون السياسة نفسها التي سار عليها الرومان من قبل في معاملة سكان مصر وازدادت الاعباء المالية تعقيدا فاثقلوا كاهل المصريين بالضرائب واستحوذوا على محصول البلاد فلم يجد اغلب المصريين مخرجا من هذه الحالة السيئة سوى الفرار الى المعابد والاديرة وهجروا مزارعهم وقراهم فانتشرت الفوضى في البلاد وعم الاضراب جميع المرافق الاقتصادية كما ان المصري كان محروما من الاشتراك في حكم بلاده وكان يعامل معاملة المغلوب على امره ، اضف الى ذلك ان اهملت لغته وحلت محلها في المكاتبات الرسمية اللغة اليونانية كذلك حرموا على المصري الاشتراك في جيش بلاده وقد استسلم المصريون في معظم هذه الفترة وثاروا احيانا أخرى وكان يقضي على ثوراتهم بكل قسوة وقد ازدادت معاملة الاباطرة

الرومان للمصريين قسوة عندما انتشرت المسيحية بينهم واشهر الاباطرة الذين اشتدوا في قسوتهم واضطهادهم للمصريين هو دقلديانوس سنة ٢٨٤م وكان موقف المصري اشد عناد حتى ان الاقباط بدءوا تقويمهم الذي سموه تقويم الشهداء من حكم دقلديانوس لما قام به هذا الامبراطور من عنف وقتل تجاه الاقباط[١] .

ثم اعقب ذلك ان اعتنق الاباطرة الرومان الديانة المسيحية منذ سنة ٣٧٩م الا ان ذلك لم يحل دون اضطهاد المصريين الذين كانوا طرفا في ذلك الجدل الذي ثار حول صفات المسيح وطبيعته فكان رأي الكنيسة المصرية ان للمسيح طبيعة واحدة اما كنيسة القسطنطينية فقالت بأن للمسيح طبيعتين وعدت مذهب الطبيعة الواحدة كفرا وخروجا على الدين الصحيح الا ان المصريين لم يعترفوا بما قررته كنيسة القسطنطينية واتخذ الصراع شكلا قوميا فاطلق المصريون على انفسهم الارثودكسيين أي اتباع الديانة الصحيحة كما اطلق على اتباع الكنيسة القسطنطينية الملكانيين نسبة الى ملكهم مذهب الابمراطور[٢] .

(مذهب الطبيعة الواحدة ينص على امتزاج الطبيعة الالهية بالطبيعة البشرية في المسيح وذلك بعد التجسد اما مذهب الملكاني فيعتقد اتباعه ان الابن هو المسيح مولود قبل كل الدهور وانه غير مخلوق ثم اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصار واحدا وهو المسيح) .

بقى الحال في مصر اضطهاد وعنف من قبل اباطرة بيزنطة على المصريين المخالفين لهم عقائديا حتى تسلم الملك هرقل سنة ٦١٠م الذي كان اخف وطأة ممن سبقه وقد حاول هرقل ان يقضي على ذلك الخلاف بين اتباع المذاهب المختلفة فأصدر امرا بمنع الناس من الكلام في طبيعة

(١) سيدة اسماعيل الكاشف ـ مصر في فخر الاسلام ص١٥ .
(٢) سيدة اسماعيل الكاشف ـ مصر في فخر الاسلام ص١٦ .

المسيح وان يعترف الجميع بان له ارادة واحدة وكانت سياسة هرقل في هذه الناحية هو اسناد الرئاسة الدينية والزمنية لرجل واحد وكان آخر الرؤساء في مصر عند الفتح العربي هو قيرس والذي يعرف عند العرب باسم المقوقس[1] .

وقد اخذ قيرس المصريين بأحد امرين اما الدخول في مذهب هرقل الجديد واما الاضطهاد فقاس الاقبـــاط جميع أنواع الشدائد من جراء اضطهاد قيرس الذي فاق كل اضطهاد من ذلك نرى ان سيف قيرس قطع آخر ما كان يربط المصريين الى الدولة البيزنطية من أسباب الولاء ومهد السبيل بذلك لفتح مصر على يد دولة ناشئة قوية هي دولة العرب .

فبعد ان قضى العرب على دولة الاكاسرة وازاحوا نفوذ البيزنطيين من بلاد الشام كان لابد ان يفكروا بفتح البلاد المصرية وكان أول من فكر في ذلك عمرو بن العاص الذي عرض فكرته على الخليفة عمر بن الخطاب في مؤتمر الجابية[2] واوضح للخليفة ان الحكم العربي في بلاد الشـام لا يستقر ولا يثبت والبيزنطيون في مصر يشكلون خطرا على هذا الحكم خاصة وانهم يملكون اسطولا بحريا يهدد باستمرار سواحل بلاد الشام والعرب لم يتعودوا الحرب في البحار ولا يملكون اساطيل تدرأ عنهم هذا التهديد كذلك اوضح عمرو بن العاص ان فتح مصر سيؤدي الى انتشار الاسلام في مصر ذاتها وفيما جاورها من البلاد وانها ستكون قاعدة لانطلاق الجيوش نحو شمال افريقيا وأخيرا بيّن عمرو ان موارد مصر الاقتصادية ستكون عونا للاقتصاد العربي كما بيّن عمرو وهـــو الذي كان اعرف الناس بمصر لانه كان يختلف اليها بالتجارة وكان على علم تام بأحوالها الاقتصادية والاجتماعية والدينية ، بيّن ان المصريين على اختلاف تام مع

---

(١) سيدة اسماعيل الكاشف ـ مصر في فخر الاسلام ص٢٠ .

(٢) الجابية . بلدة قرب دمشق مما يلي البادية .

حكامهم البيزنطيين وانهم في صراع مع الكنيسة البيزنطية[1] • هذه الامور جميعا وضعت أمام الخليفة لكن الخليفة الذي كان يرغب في قرارة نفسه فتح مصر لم يوافق أول الامر اذ رأى ان في هذه العملية مغامرة والمغامرة تكون في أغلب الاحيان غير مأمونة كذلك كان عمر يرغب ان يدع للعرب فرصة يريحون فيها انفسهم من عناء هذه الحروب المتلاحقة التي خاضوها في بلا دالشام كما انه رغب في تثبيت الحكم العربي في الشام والاطمئنان على وضع البلاد وبذلك وقف عمر بن الخطاب موقف الرفض من طلب عمرو بن العاص الا ان عمرو الح على الخليفة فوافق بشرط وهذا الشرط هو ان الخليفة سوف يرسل له رسالة فأن وصلته الرسالة وهو لم يدخل حدود البلاد المصرية فعليه أي عمرو ان يقف مكانه ولا يتقدم اما اذا وصلت الرسالة وكان عمرو وجيشه قد دخلوا الحدود المصرية فعليهم ان يتقدموا ويستنصروا الله ويستعينون به[2] وتضيف الرواية التي تشير اليها الكتب التاريخية حول قضية هذه الرسالة ان عمرو تقدم نحو الحدود المصرية وقبل ان يدخل الاراضي المصرية وصل رسول الخليفة عمر ففطن عمرو بن العاص الى ذلك الشرط فارجأ استلام الرسالة من الرسول حتى دخل الاراضي المصرية فلما دخلها أخذ الرسالة ووجد فيها ما اتفق عليه مع الخليفة •

كانت غاية عمر بن الخطاب من هذا الشرط ومن الرسالة ان يؤخر عمرو بن العاص قليلا من الوقت ليجمع له مددا يستطيع به معاونة جيش عمرو بن العاص خاصة وان الجيش العربي في بلاد الشام قد وزع على امصار الشام ومدنه واجناده •

ومهما يكن من أمر الرسالة فان عمرو بن العاص تقدم نحو الحدود

---

(١) ابن عبدالحكم ـ فتوح مصر والمغرب ص٨١ •
(٢) نفس المصدر ٨١ •

المصرية واحتل العريش ثم الفرما وعين شمس ثم حاصر بابليون مركز قيادة البيزنطيين وقد احتاج عمرو بن العاص الى مدد يساعده في فتح هذا الحصن الذي استعصى عليه وكذلك المدن والقرى القريبة من هذا الحصن فارسل اليه عمر بن الخطاب عشرة آلاف مقاتل من بينهم الزبير ابن العوام وعبادة بن الصامت استطاع بعدها ان يدخل الجيش العربي حصن بابليون في ليلة من ليالي أعياد النصارى وبذلك استطاع المسلمون القضاء على نفوذ البيزنطيين في وسط مصر ثم اتجه عمرو بعد ذلك لاحتلال العاصمة الاسكندرية التي ابدت مقاومة شديدة ولكنها انهارت أمام قوة المسلمين فخضعت للحكم العربي وعاد بعدها عمرو بن العاص الى مدينته التي شيدها وهي (الفسطاط) والتي انشأ فيها مسجدا اقترن باسمه والذي ما زال قائما الى هذا اليوم وقد عمرت الفسطاط وظلت عاصمة البلاد المصرية طيلة خمسة قرون ويزيد حتى احرقها شاور وهو وزير آخر خلفاء الفاطميين العاضد لدين الله بحجة ان الصليبيين سوف يتخذون منها مركزا لتهديد القاهرة عاصمة البلاد[1] .

كان خضوع مصر للحكم العربي ان ادى الى انتشار الدين الاسلامي بين سكان البلاد فانتقل كثير من اقباط مصر من المسيحية الى الاسلام نتيجة لتلك التناقضات التي نشبت بين أصحاب المذاهب المسيحية المختلفة والتي زعزعت ثقة الاقباط بالمسيحية المتأرجحة بين السيطرة السياسية وبين النزعة القومية المصرية التي ابت ان تنقاد لرغبات السلطة الحاكمة فلما ظهر المسلمون على البيزنطيين سارعت جموع كثيرة منهم الى التخلص من ذلك التأرجح لتطمأن نفوسهم بظل الاسلام[2] .

الى جانب انتشار الدين الاسلامي انتشرت اللغة العربية وأصبحت

---

(١) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا ـ ص٢٩٠ .
(٢) سيدة اسماعيل الكاشف ـ مصر في فجر الاسلام ـ ص٢٣٦ .

هي اللغة الرئيسية في البلاد حتى الاقباط الذين بقوا على دينهم المسيحي استعملوا اللغة العربية في كنائسهم ونبذوا لغاتهم الاخرى[١] .

ونتيجة لذلك أصبحت مصـــر جزءاً من الامة العربية وجزءاً من القومية العربية كما ساعد احتلال مصر على انطلاق الجيوش العربية نحو الغرب الى شمال افريقيا وبذلك أصبحت مصر قاعدة لانطلاق الجيوش العـربية لنشـر الدين الاسلامي واللغـة العربية حتى استطاعت هـذه الجيوش احتلال شمال افريقيا والعبور الى اسبانيا وحتى وصلت الى جنوب فرنســا .

(١) سيدة اسماعيل الكاشف ـ مصر في فجر الاسلام ـ ص٢٥٩ .

معركة نهاوند ونهاية الدولة الساسانية :

كان عمر بن الخطاب يود الاكتفاء بأرض العراق فكان يقول وددت لو ان بيني وبين الفرس جبل من نار لا يخلصون الينا ولا نخلص اليهم ، الا ان عمر اضطر الى ارسال الجيوش لملاقاة الفرس في نهاوند في بلاد ايران وكان يزدجرد ملك الفرس قد اتخذها مركزا له حيث تجمعت فيها فلول جيوشه المنهزمة كما نابت اليه اعداد كبيرة من أهل فارس فاجتمع له جيش كبير وعهد بقيادته الى ذي الحاجب[1] .

علم عمر بذلك فأرسل الى النعمان بن مقرن المزني وامره بقيادة المسلمين والتوجه الى ملاقاة الفرس في نهاوند[2] .

كان الفرس قد احاطوا معسكرهم بخندق من الخلف واشعلوا النيران من خلف ذلك ليشعروا مقاتليهم بان يثبتوا ولا يفكرون بالهرب اذ قدر الفرس ان هذه المعركة هي المعركة الحاسمة كما ان الفرس قد طرحوا حسك الحديد بينهم وبين العرب وقد لاقى المسلمون صعوبة في مهاجمة الفرس الا ان النعمان استطاع استدراجهم بأن اظهر الهرب فلما خرج الفرس من مكمنهم هاجمهم وكان ذلك في يوم الجمعة فاقتتل الطرفان أشد قتال حتى ليشعر الناظر اليهم ان احد منهم لم يكن يرغب في العودة الى اهله واستطاع المسلمون التغلب على مقاومة الفرس فانهاروا في خندقهم ومنهم من تهافت في النار فقتل عدد كبير منهم قدره الطبري بثمانين ألف عدا من هرب ومنهم عدد كبير من أهل نهاوند . اما المسلمون فقد قتل عدد كبير منهم فقتل قائدهم النعمان بن مقرن المزني وتفرق امر فارس فلم تقم للدولة الساسانية بعدها قائمة ولم يجتمعوا بعدها على حرب المسلمين واقتصر امرهم على مناوشة المسلمين هنا وهناك وسميت هذه

---

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص٣٠٠ .
(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ص٣٠٠ .

المعـركة فتح الفتوح[1] وبذلك خلص العراق للمسلمين وفتح الطريق أمامهم للانسباح في بلاد ايران لا يخشون بأسا أو قوة فاستطاعوا بسهولة فتح بلاد اصفهـــان والري وطبرستان وجرجان وبلاد مكران وكرمان وغيرها من مقاطعات بلاد ايران اما مصير يزدجرد فقد هرب وظل ينتقل من بلد الى آخر حتى قتل سنة ٣١هـ في خلافة عثمان بن عفان (رض) وبذلك انتهت الدولة الساسانية[2] .

التنظيمات الادارية والمالية

النظام الاداري :

وضعت اسس هذا النظام لاول مرة في خلافة عمر اذ ان البلاد التي خضعت للعرب وهي بلاد العراق والشام ومصر قد اوجبت على الخليفـة ان يضع لهذه الامبراطورية اسس ادارتها هذه الاسس التي نمت وتطورت بتطور الاوضاع العامة اذ ان هـــذه النظم لم تشرع جملة واحـــدة بل سايرت حاجة الدولة الى ما يكفل تنظيم ادارة هذه البلاد التي عرفت النظم وعاشت في ظلها دهورا طويلا فالعراق مثلا خضع للانظمة الفارسية كما خضعت بلاد الشام للانظمة البيزنطية وكذلك مصر ، هذه الانظمة كان لها تأثيرها على التوجيه الاداري الاسلامي فقد راعى المسلمون وضع هذه البلاد فابقى على الكثير من تلك النظم على حال ما جدوه واكتفى العرب بشغل المناصب الرئيسية ليشرفوا على الادارة بوجه عام .

كان النظام الاداري الذي وضعه عمر يتألف من أمير يتولى قيادة المسلمين في الحرب والامامة في الصلاة وكانت امامة الوالي في الصـلاة نيابة عن الخليفة تدل على عظم سلطة الامير وعلى رئاسته العليا السياسية في الدولة ولم يكن الوالي مسؤولا أمام أحد عن عمله الا امام الخليفة

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك حـ٤ ص٢٣٥ .
(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ص٣١٢ .

اذ كانت سلطـــان الخليفة على الامراء وخضوعهم له واضحة بحيث ان الامراء كانوا يستشيرونه ويأخذون موافقتـــه في كثير من الاعمال التي يقومون بها وكان أغلب امراء البلاد اول الفتح هم القادة الذين فتحـوا تلك البلاد فكان سعد بن ابي وقاص اميرا على العراق وعلى الشام أبو عبيدة ابن الجراح وعلى مصر عمرو بن العاص .

اتخذ امير كل مصر دارا لتكون مقرا ودار سكنى له سميت دار الامارة واتخذها من جاء بعدهم من الامراء .

الى جانب الامير عين عمر بن الخطاب موظفين آخرين وهم صاحب الخراج المسؤول عن الناحية المالية وجباية الخراج والقاضي الذي كان عمله اول الامر قسمة الغنائم بين المقاتلين ثم نظر فيما بعد في الفصل بين المصلمين وخاصة في الامور الشـــرعية اما النواحي السياسية فكانت من اختصاص امير البلاد وجعل عمر كل موظف من هؤلاء الثلاثة مستقلا في عمله فكل منهم مسؤول امام الخليفة يعينه ويعزله وبذلك فصل عمر بين السلطات الثلاث وجعلها مستقلة عن السلطة السياسية فلا يستطيع الامير ان يتدخل في أمور القاضي أو أمور صاحب الخراج .

اما المدن والكور فقد عين لها من يقوم بادارتها من الناحية العسكرية وتسلم مبالغ الضرائب التي قررت على كل كورة او اقليم اما جمـــع الضرائب وتسجيلها فكان يقوم بها عمال من اهل البلاد لجهل العـــرب بهذه الامور فكانت قرى العراق مثلا تدفع ما عليها من خراج الى الدهقان وهو في الاصل فارسي ظل يقوم بعمله كما كان يقوم به في العهد الفارسي كذلك الحال في مصر وبلاد الشام حتى ان السجلات الرسمية ظلت تكتب بلغات اهل البلاد ففي العراق ظلت تكتب باللغة الفارسية وفي الشام باللغة الرومية وفي مصر باللغة القبطية حتى خلافة عبدالملك بن مروان الذي عربها وقضى بذلك على سيطرة العجم على أهم ناحية من نواحي الدولة

وهي الناحية المالية[1] .

قسم عمر العراق الى ولايتين ولاية البصرة وولاية الكوفة وجعل كل ولاية مستقلة استقلالا كاملا عن الاخرى في جميع النواحي الادارية والعسكرية والمالية وولى امر الكوفة سعد بن ابي وقاص وعلى البصرة عتبة بن غزوان .

اما بلاد الشام فقد قسمها الى اجناد وولى امرها امير عام هو ابو عبيدة بن الجراح وجعل على فلسطين اميرا وكذلك الاردن وحمص وغيرها . اما مصر فكان لها امير عام واحد هو عمرو بن العاص وقسمت من الناحية الادارية الى مصر العليا ومصر السفلى ولامير البلاد ان يولي الموظفين على الكور والاقاليم .

---

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص٢٩٨ .

النظـــام المـــالي

الجزية والخراج :

لم يرد في القـــرآن الكريم تشريع بشأن الجزية ولم يذكر شيئا بشأن الخراج فاتبع الرسول سياســة هي مجموعة تدابير عملية اتصفت بالمرونة لمقتضى الحال كذلك فعل ابو بكر الصديق متبعا طريقة الرسول الكريم في معاملة الاقوام التي خضعت للمسلمين فوضع الجزية على رؤوس اليهود والنصارى ومقدارها دينار في السنة اما ارضهم فقد عوملت حسب خضوعها ، فالارض التي فتحت عنوة تعتبر غنيمة اما الارض التي دخلت صلحا فلها حكمها يدفع اهلها ما اتفقوا عليه من مال يؤدونه الى الرسول أو الى ابي بكر من بعده[1] .

هذا ما كان عليه الحال حتى تولى عمر بن الخطاب الخلافة وقـد فتحت البلاد على عهده ووقعت في قبضة المسلمين أراضي واسعة في العراق والشام ومصر ودخلت شعوب عدة في حوزة المسلمين فقام الخليفة عمر بن الخطاب بدور حيوي في معالجة هذه المشكلة فوضع لها الاسس الاولى وقد اتصفت اعمال عمر هذه بأنها كانت وليدة ظروف عملية خاصة فقد استفاد عمر في تنظيم الضرائب في البـــلاد المفتوحة من روح الاســـلام وتنظيمات الرسول وابي بكر من جهة ومن الاوضاع التي كانت سائدة في البلاد المفتوحة كما انه اجهد رأيه واستشار الصحابة فنتج عن ذلك الهيكل العام للتنظيمات المالية الاسلامية الاولى[2] .

الجـــزية :

وضع عمر الجزية على الذين دخلوا في حوزة المسلمين من أهـل الكتاب وهم اليهود والنصارى وكذلك المجوس وكان مقدارها في العراق

---

(١) عبدالعزيز الدوري ـ النظم الاسلامية ص١٠٥ .
(٢) عبدالعزيز الدوري ـ النظم الاسلامية ص١٠٦ .

٤٨ درهما على الغني و٢٤ درهما على المتوسط و١٢ درهم على الفقير • واعفى المعدم والمزمن والشيوخ والاطفال والنساء والعبيد والاعمى والرهبان والذي يتصدق عليه كما فرض على أهـــل الذمة ضيافة من مر بهم من المسلمين ثلاثة أيام[١] •

اما في الشام فقد وضع على كل رأس دينار في السنة وجريب حنطة على جريب الارض وقد ارتبطت ضريبة الجزية بضريبة الخراج كما كان الحال أيام البيزنطيين فقد عدا جزئين لضريبة واحدة •

وتعهد أهل الذمة للمسلمين بارشاد الضالة وبناء القناطر من اموالهم وان يضيفوا كل مسلم عابر سبيل من اواسط مؤنهم ولمدة ثلاثة أيام وقد شكا اهل الشام للخليفة في احد أيام زيارته لقطرهم وقالوا له (ان ضيوفنا يكلفوننا ما لا نطيق يكلفوننا الدجاج والشاة فقـــال لا تعطوهم الا ممـــا تأكلون وعفا المسلمون النساء والاولاد من الجزية[٢] •

اما في مصر فقد فرض عمر بن الخطاب على كل رجل دينارين في السنة وعفا منها الفقير والصبي والشيخ •

الخـــراج :

وهي ضريبة تفرض على الارض وما تنتجه وقـد فرضها عمر بن الخطاب على الارض التي وقعت في حوزة المسلمين وتؤخذ نقدا •

فرض الخراج على أرض السواد وهي أرض العراق وكانت أرض السواد قد فتحت عنوة فيكون حكمها حكم الغنيمة تقسم بين الغالبين عليها الا ان عمر بن الخطاب لم يقسم الارض واكتفى بقسمة الغنائم بين جند سعد بن ابي وقاص • وقد استقر رأي عمر على هذا التدبير بعـــد ان

---

(١) يحيى بن ادم – الخراج – ص٢٣ •
(٣) أبو يوسف – الخراج – ص١٤٣ •

استشار كبار الصحابة الذين اختلفوا في الرأي فاما عبدالرحمن بن عوف فكان رأيه ان تقسم لهم حقوقهم ووافقه الزبير بن العوام وكان رأي عثمان وعلي وطلحة وابن عمر رأي عمر وقد روى عن علي بن ابي طالب انه عارض قسمة الارض وقال لعمر ان قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ولكن نقرها في ايديهم يعملون بها فتكون لنا ولمن بعدنا وقال عمر ان قسمت العراق بعلوجها والشام بعلوجها ومصر وعلوجها فمـــا يسد به الثغور وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد[1] .

وهكذا أراد الخليفة عمر ان تكون البلاد المفتوحة موردا ماليا ثابتا للمسلمين والدولة في عهده ومن بعده فلم يقسمها . كذلك خاف النزاع بين المسلمين على الارض كما ان عمر قد لاحظ عـــدم معرفة العرب بالزراعة وضرورة بقائهم امة عسكرية مجاهدة حتى لا يتفرقوا على الارض فيقل اهتمامهم بأمور الفتح والغزو .

وأول عمل قام به عمر في أرض السواد هو ان أرسل اثنين من الصحابة وهما عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان لمسح أرض العراق ومعرفة مساحتها بصورة مضبوطة وكذلك لاحصاء اهلها وتقدير الخراج والجزية عليهم وقد استعان هذان الرجلان بأهل البلاد فمسحا الارض فكانت مساحة أرض السواد ٣٦ مليون جريب فوضع على كل جريب عامرا وغامر يناله المال قفيزا من الحنطة وقفيزا من شعير ودرهما ووضع على جريب الـكرم عشرة دراهم وعلى النخيـل ثمانية دراهـم وعلى قصب السكر ستة دراهم وعلى السمسم ستة دراهم وعلى جريب القطن خمسة دراهم وعلى جريب الزيتون اثنا عشر درهما[2] .

اما جبايـة الخراج فكان يقـوم بهـا عمـا مستقلون عن الوالي

(١) أبو يوسف ـ الخراج ـ ص٣٥ .
(٢) أبو يوسف ـ الخراج ـ ص٣٦ .

يدفعون منه أرزاق الجند وما تحتاجه المصالح العامة ويرسل الباقي الى بيت المال ليصرف فيما خصص له وقد اوصى عمر عماله بأن يرفقوا بأهل الارض ولا يحملوا الارض فوق طاقتها ومنع عمـــاله استعمال الضرب بالسياط أو التعليق او ايقافهم في الشمس وقد بلغ مقدار خراج العراق ١٢٠ مليون درهم ٠

اما الخراج في مصر فقد راعى عمرو بن العاص احـــوال الزراع فكان كل زارع يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع أي حسب طاقته فكانت جباية الخراج بالتعديل اذا عمرت القرية وكثر اهلها زيد عليهم وان قل اهلها وخربت نقصوا وهذه هي الطريقة البيزنطية نفسها اذ تقدر الضريبة كل عام ثم توزع على القرى ٠

فرض عمر الخراج على مســاحة الارض التي يمتلـكها الشخص وقد قدر ضريبة الفدان نصف اردب قمح كما اخذ عمر العسل والخل من أصحاب الاراضي اضافة الى ما يأخذ من نوع المحصول وقد جمع من هذه الضرائب في خلافة عمر ستمائة الف دينار سنويا وهي أقل من المبالغ التي جباها الرومان من البلاد المصرية[٢] ٠

بالاضافة الى ضريبتي الجزية والخراج فقـد اوجد عمر ضرائب أخرى وهي ضرائب الصناعة والتجـارة فقد فرض ضريبة العشور على التجارة الداخلية والخارجية ذلك ان ابا موسى الاشعري كتب الى الخليفة عمر ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر فكتب اليه عمر خذ أنت كما يأخذون من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل اربعين درهما ومن أهـل الحرب الذين يدخلون

---

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ حـ٥ ص٢٦٦ ٠

(٣) ابن عبدالحكم ـ فتوح مصر والمغرب ـ ص٢٠٥ ٠

أرض الاسلام العشر[1] .

النظام القضائي

لم يكن عند العرب في الجاهلية سلطة تشريعية تسن لهم القوانين بل سادت العـــادات والتقاليد فكان شيخ القبيلة يحكم بين أفرادها وفق العرف والتقاليد فلما جاء الاسلام تولى الرسول الفصل في الخصومات ولما تولى ابو بكر الخلافة اسند القضاء الى عمر بن الخطاب اما في خلافة عمر فقد عين القضاة في الامصار التي فتحت للمسلمين وقـــد دعت الحاجـــة وظروف المدنية الجديدة التي وجدت في هذه البلاد المفتوحة الى ادخال نظام تشريعي بين الافراد من العرب وغيرهم .

كان عمر اول من عين القضاة في الولايات الاسلامية وكان القضاة يعينون من قبل الخليفة وقد سن عمر لهؤلاء دستورا يسيرون على هديه في الاحكام في كتاب ارسله الى ابي موسى الاشعري والى غيره من القضاة . ونص الكتاب كما يلي :

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك اما بعد فالقضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له واس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم حلالاً ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فأن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهـــم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب في كتـــاب ولا سنة ثم اعرف الامثال واشباه وقس الامور بنظائرها واجعل للمدعي حقا غائبا او بينة امدا ينتهي اليه فأن

(١) أبو يوسف ـ الخراج ـ ص١٣٥ .

احضر بينة اخذ بحقه والا وجهت القضاء عليه فان ذلك اجلى للعمى وابلغ للعذر • المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد أو مجرباً في شهادة زور أو ضنيناً في ولاء أو قرابة فان الله سبحانه وتعالى تولى منكم السرائر ودرأ عنكم البينات واياك والقلق والضجر والتأذى للناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر فانه من يصلح نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شأنه الله) •

هذا الكتاب هو بداية نشوء المدرسة العراقية التي اطلق عليها مدرسة الرأي والتي وضع اسسها القضاة الذين سلكوا نهج عمر بن الخطاب متأثرين بوضع العراق الاجتماعي والاقتصادي حتى كان ابو حنيفة النعمان بن ثابت الذي كان زعيما لهذه المدرسة وقد استندت على الاجتهاد والرأي •

التقويم الهجري :

في سنة ١٦هـ رأى عمر ان الامة الاسلامية بحجاة الى تقويم تؤرخ به حوادثها ووثائقها فقد كانت العرب تؤرخ قبلا بالنسبة لحادثة من الحوادث كعام الفيل ولكن عمر وعهده الملىء بالحوادث والمعارك دفعه الى وضع تقويم للدولة الجديدة وقد رأى ان هجرة الرسول من مكة الى المدينة أهم حادث في تاريخ الامة الاسلامية نقد انتصر الاسلام وعز جانبه وأخذت أنواره تشع لتزيح ظلمات الدهور عن كواهل الشعوب الضاربة في مسارب الغواية والجهالة وبذلك وضع عمر هذا التقويم ابتداء من ذلك الحدث العظيم •

تدوين الديوان :

دون عمر الديوان سنة ٢٠هـ والديوان سجل بأسماء المسلمين

وتقدير اعطياتهم وكان ذلك بعد ان اتسعت الفتوحات وكثرت الاموال المأخوذة من الغنائم فاحتاج الخليفة الى سجل بأسماء المسلمين حسب طبقاتهم .

كانت غاية عمر من ذلك الابقاء على الامة الاسلامية امة عسكرية فرتب لها ارزاقها وجعلها لا تفكر في معاشها فقد كفلته لها الدولة وبذلك اتجهت الى الفتح من اجل اعلاء كلمة الله .

اليهود والنصارى :

قال الرسول الكريم لا يجتمع في الجزيرة دينان وعلى هذا الاساس أمر عمر باخراج اليهود والنصارى واجلاءهم الى بلاد الشام والعراق وبذلك اخلص الجزيرة العربية للمسلمين فقط حرصا منه على وحدة الجزيرة وتماسك اهلها ليكونوا قوة ضاربة لا يخالطهم دخيل أو غريب .

مقتل عمر :

قتل عمر بن الخطاب ، قتله أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسي الاصل وكان قتل عمر بداية مؤامرات الاعاجم على الامة العربية ودينها الحنيف اولئك الذين اكل الحقد قلوبهم لما لحق بهم من النكبات واعظمها سقوط دولتهم وزوال عزهم السياسي ويظهر ذلك مما كان يفعله ابو لؤلؤة اذ لقي صغار السبي من قومه فكان يمسح رؤوسهم ويبكي ويقول : ان العرب اكلت كبدي ونروى هنا ما ذكره ابن سعد في كتابه الطبقات الكبرى عن عبدالرحمن ابن ابي بكر الصديق قال : حين قتل عمر : قد مررت على ابي لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة وهو نصراني من الحيرة والهرمزان وهو من عظماء الفرس كانوا ممن وقع في قبضة المسلمين فاسكنتهم الدولة المدينة المنورة قال عبدالرحمن : رأيت هؤلاء الثلاثة وهم نجيّ فلما باغتهم ثاروا فسقط من بينهم خنجر له رأسان ونصابه من وسطه فانظروا ما الخنجر الذي قتل عمر فوجدوه

الخنجر الذي نعت عبدالرحمن فانطلق عبدالله بن عمر بن الخطاب حين سمع ذلك من عبدالرحمن ومعه السيف حتى اتى الهرمزان وقتله ثم قتل جفينة وابنة لأبي لؤلؤة اما أبو لؤلؤة قد نحر نفسه بعدما ضرب عمر[1] .

وهذا النص يجعلنا على يقين ان هؤلاء الناس الذين أكل الحسد قلوبهم وادمت اكبادهم انتصارات المسلمين وزوال سلطانهم قد اخذوا يحاولون الكيد للمسلمين لينتقموا لمجدهم المندثر وسلطانهم المنهار لذا فان مقتل عمر هو بداية لتلك المؤامرات التي حاكها الفرس طيلة أيام العرب في مختلف أدوارهم وعصورهم ، وهكذا قتل عمر بيد أجنبية وقد علق عمر على فعل ابي لؤلؤة فقال (الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة ما كانت العرب لتقتلني)[2] . وقد اجمع المؤرخون من عرب وغير عرب على ان عمر ابن الخطاب كان من أعظم رجال المسلمين ، فان الدولة الاسلامية جاءت ثمرة جهود رجال ثلاثة ، محمد (ص) وهو الذي بشر بالدين الاسلامي واسس الدولة العربية وابي بكر الصديق الذي حافظ على الدين وتلك الدولة من أخطار الردة والانحراف ، وعمر الذي أقام الدولة على اسس متينة وشيد صرحها عاليا .

مسألة الشورى وبيعة عثمان بن عفان :

دخل الناس على عمر بعدما ضربه ابو لؤلؤة وهو قائم يصلي صلاة الفجر وقالوا له : يا امير المؤمنين استخلف علينا ، قال والله لا احملكم حيا وميتا رغبت ان انجوا منها لا لي ولا علي ولكني استخلف النفر الذي توفى رسول الله وهو عنهم راض فارسل اليهم فجمعهم وهم : (علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد ابن ابي وقاص وعبدالرحمن بن عوف واما طلحة بن عبيدالله فلم يكن في المدينة) وقال

(١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى حـ٣ ص٣٥٥ .
(٢) الطبري ـ الامم والملوك حـ٥ ص١٣ .

لهم وهو طريح والدم ينزف من جراحه يا معشر المهاجرين الاولين اني نظرت في أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقا ولا نفاقا فان يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة أيام ولا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا احدكم وليصلي بكم صهيب الرومي هذه الثلاثة أيام التي تتشاورون فيها فانه رجل من الموالي لا ينازعكم امركم ويحضر معكم ابني عبدالله وليس له من الامر شيئا قالوا يا أمير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعا فاستخلفه فاانا راضون به فقال : حسب آل خطاب تحمل رجل منهم الخلافة ليس له من الامر شيء ثم قال يا عبدالله اياك اياك لا تتلبس بها ثم قال ان استقام امر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام اربعة واختلف اثنان فاضربوا اعناقهم وان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحكموا الى ابني عبدالله فلأي الثلاثة قضى فالخليفة فيهم فان أبو الثلاثة الآخرون ذلك فاضربوا اعناقهم[1] ، وفي كثير من الروايات ان عمر الزم المقداد بن الاسود الكندي تنفيذ خطته هذه[2] ثم قالوا قل فينا مقالة نستدل بها برأيك نقتدي به فقال اوصى الخليفة منكم بتقوى الله العظيم واحذره مضجعي هذا واخوفه يوما تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية ثم قال اخرجوا عني اللهم الفهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على اعقابهم وولى امر امة محمد خيرهم فخرجوا من عنده[3] وتوفي رحمه الله من يومه ذلك . وصلى عليه صهيب الرومي ودفن في بيت عائشة مع صاحبيه الرسول الكريم وابى بكر الصديق وكانت وفاته في الايام الاخيرة من سنة ٢٣هـ رحمه الله .

ظاهر مما تقدم ان عمر لم يختر أحدا كما فعل أبو بكر حينما اختاره كما وانه لم يترك أمر المسلمين خوف الفتنة

(١) ابن قتيبة ـ الامامة والسياسة ص٢٣ .
(٢) الطبري ـ الامم والملوك حـ٥ ص٣٥ .
(٣) ابن سعد ـ الطبقات حـ٣ ـ ٣٣٩ .

وخوف الفرقة ، وقد رأى ان موطن خوفه يكمن في هؤلاء الصحابة الذين رشحهم للخلافة وكانوا اهلا لها ولكنه وجد ان كل واحد منهم يسعى لنيلها وهو محق في سعيه وربما بعض الاختلاف بين هؤلاء ويظهر ذلك من قول عمر ، اني نظرت في امر الناس فلم اجد فيهم شقاقا ولا نفاقا فان يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم ، كذلك كان عمر حريصا على ان لا يطول تشاورهم أكثر من ثلاثة أيام حتى لا يتشعب الناس احزابا وشيعا كما انه شدد على من يخالف رأي الاكثرية وامرهم ان يقطعوا رأي من يخرج على هؤلاء الستة الذين حصر فيهم أمر الخلافة وهم شيوخ المهاجرين والصحابة الاولين والذين توفى الرسول وهو عنهم راض .

كذلك لم يشأ ان يعهد بالامر الى احد خوف من تنابذ الاخرين بل رغب ان يتفق هؤلاء الستة على احدهم حتى لا يعطي الفرصة لاحدهم ان يخرج على ما اتفق عليه لهذا كان عمر مصيبا في رأيه اذ اوكل اليهم اختيار احدهم وظهر ما كان يخشاه عمر اذ لم يتفق هؤلاء على احدهم بعد ان اجتمعوا يومين كاملين بعد وفاته فلما كان اليوم الثالث قال لهم عبدالرحمن بن عوف اتدرون أي يوم هذا ، هذا يوم عزم عليكم صاحبكم ان لا تتفرقوا فيه حتى تستخلفوا احدكم فالوا أجل ، قال : فاني عارض عليكم امرا قالوا : وما تعرض قال : ان تولوني امركم واهب لكم نصيبي فيها واختار لكم من انفسكم قالوا قد اعطيناك الذي سألت ، فلما سلم القول قال لهم عبدالرحمن : اجعلوا امركم الى ثلاثة منكم فجعل الزبير ابن العوام امره الى علي بن ابي طالب وجعل طلحة بن عبيدالله امره الى عثمان بن عفان وجعل سعد بن ابي وقاص امره الى عبدالرحمن ابن عوف وبذلك حصر الامر في أضيق نطاق[1] ولم يبق الا ان يختار

(١) ابن قتيبة ـ الامامة والسياسة ص٢٤ .

احـــد الرجلين عثمان بن عفـــان أو علي بن أبي طالب بعد ان وهب نصيبه لهم .

فخرج يسأل الناس في انقاب المدينة من رعاع القوم ويقول لهم من ترون الخليفة بعد عمر فلم يلق أحدا يستشيره أو يسأله الا ويقول له عثمان فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان جمعهم في المسجد فحمد الله واثنى عليه ثم قال اني نظرت في امر الناس فلم اراهم يعدلون بعثمان ثم اخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعا وهكذا انتهت مسألة الشورى باختيار عثمان بن عفان ليكون ثالث الخلفاء الراشدين .

خلافة عثمان

من ٢٣ ـ الى ٣٥هـ

٦٤٤م ـ ٦٥٦م

عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب وامه اروى بنت كريز وامها ام حكيم البيضاء بنت عبدالمطلب بن هاشم تؤمه ابي رسول الله عبدالله فأم عثمان بنت عمة النبي (ص) ولقبه أبو عبدالله او ابو عمرو[١] ٠

ولد في السنة السادسة من عام الفيل وهو من المسلمين الاولين الذين دعاهم ابو بكر الصديق فاجابوا الى الاسلام وقد تعرض عثمان لغضب عمه الحكم بن ابي العاصي فاوثقه رباطه وقال له اترغب عن ملة آبائك الى دين محدث والله لا احلك ابدا حتى تدع ما انت عليه من هذا الدين ٠ فقال عثمان والله لا ادعه ابدا ولا افارقه ٠ فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه ٠ تزوج رقية بنت رسول الله الكريم وهاجر الى الحبشة الهجرة الاولى والثانية ومعه في الهجرتين زوجته رقية ثم توفيت في ليالي غزوة بدر فزوجه الرسول ابنته ام كلثوم فتوفيت عنده سنة ٩ للهجرة ٠ ومن اجل ذلك لقب « بذا النورين »[٢] وهو احد العشرة الذين بشرهم الرسول بالجنة وهو الذي جهز جيش العسرة « جيش تبوك » ذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف (ان عثمان جهز ذلك الجيش بـ ٩٥٠ بتسعمائة وخمسين بعيرا وأتمها ألفا بخمسين فرسا كلها من ماله الخاص وهو الذي اشترى بئر رومة وهي بئر كانت في المدينة لرجل يهودي يستقي منها

(١) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ـ ص١٤٧ ٠
(٢) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ـ ص١٤٨ ٠

المسلمون ويدفعون اجرة سقاتهم الى ذلك اليهودي فقال الرسول الكريم من يشتري بئر رومة وله مشربة في الجنة فذهب عثمان الى ذلك اليهودي وساومه فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهم ثم اشترى النصف الثاني بثمانية آلاف وجعلها لعامة المسلمين يستقون منها الماء دون اجر ، ثم اشترى أرضا مجاورة لمسجد رسول الله واضافها الى ذلك المسجد . قال الرسول من جهز جيش العسرة وحفر بئر رومة فله الجنة كما ان عثمان قام في خلافته بجمع القرآن الكريم بعد ان ظهر الاختلاف في قراءات المسلمين في امصارهم البعيدة عن المدينة وارسل عثمان نسخا للقرآن الكريم الذي جمعه الى تلك الامصار[1] .

وصف عثمان بأنه كان ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه ابيض مشرب بالحمرة بوجهه نكتات جدري كثير اللحية غريز الشعر قد كسا ذراعيه جعد الرأس أحسن الناس ثغرا وقد شد أسنانه بالذهب . قال الحسن البصري : شهدت عثمان وهو يخطب وانا يومئذ قد راهقت الحلم فما رأيت قط ذكرا ولا انثى أصبح وجها ولا أحسن نظرة منه[2] وقال الرسول الكريم حينما دخل عليه عثمان وقد جمع الرسول ثيابه (الا استحي من رجل تستحي منه الملائكة وقال علي بن أبي طالب (ع) : (ذاك رجل يدعى في الملأ الاعلى) وذكر عن عثمان انه كان تقيا ورعا يصوم الدهر ويحج بيت الله كل عام كما كان طيب النفس نقي السريرة حليما متواضعا رفيقا بالناس يصل الرحم ويتقي الرب قال المسعودي في مروج الذهب (كان عثمان في نهاية الجود ، والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد ، فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقه واقتدوا به ، وكان جوده متأتيا من كثرة أمواله فقد تبرع لجيش العسرة بألف

---

(١) الدنيوري ـ المعارف ـ ص٨٣ .

(٢) ابن حجر ـ الاصابة حـ٢ ص٤٦٢ .

دينار وكان غنيا يعيش عيشة الاغنياء يسكن داره في المدينة التي بناها من الكلس والحجارة وجعل ابوابها من الساج والعرعر واقتنى الاموال والجنان والعيون في المدينة وغيرها وكان يأكل اللين الطعام وأطيب أصنافه . ذكر المسعودي أيضا : انه احصى ما خلفه عثمان بعد مقتله فبلغ خمسين ومائة الف دينار والف الف درهم وضياع كثيرة جائته هذه الاموال من اشتغاله بالتجارة في الجاهلية والاسلام[1] .

شارك عثمان الرسول وصحبه في كل المشاهد والغزوات الا غزوة بدر اذ بقي في المدينة لتمريض زوجته رقية والتي توفيت يوم ذاك وقد عده الرسول من أهل بدر وضرب له بسهمه كما ان الرسول أرسله الى مكة ليفاوض اهلها في دخول المسلمين لأداء العمرة وقد حبس عثمان واشيع بين المسلمين انه قتل فتبايع المسلمون على بيعة الرضوان وذلك سنة ٦هـ .

تسلم عثمان خلافة المسلمين بعد ان استقر رأي عبدالرحمن بن عوف عليه فبايعه رجال الشورى وبايعه المسلمون في المدينة وعمره تسع وستون عاما وذلك في المحرم مبتدأ سنة (٢٤هـ) وهو عام الرعاف – وهو عام كثر فيه نزول الدم من انوف الناس حتى ان عثمان اصيب به .

كان عثمان لسنة سنين الاولى من ولايته وهو احب الى الناس من عمر بن الخطاب فقد كان عمر شديدا قد ضيق على قريش انفاسها فلم ينل أحدا معه من الدنيا شيئا اعظاما له واجلالا وتأسيا واقتداءا فلما وليهم عثمان ولي رجل لين قد وسع على الناس في أرزاقهم واعطياتهم حتى قسم

---

(١) المسعودي – مروج الذهب جـ٢ ص٣٤١ .

عليها الكسوة والحلل والسمن والعسل والمسك والعنبر فمال الناس اليه واحبوه حتى قال قائلهم :

احبـك والرحمن حب قريش عثمان
اذا دعا بالميزان[1]

(١) الدنيوري ـ المعارف ص٨٣ .

الفتوح في عهد الخليفة
عثمان بن عفان
(فتح اذربيجان وارمينية)

كان أهل اذربيجان قد صالحوا حذيفة بن اليمان في خلافة عمر بن الخطاب على (٨٠٠) ألف درهم يدفعونها الى المسلمين ، وكان ذلك الصلح سنة ٢٢ للهجرة ، فلما توفي عمر بن الخطاب امتنع أهل اذربيجان عن دفع ما اتفقوا عليه فلما بويع عثمان ولى الكوفة الوليد بن عقبة الذي غزا اذربيجان وكان على مقدمته سلمان بن ربيعة الباهلي في أربعة آلاف ، اما عدد جيش الوليد فكان أربعين ألفا وقد استطاع الوليد من دخول اذربيجان كما استطاع احد قواده وهو عبدالله بن شبل بن عوف ان يحتل بلاد أخرى فاصاب بها وسبى اموالا ، فلما رأى أهل اذربيجان سطوة العرب وبأسهم انقادوا للوليد وطلبوا اليه ان يتم لهم ذلك الصلح وقبض منهم ذلك المال الذي امتنعوا عن دفعه ، ثم وجه الوليد بن عقبة من اذربيجان جيشا بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي الى ارمينية في اثنا عشر الفا وسار اليها وقتل وسبى ثم انه ملأ يديه وعاد الى الوليد فانصرف الوليد عائدا الى الكوفة وكانت هذه الغزوة سنة ٢٤هـ[١] .

وفي هذه السنة استمد معاوية عثمان لان الروم جاشت جيوشهم وقد اخذت تهدد بلاد الشام فأرسل عثمان الى الوليد ابن عقبة يطلب اليه ان يرسل من أهل الكوفة مددا لمعاوية فأرسل ستة آلاف مقاتل بقيادة سلمان ابن ربيعة الباهلي وقد تقدم سلمان يقود أهل الكوفة وعلى أهل الشام حبيب بن مسلم الفهري ، وقد استطاع القائدان ان يتوغلا في ارمينية من بلاد الروم وكان حبيب بن مسلمة صاحب كيد وقد عزم على ان يبيت الموريان قائد الروم فسمعته زوجته أم عبدالله بنت يزيد الكلبية فقالت له :

---

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص٣٢١ .

أين موعدك غدا قال سرادق الموريان أو الجنة ثم بيتهم وقتل من اشرف له وأتى السرادق فوجد امرأته قد سبقته وجلست على كرسي الموريان بعد ان قتلته وكانت هذه الغزوة سنة (٢٤) وخضعت ارمينية للحكم العربي[١] .

وفي سنة (٢٧هـ) نقضت الاسكندرية مرة أخرى فغزاها عمرو بن العاص واخضعها ، ثم أخذ العرب بالاندفاع نحو شمال افريقيا لفتحها وقد بدأ ذلك الاندفاع عبدالله بن سعد بن ابي سرح الذي ولاه عثمان حرب مصر الى جانب عمرو بن العاص أمير البلاد وكان عمرو بن العاص قد حاول غزو شمال افريقيا الا ان أعماله لم تكن ذات أثر في عملية الفتح كأعمال عبدالله بن سعد ابن ابي سرح الذي احتل جزءاً من شمال افريقيا ووصل الى حدود تونس وكان يقود جيشا من عشرة آلاف مقاتل فأخضع هذه البلاد ودخل أهلها الاسلام وكانوا أطوع أهل شمال افريقيا للحكم العربي وقد صالحوا عبدالله على ألفي ألف دينارا وحمسمائة ألف دينار وعشرين ألف وقيل بل صالحهم كما ذكر الطبري على ثلثمائة قنطار ذهب[٢] .

وفي هذه السنة أي سنة (٢٧هـ) غزا معاوية جزيرة قبرص وهي أول غزوة بحرية يقوم بها المسلمون وكان معاوية يرغب في غزوها منذ أيام الخليفة عمر بن الخطاب الا ان عمر لم يوافق معاوية على رغبته هذه فلما تولى عثمان الخلافة اذن لمعاوية بعد تردد في غزوها وكتب اليه كتابا ذكره البلاذري في فتوح البلدان قال : (ان ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذونا والا فلا) فركب البحر ومعه امرأته فأخته بنت قرظة وكان معه عبادة بن الصامت وزوجته وقد استطاع المسلمون النزول على ساحلها فصالحهم أهلها دون حرب على سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدونها كل

(١) الطبري ـ الامم والملوك حـ٥ ص٤٦ .
(٢) الطبري ـ الامم والملوك حـ٥ ص٥٠ .

عام ويؤدون مثلها الى البيزنطيين[1] ثم عاد المسلمون لفتح قبرص مرة ثانية سنة (٣٢هـ) بعد ان نكثوا عهدهم مع المسلمين بان اعانوا الروم على غزو البحر فغزاهم معاوية في خمسمائة مركب ففتح قبرص عنوة فقتل وسبى ثم اقرهم على صلحهم وانزلها اثني عشر ألف من جند المسلمين وبنوا فيها المساجد واقاموا مدينة خاصة لهم ثم هدمت هذه المدينة بعد رحيل جند المسلمين عنهم ٠

وفي سنة ٣٩هـ استطاع سعيد بن العاص عامل عثمان على الكوفة احتلال طبرستان وصالح ملك جرجان على مائتي ألف درهم وفي سنة احدى وثلاثين قتل يزدجرد ملك الفرس وبذلك انتهت سلالة آل ساسان وقد قتله طحان على نهر المرغاب ٠

وفي هذه السنة وقعت معركة ذات الصواري البحرية بين الاسطول العربي والاسطول الرومي وكان قائد المسلمين عبدالله بن سعد بن أبي سرح وقد انتصر المسلمون في هذه المعركة انتصارا رائعا وحطموا بذلك سيطرة الروم على ملاحة البحر الابيض المتوسط[2] ٠

وفي سنة احدى وثلاثين أيضا فتح عبدالله بن عامر عامل عثمان على البصرة وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره بلاد فارس ونيسابور وخراسان وصالح أهل مرو المسلمين على مال يدفعونه ، ذكره الطبري انه ستة آلاف ومائتي ألف درهم وكان في مقدمة جيش عبدالله الاحنف ابن قيس التميمي الذي تقدم شرقا فاصطدم بأهل الطلقان من مناطق خراسان الشرقية ، وكان عددهم ثلاثون ألفا والمسلمون في قلة من الجند حتى فكر الاحنف بالانسحاب كي لا يصطدم بهذا العدد الكبير لكن الحرب وقعت بين الجانبين فانتصر المسلمون على ذلك الجيش الكبير ثم اتجه احد

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص١٥٧ ٠
(٢) الطبري ـ الامم والملوك حـ٥ ص٦٩ ٠

قادة ذلك الجيش وهو الاقرع بن حابس واكمل فتح البلاد بعد ان قضى على فلول ذلك الجيش المنهزم وذلك سنة (٣٢هـ) وفيها صالح الاحنف أهل بلخ على اربعمائة ألف درهم وبذلك تم لعبدالله بن عامر فتح بلاد فارس وكرمان وعامة بلاد خراسان[١] .

وفي (٣٢هـ) غزا معاوية بن ابي سفيان مضيق القسطنطينية وفي سنة (٣٣هـ) غزا معاوية حصن المرأة من ناحية ملطية وفي هاتين الغزوتين ظفر المسلمون وانتصروا على الروم .

وهكذا نجد ان أعمال الفتح التي بدأت في خلافة عمر بن الخطاب لم تتوقف في خلافة عثمان بل زادت اندفاعا نحو الشرق والغرب فاتسعت رقعة الدولة العربية ودخلت عناصر جديدة الدين الاسلامي وجالت جيوش المسلمين في بلاد بعيدة تحرز النصر تلو النصر وقد غزا المسلمون في خلافة عثمان البحر لاول مرة وبذلك أبعدوا خطر الاسطول البيزنطي عن مهاجمة السواحل المصرية والشامية وقد ساعد العرب في هذه الحرب القبط والسوريون الذين اقاموا اسطولا عربيا كما انهم كانوا قادة السفن في عرض البحار لان العرب لم تكن لهم معرفة سابقة لا في بناء السفن أو الحرب في البحار ، وأخيرا لابد لنا من ان نشيد بدور القادة الذين اكملوا دور من سبقوهم وهم عمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان وعبدالله بن سعد بن أبي سرح وعبدالله بن عامر والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص فكلهم قد قام بدوره خير قيام مندفعا نحو اعلاء كلمة الله وشأن الامة العربية .

الفتنة على عثمان :

عرف عن عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين حسن الخلق وكرم الشمائل وجود في المال ولين في العريكة ، فكان لهذه الصفات التي اتصف بها اثرها في تدبيره شؤون الخلافة وأمور المسلمين فشعر المسلمون بتغيير

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص٢٨٣ .

كبير في حياتهم وتدبير أمورهم عما كانوا عليه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي عرف بالحزم والتزام العدل فلم ينل أحد معه من الدنيا شيئا اعظاما له واجلال وتأسيا واقتداء فلما وليهم عثمان مال اليه الناس وأحبوه وساروا سيرتهم الطبيعية فكانت السنون الست الاولى من خلافته هادئة لم يحدث في خلالها تغيير في سير حياة الامة الطبيعية ثم تعرض ذلك الاستقرار وذلك الهدوء لهزات خفيفة لم تلبث ان اضطربت واصطرغت حتى انتهى الامر بمصرع الخليفة .

بدت علائم الفتنة وبرزت قرونها في الامصار في العراقين الكوفة والبصرة وفي مصر كان لاخلاق عثمان ولينه أثر في ظهور علائم الفتنة فاستغل أهل الامصار ذلك اللين وبعد احتمال تعرضهم للعقاب فبدأوا يوجهون النقد العنيف الى ولاة الخليفة عثمان ثم الى عثمان نفسه كما استغل هذا اللين من التف حوله من ذوي قرباه من بني امية كمروان بن الحكم واثروا عليه في تدبير شؤون المسلمين وسيروه حسب مصالحهم ومنافعهم غير آبهين لما قد يحدث أو يترتب على ذلك من أخطاء وأخطار . يصف طه حسين هؤلاء في النهاية التي انتهى اليها الخليفة فيقول (لو قد سار عثمان سيرة عمر ولو لم تدخل قرابته بينه وبين الناس لما كانت الفتنة ولما احتجنا الى املاء هذا الكتاب) .

يقصد بذلك كتابة الفتنة الكبرى . من هذا يظهر أثر تلك القرابة على عثمان والنهاية التي انتهى اليها .

ظهرت علائم الفتنة أول الامر في الامصار فان التذمر الذي حدث كان وليد عوامل عديدة منها ان المسلمين الذين تعودوا على الفتوح والحروب في أيام عمر بن الخطاب والحصول على الغنائم الوفيرة لم تكن مهيأة في أيام عثمان فتجمع العرب في امصارهم دون عمل وأدى ذلك الى ظهور الروح القبلية والحسد لقريش التي كانت تمثل الطبقة الارسقراطية والتي استفادت من الفتوح الاولى وحصلت على غنائم كثيرة فازدادت ثروتها

بجانب الاعراب الذين لم تتح لهـــم الفرصة للاشتراك في تلك الفتوح والحصول على ما حصلت عليه قريش من الاموال فظهر ذلك التفاوت الطبقي ونظرت تلك القبائل العربية الى قريش نظرة ملؤها الحسد والغيض والنفور • الحسد لوفرة أموالها والغيض من سماح عثمان لهذه الطبقة من قريش من تملك الاقطاعات الكبيرة بالاضافة الى اغداقه الاموال على بعض الشخصيات الاسلامية كما ملأت قلوب الاعراب نفورا تعالي قريش على بقية القبائل العربية وانها هي التي رفعت الذلة عن العرب وأتاحت لهم ان يكونوا اعزة أسياد بعد ان كانوا اذلة • أدى هذا التناقض والتفاصل الى ظهور العصبية القبلية بين القبائل العربية التي ساءها ان تجد استئثار قريش بالمال والسلطان والتحكم بأمور الناس وانفرادها بالولايات والمناصب الكبرى في الدولة لتنال حضها وتجد لها سبيلا للاشتراك في الحكم وان يكون لها نصيب في تدبير شؤون الناس وسياسة الدولة •

لم يكن هذا الشعور قد استحوذ على نفوس تلك القبائل العربية ضد قريش فقط بل سرى الى أبناء قريش نفسها ضد بني امية اولئك الذين ابعدهم عثمان عن المناصب الرئيسية وخص بها ذوى قرباه فكان معاوية بن أبي سفيان على الشام وعبدالله بن سعد بن ابي سرج على مصر وعلى الكوفة الوليد بن عقبة ثم سعيد بن العاص وعلى البصرة عبدالله بن عامر فحز في نفوس شباب قريش ان يجدوا انفسهم الطامحة الطامعة وليس في مقدورها ان تنال شيئا من هذا الامر الذي جعله عثمان مقصورا على أقاربه وذلك كانت ثورة هؤلاء على عثمان انما هي ثورة على بني امية قال علي لطلحة (انشدك الله الا رددت الناس عن عثمان قال لا والله حتى تعطني بني امية الحق من نفسها)[1] •

كمـــا أخـــذ بعض الصـــحابة على عثمـــان وولاته مظاهـــر الترف التي طرأت على أسلوب حياتهم والاستئثار بالاموال دون المسلمين

(١) الطبري ـ الامم والملوك حـ٥ ص١٣٩ •

وسكنى القصور واتخاذ الحرس كما كان يفعل معاوية في الشام من هؤلاء الذين انتقدوا على هذا التغير أبو ذر الغفاري الذي ظهر على الناس منتقدا عثمان ومعاوية على هذا التغير في المأكل والملبس فكانت لآرائه هذه ان وجهت عواطف الناس ضد عثمان فكان لأبي ذر اثر كبير في تشجيع الناس على توجيه النقد الى الخليفة • اضف الى ذلك ان عثمان سمح لكبار المهاجرين والانصار في الخروج من الحجاز الى الامصار وخالف بذلك سياسة عمر بن الخطاب الذي كان حبسهم عن الخروج الا باذنه ولمدة وجيزة خوف افتتان الناس بهم وحدث ما كان يخشاه عمر فأدى سماح عثمان لهؤلاء الشخصيات الاسلامية بالخروج الى الامصار ان استغلت أسماؤهم والتف حولهم المسلمون الحانقون على عثمان وولاته •

وأخيرا لابد ان نذكر أثر الوالي في تلك الفتنة وهدفهم الذي كانوا يسعون اليه فمقتل عثمان كان فتنة دبرتها يد السبئية ويد الموالي الناقمين المتربصين وعقدوها نية لقلب الدولة تخضخض استقرار الامة فهي ثورة فيها نقمة اليهود لخيبر وثأر الموالي للقادسية وهي حلقة مفرغة بدأت بعمر بن الخطاب وأخذت تلتقط كبار رجال الدعوة لتضعف شوكة الامة وينفسح لها الطريق لتسلكه الى هدفها وهو استئصال الحكم العربي من الوجود[1] وكان من زعماء الموالي الذين أخذوا على انفسهم ان ينالوا من عثمان ويألبوا عليه ويبثوا الفرقة بين المسلمين عبدالله بن سبأ الذي كان كغيره من الموالي الذين اظهروا اسلاما واخفوا غلا وحقدا للاسلام والمسلمين •

وهكذا تعاونت هذه العوامل في اثارة الناس على عثمان حيث ظهرت بوادر الثورة لأول مرة في الكوفة فكانت سياسة عثمان ووالية سعيد بن العاص سببا في استياء الروادف والاعراب والمحرومين في تفضيل أهل السابقة

(١) بديع شريف ـ الصراع بين الموالي والرب ص٣٢ •

والقدمة على هؤلاء الذين رأوا الاسلام يساوى بين كافة عناصر الامة دون تفرقة أو تمييز .

حاول عثمان ان يقضي على هذا الخطر قبل امتداده فأمسك بزعماء أهل الكوفة من الذين اظهروا النقد والطعن عليه وعلى سعيد بن العاص واخرجهم من الكوفة الى الشام ليبعدهم عن مصرهم ويتخلص من شرهم وعلى رأسهم الاشتر مالك بن الحارث النخعي .

اشتد امر المعارضة وتعاقم الامر وشعر الخليفة بذلك الخطر فأرسل في طلب ولاته ليجتمع بهم لعله ان يجد سبيلا لتمكين سلطانه وايقاف ذلك التيار الذي يوشك ان يجرف كل ما يعترضه وينفض اجتماع الخليفة بعماله دون ان يتخذوا قرارا معينا لوقف هذه الاحداث التي تتلاحق بعضها وراء بعض . ورأى عثمان ان من الخير له ان يستجيب لمطالب الامصار فأرسل كتابا الى أهل الكوفة محاولا استرضائهم : بسم الله الرحمن الرحيم. اما بعد فقد امرت عليكم من اخترتم واعفيتكم من سعيد والله لافرشنكم عرضي ولابذلن لكم صبري ولاستصلحتكم بجهودي فلا تدعوا شيئا كرهتموه لا يعص الله فيه الا استعفيتم منه انزل فيه عندما احببتم حتى لا يكون لكم علي حجة » وارسلت نسخ من هذا الكتاب الى الامصار .

كان عثمان بارساله هذا الكتاب انما يعبر عن رغبة صادقة في الاستجابة لرغبة أهل الامصار الا ان بطانة عثمان التي كانت تسيطر عليه حولته عن مواقف كثيرة لو اتيح له ان يستمر فيها لكان من الممكن ان لا يتعرض لهذا المصير المحزن الذي انتهى اليه وهو اجتماع الثوار في المدينة ومحاصرتهم الخليفة مدة أربعين يوما انتهى ذلك الحصار بقتله وذلك سنة ٣٥هـ .

ونستطيع ان نلخص أسباب هذه الفتنة بالنقاط التالية :

---

(٢) البلاذري – انساب الاشراف حـ٥ ص٤٦ .

١ ـ لين عثمان وتساهله مع الناس وعدم اخذهم بالحزم والشدة التي أخذهم بها عمر بن الخطاب .

٢ ـ السماح لكبار الصحابة من قريش بالخروج من الحجاز والنزوح الى الامصار مخالفا بذلك سياسة عمر بن الخطاب الذي كان قد منعهم من الخروج الا باذنه ولفترة قصيرة اذ كان يخشى ان يفتتن الناس بهم ويلتفوا حولهم ويتخذوا من أشخاصهم ومكانتهم الدينية مجالا للفرقة والتحزب والتشيع .

٣ ـ استغلال ذو قرباه وسيطرتهم على شؤون الخلافة فكان أكثر الولاة من بني أمية كذلك كان المسيطر على عثمان مروان بن الحكم فحز في نفوس شباب قريش تسلط هؤلاء وانفرادهم بالسلطة والامرة فكان ذلك من عوامل اثارة الفتنة على عثمان .

٤ ـ توقف الفتوح نسبيا والتي كانت تشغل المسلمين عن الاهتمام بأمور الحكم اذ كانوا منساقين للفتح بعوامل دينية ومادية فلما ركدت هذه الفتوح توجهت أنظار الناس الى أمور الخلافة والتدقيق في أعمال ذوي السلطة .

٥ ـ ظهور بعض الرجال مثل أبي ذر الغفاري الذي هاجم عثمان وولاة عثمان واتهمهم بالخروج عن مبادىء الدين الاسلامي لاستحواذهم على أموال المسلمين والتصرف بها وسكناهم القصور ولبسهم الديباج والحرير وفي ذلك حسب رأيه مخالفة لمبادىء الدين الاسلامي وسيرة الرسول وأبي بكر وعمر .

٦ ـ موقف الموالي وعلى رأسهم عبدالله بن سبأ هؤلاء الذين اذلهم انتصار المسلمين فعقدوها نية تخضخض استقرار الامة وتمزق وحدتها ليصلوا الى غايتهم وهي استئصال الحكم العربي من الوجود والانتقام لمجدهم ودولتهم التي قضى عليها . فمنذ مقتل عمر بن الخطاب وفي

عهود المسلمين عامة وفي سجل التاريخ ما يؤكد ان هؤلاء الفرس هم أعداء هذه الامة وهذا الدين فلم يكن دخول أكثرهم الاسلام الا رياء ونفاقا فلم يكونوا يوما مسلمين حقيقة في كل تاريخهم ودليلنا على ذلك كثر ما ظهر من الفرق الهدامة في بلاد الفرس والتي اظهرت الاسلام واخفت الغل والحقد للاسلام والعرب أجمعين اذن مقتل عثمان كان بتدبير هؤلاء للموالي الناقمين المتربصين للامة العربية فموقفهم هذا يعتبر السبب الرئيسي في اثارة الفتنة على عثمان وقتله .

كان قتل عثمان بشكل وحشي لم تشفع له كبر سنه ولا مقام خلافته ولا قرائته القرآن من بطش هؤلاء الذين تجمعوا في المدينة وحصروه في داره أربعين يوما وكان عددهم تسعمائة ستمائة من أهل مصر وعلى رأسهم عبدالرحمن بن عديس البلوى ومائتين من أهل الكوفة على رأسهم مالك الاشتر ومائة من أهل البصرة وعلى رأسهم حكيم بن جبلة العبدي وكانوا يد واحدة على الشر وكان حثالة من الناس قد ضووا اليهم وكان أصحاب النبي (ص) الذين خذلوه كرهوا الفتنة وظنوا ان الامر لا يبلغ قتله فندموا على ما صنعوا في امره ولو قاموا أو قام بعضهم فحثا في وجوههم التراب لانصرفوا خاسرين الا ان هؤلاء هاجموا عثمان بعد خروجهم من صلاة الجمعة فدخل الى داخل الدار محمد بن أبي بكر الصديق بعد ان تسور عليه ومعه كنانة بن بشر وسودان بن حمران وعمرو بن الحمق فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة يقرأ في المصحف سورة البقرة فتقدمهم محمد ابن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان فقال أخزاك الله يا نعثل فقال عثمان لست بنعثل ولكن عبد الله وأمير المؤمنين فقال محمد ما اغنى معاوية عنك وفلان وفلان فقال عثمان يابن أخي دع عنك لحيتي فما كان أبوك ليقبض علي ما قبضت عليه فقال محمد ما أريد بك أشد من قبض على لحيتك فقال عثمان استنصر الله عليك واستعين به ثم طعنه بمشقص في يده فوجاء بها في اصل اذن عثمان فمضت حتى دخلت في حلقه ثم علاه بالسيف حتى قتله ثم ضرب كنانة بن

بشر جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبه وضربه سودان بن حمران المرادي بعدما خر لجبينه فقتله واما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات وقد اصيبت معه زوجته نائلة بنت الفرافصه التي حاولت انقاذه فهوت عليه تحميه فقطعت أصابع يدها من ضربة سيف[1] .

كان مقتل عثمان يوم الجمعة ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ ودفن ليلا في خارج المدينة المنورة .

كان لمقتل عثمان آثاره البعيدة في حياة الامة الاسلامية فمقتله حدث يفوق أي حدث آخر في الاسلام فمنذ ان قتل أصبح بالسيف يعرف من هو خليفة المسلمين .

وفتحت أبواب الحرب الاهلية كيلا توصد بعدها أبدا ولذلك دعى الخليفة المقتول بـ (الباب المفتوح) وتجزأت الامة أحزابا كل حزب منها يسعى الى تهديم سياسة غيره واشهار السلاح على الامام القائم لاحلال امامه محله[2] .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك حـ٥ ص١٣٢ .
(٢) ولهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ص٤٥ .

(علي بن ابي طالب)

(٣٥ ـ ٤٠ هـ / ٦٥٦ ـ ٦٦١م)

علي بن ابي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب ، وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشميا ، وقد اسلمت وهاجرت ، ولقبه ابو الحسن او ابو تراب لقبه الرسول بذلك ، ولد علي قبل البعثة النبوية بعشر سنين وعاش في بيت الرسول منذ صغره فقد كفله ليخفف بذلك عن عمه ابي طالب الذي كثر عياله وقلت موارده وحذا حذو الرسول العباس الذي ضم اليه جعفرا .

عاش علي في كنف الرسول حتى بعث فاتبعه وآمن به وصدقه وهو ابن عشر سنين فيكون بذلك اول فتى من فتيان قريش آمن برسالة محمد ، لذلك فلم يعبد الاصنام ولم يسجد لها حتى قيل فيه علي كرم الله وجهه . وكان يخرج مع الرسول يرقب له قريشا عند قيامه بالصلاة في شعاب مكة وقد عرف ابو طالب ان ابنه علي قد اتبع الرسول فسأله اي بني ما هـذا الذي انت عليه ؟ فقال يا ابتي آمنت بالله وبرسوله وصدقت بما جاء بـه وصليت معه لله واتبعته فلم يمانع ابو طالب ولم يعترض عليه بل حثه على ملازمة الرسول[1] .

ظل علي يعيش في بيت الرسول وشاركه كل ما عاناه من قريش حتى امر الرسول بالهجرة فترك عليا في فراشه ليوهم قريشا بانه ما زال باقيا ولم يخرج فلما جنّ الليل دخلت قريش لتقضي على الرسول فوجدت عليا مكانه وكان الرسول قد عهد الى علي ان يؤدى عنه الودائع والوصايا التي كانت

---

(١) ابن هشام ـ السيرة ـ ص ٢٤٥ .

عند النبي ثم يلحقه باهله ففعل علي ذلك ولحق بالرسول في المدينة وكان الرسول يدعوه اخاه حتى قالت له ام ايمن مولاته ذات يوم تداعبه اتدعوه اخاك وتزوجه ابنتك وهي تشير بذلك الى فاطمة بنت الرسول التي تزوجها علي في السنة الثانية للهجرة[1] .

شهد علي مع الرسول المشاهد كلها الا غزوة تبوك فقد ابقاه الرسول في المدينة وكان راغبا في ان يشارك المسلمين هذه الغزوة ليدفع عنه مقالة المنافقين التي وجهت اليه وهي (ان الرسول ابقاه تخفيفا عنه فقال الرسول لعلي ولكنني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في اهلي واهلك) ، افلا ترضى يا علي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي من بعدي[2] ؟ فرجع علي الى المدينة ومضى الرسول الى تبوك وله في كل هذه المشاهد والحروب آثار مشهورة وافعال عظيمة وقد اعطاه النبي اللواء في مواطن كثيرة ، قال سعيد بن المسيب : اصابت عليا يوم احد ست عشرة ضربة كذلك فقد ثبت في غزوة حنين حينما ولى الناس هاربين فثبت الرسول ومعه ابو بكر وعمر وعلي ورجال آخرون ثم تراجع المسلمون بعد ان لبوا نداء الرسول فانقلبت الهزيمة الى نصر . كذلك ظهرت شجاعته في معركة الخندق ومن ثم في خيبر وهي آخر معركة بين المسلمين واليهود . وفي صلح الحديبية قام علي بكتابة كتاب الصلح بين الرسول وقريش ، كذلك اوعز اليه الرسول ان يؤذن بين الناس يوم الحج ويبلغهم دعوته وهذه الدعوة هي انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالناس عريان ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له الى مدته . وكان الرسول قد عهد بذلك الى علي مفضلا اياه على غيره من سائر المسلمين اذ قال الرسول لاصحابه لا يؤدى عني الا رجل من اهلي[3] .

---

(٣) ابن هشام ـ السيرة ـ ص ٤٨٣ .
(٤) ابن حجر ـ الاصابة ـ ج ٢ ص ٥٠٩ .
(١) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ـ ص ١٦٧ .

وصف علي بأنه كان ربعة من الرجال الى القصر اميل ادعج العينين حسن الوجه ضخم البطن عريض المنكبين اصلع ليس في رأسه شعر الا من خلف كبير اللحية لا يتبين عضده من ساعده قد ادمجت ادماجا اذا مشى تكفأ واذا امسك بيد رجل امسك بنفسه فلم يستطع ان يتنفس وهو الى السمن ما هو شديد الساعد واليد اذا مشى للحرب هرول ، ثبت الجنان قوي شجاع قال الرسول الكريم (أنا مدينة العلم وعلي بابهـا) وقال عمر بن الخطاب : علي اقضانا[1] .

واخيرا فان علي كان من ابرز اصحاب رسول الله (ص) في دعمه لموقفه ونصرة الدين الاسلامي شأنه شأن الصحابة الآخرين كأبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين .

بيعة علي بن ابي طالب (رض) :

سيطر رجال الفتنة الذين فتكوا بعثمان بن عفان (رض) على المدينة وراحوا يلتمسون لهم طريقا كي يولون احـد الصحابة امر المسلمين ولتوضيح ما كان عليه الحال نذكر ما اورده الطبري قال (بقيت المدينة بعد قتل عثمان (ر) خمسة أيام واميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالامر فلا يجدون مجيبا من أصحاب رسول الله (ص) فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون والامر امرهم . فلما اعياهم الامر اتوا علياً واتى الناس اليه وهو في سوق المدينة وقالوا له ابسط يدك نبايعك قال لا تعجلوا فان عمر كان رجلا مباركا قد اوصى بها شورى فامهلوا يجتمع الناس ويتشاورون فارتد الناس عن علي ثم قال بعضهم ان رجع الناس الى امصارهم بقتل عثمان ولم يقم بعده قائم بهذا الامر لم نأمن اختلاف الناس وفساد الامة فعادوا الى علي فأخذ الاشتر بيده فقبضها علي

---

(١) ابن حجر – الاصابة – جـ٢ ، ص ٥٠٢ .

ولكن الاشتر اصر على مبايعته فقبل ذلك فبايعته العامة على اثر ذلك[1] .

من هنا يظهر ان أهل المدينة ليس لهم خيار فيما يرى هؤلاء فانقادوا اليهم وتابعوهم على ما ارادوا حتى ان كبار الصحابة وعلى رأسهم علي وطلحة والزبير لم يجدوا بدا من الانصياع لرغبة رجال الفتنة مع علمهم بأن ما اقترفه هؤلاء يشكل جريمة لا تغتفر فكيف تجرأوا على قتل خليفة المسلمين عثمان وقد بلغ من العمر ثلاث وثمانين سنة وقتل وهو يقرأ القرآن ولهذا لم يجد الصحابة ما يدعوهم للاستجابة لما طلبوا اليه اول الامر في تولى امر المسلمين فرفض علي وطلحة والزبير ما عرض عليهم وكان رد علي على طلب رجال الفتنة ان هذا الامر وهو اختيار الخليفة من اختصاص أهل المدينة وكأنه يريد ان يقول لهم انكم ابعد ما تكونوا عن امر الخلافة والشورى فلم يقبل منهم مبايعتهم اذ كيف يرضى علي لنفسه ان يقبل امر الخلافة في اناس اجرموا بحق الدين والمسلمين عامة بما اقترفوه من قتل خليفة المسلمين ولكن هؤلاء عادوا اليه بعد خمسة أيام وبعد ان اعياهم امر اولئك الصحابة الذين رفضوا قبول الخلافة والحوا عليه وهددوا اهل المدينة كي يرضى بها اما بقية الصحابة فبايعوا والسيف على رقابهم . وهنا تظهر سيطرة رجال الفتنة على الوضع في المدينة لا بالنسبة لكبار الصحابة وانما لكل اهل المدينة فقد ذكر الطبري ان رجال الفتنة بعد ان تمت البيعة لعلي سمحوا للذين جيء بهم وصار الامر امر اهل المدينة وكانوا كما كانوا فيه وتفرقوا الى منازلهم لولا مكان النزاع والغوغاء فيهم[2] .

كانت بيعة علي يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٣٥هـ .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك جـ٥ ، ص ١٥٦ .

(٢) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٥ ، ص ١٥٧ .

خلافة علي :

بويع علي بن أبي طالب بالخلافة بعد مقتل عثمان بخمسة أيام وكان كارها لذلك لكن رجال الفتنة الذين تكشف امام اعينهم هول ما حدث لقتلهم خليفة المسلمين لم يروا بدا من ان يأتوا بأحد كبار الصحابة ليتولى أمور المسلمين وقد رفض الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله ما عرض عليهما كما رفض علي أول الامر ولكنه وافق على قبول الخلافة وحصل على مبايعة اكثر المهاجرين والانصار الا نفرا من الاتقياء وقفوا حيارى لا يدرون ماذا يفعلون ونفر آخر من اقرباء الليفة المقتول من بني امية وقليل من المهاجرين والانصار الذين ساءهم ان يقتل خليفة المسلمين وبذلك انقسم المسلمون الى ثلاثة أقسام ازاء علي بن ابي طالب قسم يؤيد علياً وهو القسم الاكبر من اهل المدينة وكبار الصحابة من المهاجرين والانصار وكذلك رجال الفتنة الذين فتكوا بعثمان والقسم الثاني وهم قلة من الصحابة وبني امية وقفوا موقفا عدائيا من الخليفة الجديد والقسم الثالث وهم قلة من الانصار وقفوا موقفا معتزلا بعيدا عن الاشتراك فيما حدث .

اما هذا الانقسام الذي حصل في المجتمع الاسلامي فانه من الطبيعي ان يتعرض الخليفة الجديد لمشاكل عديدة .

كانت اولى هذه المشاكل والمتاعب هي المعارضة التي تزعمها اثنان من كبار الصحابة ومن الذين بايعوا علياً بالخلافة الا انهم تراجعوا عن بيعتهم وهم طلحة والزبير وقوى من امرهم انضمام عائشة زوج الرسول (ص) اليهم .

كانت دعواهم ان عثمان قتل مظلوما وانهم يطلبون الاخذ بثأره من قتلته وقد اعلن هؤلاء دعواهم هذه بعد ان تولى علي الخلافة ذكر الطبري ان طلحه والزبير وعدة من الصحابة جاءوا علياً وقالوا له يا علي انا قد

اشترطا اقامة الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل (يقصدون عثمان) واحلوا بانفسهم فقال لهم يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون ولكني كيف اصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موضع القدرة على شيء مما تريدون قالوا لا قال والله لا ارى الا رأيا ترونه ان شاء الله ثم ان عليا خرج الى هؤلاء الاعراب يطلب اليهم الخروج من المدينة واللحاق بمنازلهم فأبت السبئية (وهم جماعة عبدالله ابن سبأ وهو يهودي فارسي اسلم) واطاعهم الاعراب ودخل علي بيته ودخل عليه طلحه والزبير وعدة من اصحاب النبي (ص) فقال دونكم ثأركم فاقتلوهم فقالوا عشوا عن ذلك قال هم والله بعد اليوم اعشى وابى وقـــال :

لو ان قومي طاوعتني سراتهم امرتهم امرا يديخ الاعاديا[1]

وهنا يظهر ان السبائية كانت خارجة عن ارادة علي وانها لم تنفذ امره وانما كانت تسعى الى ابعد من ذلك كي تزيد من شقة الخلاف بين المسلمين وتصل الى غايتها وهي تفتيت وحدة المسلمين وبذلك ينتقمون لانفسهم ولامتهم الفارسية التي اذلها العرب كما يظهر ان الذين ثاروا على عثمان كانوا من رعاع الناس وعبيدهم ولم يكن لاشراف الناس رأي في ذلك وهذا يدل على ان السبائية قد حشدت هؤلاء الرعاع لتضرب العرب في خليفتهم عثمـــان فيكونوا قد نفذوا اغراضهم التي عملوا بهـــا سرا وعلانية وسوف نرى موقفهم في معركة الجمل التي حدثت بين علي واهل الكوفة من جهة وبين طلحه والزبير واهل البصرة من جهة ثانية .

معركة الجمل :

ففي سنة ٣٦هـ خرج طلحة والزبير وعائشة يريدون البصرة ولما

(١) الطبري ـ الامم والملوك ـ جـ ٥ ، ص ١٦٦ .

لم يجدا عددا كبيرا من أهل الحجاز ينظم اليهم خرجوا الى البصرة قاصدين مراكز القوة العسكرية التي انتقلت من الجزيرة العربية الى الامصار الاسلامية . فلما وصل نبأ خروجهم الى علي بن أبي طالب (رض) خرج مسرعا ليلحق بهم وفي طريقه الى البصرة تمكن ان يقنع اهل الكوفة بالخروج معه وكانوا قد ترددوا اول الامر يثبطهم عن الخروج اميرهم أبو موسى الاشعري الذي كان يرغبهم بالقعود وان يكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوى اليهم المظلوم والمضطهد وان لا يشاركوا في هذه الفتنة الصماء[1] .

كان تردد أهل الكوفة بالخروج دليل على انهم لم يكونوا فانعين ان خروجهم هذا لوجه الحق خالصا . قال رجل لاخيه وهو يقاتل في معركة الجمل (يا أخي ما احسن قتالنا ان كنا على الحق)[2] كما كان الشك قد سيطر على عدد من اهل الكوفة وفيهم عدد من اصحاب عبدالله ابن مسعود وعبيده السلماني والربيع بن هيثم واربعمائة من القراء فانهم قالوا لعلي (يا أمير المؤمنين قد شككنا في هذا القتال مع معرفتنا فضلك فولنا نقاتل المشركين)[3] .

كما دار نقاش بين علي وبعض زعماء أهل الكوفة الذين ساورهم الشك فيما هم فيه .

والخلاصة ان خروج أهل الكوفة مع علي لم يكن عن رغبة أكيدة فان كثيرا منهم ندموا لانهم لم يأخذوا برأي ابى موسى الاشعري الذي حذرهم ورغبهم عن الاشتراك في هذه الفتنة .

لم يكن الشك قد ساور أهل الكوفة حسب ما ساور أهل البصرة

---

(١) الطبري – الامم والملوك جـ٥ ، ص ١٨٧ .
(٢) ابن الاثير – الكامل في التاريخ – جـ ٣ ، ص ١٢٩ .
(٣) الدينوري – الاخبار الطوال – ص ١٦٧ .

والزبير بن العوام قال الزبير (ما كنت في موطن منذ عقلت الا وانا اعرف فيه من امري غير موطني هذا)[1] .

اما أهل البصرة فقد اظهروا ذلك الشك وتلك العماية التي اطبقت على عيونهم قالوا (ان الشيء يحسن عندنا اليوم ويقبح عند اخواننا فاذا كان من الغد قبح عندنا وحسن عندهم وانا لنحتج بالحجة فلا يرونها حجة ثم يحتجون علينا فلا ندري انحن مقبلون ام مدبرون)[2] وهذا دليل واضح على ما كان عليه امر المسلمين فلا يتبين احدهم طريقه في هذه الفتنة الكبرى .

ترك علي الكوفة قاصدا البصرة ليلتقي بطلحة والزبير وعائشة ومن معهم من المسلمين من أهل البصرة حيث وقعت معركة الجمل يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ .

نزل علي بن أبي طالب[2] قرب البصرة ومن معه من اهل الكوفة وكان عددهم عشرون الف اما اهل البصرة فقد انقسموا الى ثلاث فئات فئة قاتلها طلحة والزبير فقتل أكثر رجالها وهم الذين شاركوا في قتل عثمان من قبل والفئة الثانية وهم بنو تميم وزعيمهم الاحنف بن قيس فقد خرجوا الى ظاهر البصرة معتزلين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء والفئة الثالثة وهم أكثر أهل البصرة فقد انضموا الى طلحه والزبير وقاتلوا علياً ومن اتى معه .

اتصل علي بن ابي طالب بالزبير وطلحة وكاد الصلح ان يتم بينهما الا ان الذين شاركوا في قتل عثمان ساءهم ان يحل الصلح لان ذلك سوف يعرضهم لعقاب .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ـ جـ ٥ ، ص ٢٠٠ .
(٢) الطبري ـ الامم والملوك جـ ٥ ، ص ١٩٦ .

وقد استطاع هؤلاء انشاب القتال بعد ان تم التفاهم بين علي وطلحة والزبير • اذ اتفقوا على اثارة الحرب فعدوا مع الغلس أي عند الفجر وما يشعر بهم جيرانهم وانسلوا الى ذلك الامر انسلالا فهاجموا البصريين فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه اصحابهم ففزع طلحة والزبير كما فزع علي من جانبه منكرين ما حدث[1] • وثارت الحرب فقتل الزبير بن العوام وقتل طلحة ، اما الزبير فكان قد انحاز الى وادي السباع في ظاهر البصرة فلحق به عمرو بن جرموز فلما كانت الصلاة وقف عمرو بن جرموز خلفه وطعنه وذهب مسرعا ليخبر علياً بذلك لكن علياً قال له اما اسمعت قول الرسول الكريم بشروا قاتل الزبير في النار ، اما طلحة فجاءه سهم غرب فشكه في فخذه فانحاز الى خربة فنزف دمه فمات ، وقتل من أهل البصرة كما ذكر الطبري الفين وخمسمائة وبترت ايدي وارجل كثيرة حفر لها على حفرة كبيرة وضعها فيها وقتل سبعون رجلا من اصحاب رسول الله اما عائشة فعادت الى المدينة وسير علي معها أربعين امرأة من اشراف النساء • اما أهل البصرة فبايعوا علياً •

عيّن علي على البصرة عبدالله بن عباس أميرا للصلاة والحرب وولى زياد بن ابيه الخراج وبيت المال[2] •

ثم خرج من البصرة مسرعا ليلحق بالسبائية الذين خرجوا من غير اذنه فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم امرا ان كانوا ارادوه اذ لم يكن يأمن لهم وكان يشك في امرهم واخلاصهم له •

كانت هذه المعركة والتي سميت معركة الجمل نسبة الى الجمل الذي كانت تركبه عائشة أثناء المعركة أول نزاع مسلح بين المسلمين حول مسألة الخلافة فاقتتل المسلمون فيما بينهم وبذلك نجحت مؤامرة أعداء

(١) الطبري – الامم والملوك جـ ٥ ، ص ٢٠٣ •
(٢) الطبري – الامم والملوك جـ ٥ ، ص ٢٠٤ •

العرب الذين بدأوا تلك المؤامرة بقتل عمر بن الخطاب • ولما لم يجدوا نتيجة واضحة في توهين أمر العرب سلكوا هذا الطريق وهو بذر بذور الفرقة والاقتتال التي أدت الى اثارة الفتنة بين المسلمين فتفرق امر هذه الامة وانتقم اولئك الذين غلبوا على امرهم من الاعاجم لانفسهم وقد رأينا موقف السبائية وزعيمها عبدالله بن سبأ اليهودي الفارسي من علي بن أبي طالب وموقفهم قبل المعركة وبعدها •

تبع هذا النزاع نزاع آخر مرير طويل ذلك هو النزاع بين علي ومعاوية فكانت وقعة صفين •

وقعة صفين :

استقر علي بن ابي طالب (رض) في الكوفة بعد انتصاره في معركة الجمل واجتمع حوله أهل العراق ومنهم من اتهم بقتل عثمان بن عفان •

كان لوجود علي في الكوفة وتضامنه مع اهلها من الوسائل التي ساعدت معاوية بن ابي سفيان في بث دعايته التي تشير الى تعاون علي مع قتلة عثمان واتخاذهم بطانة له واعوانا فكيف يحق له ان يتخذهم اعوانا له وقد قتلوا خليفة رسول الله فواجب الدين وواجب الدولة ان يقتص من هؤلاء الذين جاءوا امراً ادأ واحدثوا في الاسلام الحدث العظيم • هذه هي دعوى معاوية على علي مما سهل عليه ان يلصق التهمة بعلي ويصدقه أهل الشام في هذه الدعوى وقد كان عندهم اثيرا حتى لو كانت بينهم وبينه شعرة لما انقطعت •

لم تكن صلة علي بن أبي طالب ببني امية حسنة بل كان يسودها النفور والكراهية وكان ذلك في خلافة عثمان فقد اتهم بنو امية علياً بأنه يؤلب على عثمان ويحرض المسلمين عليه[1] • فلا عجب ان يقف بنو امية

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ حـ ٣ ص ٨١ •

من علي هذا الموقف العدائي ويلصقون به تهمة تأليب الناس على عثمان وعلى رأسهم معاوية ابن ابي سفيان اقواهم مركزا واوسعهم نفوذا واخصبهم عبقرية كما قوى من مركز معاوية اصرار علي على عزله من ولاية الشام مما دفع أهل الشام الى ان يعلنوا عن تأييدهم التام له وعدائهم الصريح لعلي وانهم لا يتركون الامر الا بعد ان يقتصوا من قتلة عثمان .

لم يكن هذا الدافع وحده هو الذي دفعهم الى الالتفاف حول معاوية وانما دفعهم دافع آخر هو الدفاع عن بلادهم وحمايتها قال النعمان بن جبلة التنوخي أحد قواد معاوية (سنقاتل عن تين الغوطـــه وزيتونها اذا حرمنا اثمار الجنة وانهارها)[1] .

حاول علي ان يحصل على بيعة معـــاوية وان يمنع وقوع الحرب وسارت الرسل بين الجانبين كما تبودلت الكتب والرسائل بينهما علي يدعو معاوية الى مبايعته ومعاوية يطلب الى علي ان يسلمه قتلة عثمان ليقتلهم فيه ومن ثم يجعل الامر شورى بين المسلمين يختارون من يرتضون وطلب معاوية هذا معناه انه لا يعترف بخلافة علي والبيعة التي حصل عليها من أهل المدينة وغيرهم ..

ولما لم يجد علي بدا من الحرب فهي وحدها كفيلة بأن تحل ذلك النزاع تجهز لها وخرج من الكوفة يقود جيشا كبيرا بلغ تعداده سعون الفا[2] ليقضي على معارضة معاوية ويجبره على الاعتزاف بخلافته ويترك ولاية الشام .

التقى هذا الجيش الكبير بجيش أهل الشام الذي بلغ تعداده بضعة وثمانين الفا يقوده معاوية يعاونه عمرو بن العاص على سهل صفين حيث

---

(١) المسعودي ـ مروج الذهب حـ ٢ ـ ص ٢٩٥ .
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ حـ ٥ ص ٨٠ .

دارت على أرضه أعظم معركة بين المسلمين حول مسألة الخلافة وقد دامت هذه الحرب مائة يوم اذ كانت تخرج في كل يوم فئة من أهل العراق لتقاتل فئة من أهل الشام ولهذا لم يكتب النصر لاحد الجانبين خلال هذه المدة الطويلة اذ لم يشترك الجيشان جميعا الا في الايام الاخيرة اذ رأى علي بن أبي طالب ان المقام بأهل العراق قد طال وان تماسكهم قد اصابه بعض الوهن وان قسما منهم كان لا يشارك مشاركة فعلية في القتال كما ان معاوية سلك سبيل الدعاية بين صفوف العراقيين غايته اضعاف معنوياتهم ففي احدى المواقف وبعد مقتل عمار بن ياسر الذي رمى بنفسه في المعركة وقد بلغ الثمانين من العمر فقتل وكأن عمار أراد ان يظهر أهل الشام انهم الفئة الباغية لان الرسول الكريم كان يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية يا عمار فلما قتل عمار صاح أهل العراق قتل عمار قتلته الفئة الباغية وكأنهم ارادوا ان يتأكدوا ويأكدوا لغيرهم ممن ساوره الشك وتأثر بدعاية معاوية من انهم على الحق لكن أهل الشام صاحوا من جانبهم يردون على أهل العراق قولهم قتل عمار من جاء به فوجم العراقيون ولم يردوا عليهم[1] وهذا يدل على ان مشاعرهم لم تكن على أساس متين هذه المشاعر التي اظهرها اصحابها عندما دعوا الى التحكيم الذي ابتدعه عمرو بن العاص لوقف الحرب والتي اوشكت ان تنتهي ويكون النصر فيها للعراقيين فقد اشار عمرو بن العاص على معاوية ان يرفع اهل الشام المصاحف على رؤوس الرماح وينادى حاملوها أهل العراق تعالوا نحتكم الى القرآن الكريم هو وحده كفيل ان يحل هذا النزاع . كانت غاية عمرو بن العاص من رفع المصاحف والاحتكام الى القرآن ذات شقين اما ان يحدث الانشقاق بين صفوف جيش علي او ان يوقف القتال وفي كلتا الحالتين يكون قد حول الهزيمة الى نصر[2] وهذا دليل على ان أهل العراق لم يكونوا يدا

(١) ابن مزاحم ـ وقعة صفين ـ ص ٣٨٧ .
(٢) ابن مزاحم ـ وقعة صفين ـ ص ٤٥٦ .

واحدة فقد تراءى لعمرو بن العاص ان قسما منهم سوف يستجيب لنداء التحكيم واثقا من ان عددا من أهل العراق لم يكونوا مخلصين لعلي وانهم لم يشاركوا في القتال بصورة جدية وهذا ما ظهر عندما دارت المفاوضات لوقف القتال وقبول التحكيم .

نجح عمرو بن العاص في خدعته حيث انقسم جيش علي الى قسمين قسم يطالب بوقف القتال والقسم الآخر يؤيد الاستمرار في القتال . أيد علي استمرار القتال وحذر اصحابه من هذه الخدعة لانه كان يرى النصر قاب قوسين الا انه اضطر الى قبول وقف القتال والتحكيم تحت الحاح وتهديد مخالفيه وخيروه بين أمرين اما القبول بالتحكيم أو ان يسلموه الى عدوه أو ان يفعلوا به كما فعلوا بعثمان[1] لذلك امر علي اصحابه بالكف عن القتال وابرم الاتفاق مع معاوية على تعيين موعد التحكيم .

واضح من هذا ان وقف القتال والنصر الذي احرزه معاوية يعود الى الروح القبلية التي كانت تمزق اوصال جيش العراق والمنافسة بين قواده مما افقد علياً السيطرة عليه كما ان قسما كبيرا من ذلك الجيش لم يكن يقاتل باخلاص وكأنهم ندموا على اشتراكهم في هذا القتال وانهم لم يستمعوا الى نصيحة ابى موسى الاشعري الذي ثبطتهم عن الخروج فلما رفعت المصاحف اسرع هؤلاء الى الاستجابة لفكرة وقف القتال والتحكيم .

كان وقف القتال نصرا لمعاوية وحزبه فقد انقذهم من الهزيمة المحققة وزاد في شقة الخلاف اتساعا بين صفوف جيش علي كما مكن لمعاوية الاخلاص والتأييد في نفوس أهل الشام وظهر لهم ان الامر قريب المنال وان نصرهم على منافسيهم من أهل العراق يوشك ان يتم ويصبحوا بذلك اسيادا للموقف كما قوى من مركز معاوية موافقة العراقيين على وقف القتال

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ حـ ٣ ص ١٦١ .

وكأنهم قد اعترفوا بحقه في الخلافة ذلك الامر الذي لم يكن يعترف به علي واهل العراق من قبل .

اتفق علي ومعاوية على اختيار الحكمين ليفصلا في النزاع القائم بينهما . وقع اختيار معاوية على ادهى اعوانه واوسعهم حيلة وانفذهم عبقرية الا وهو عمرو بن العاص صاحب فكرة رفع المصاحف والتحكيم اما علي واهل العراق فقد اختلفوا في امر تعيين حكم عنهم وبعد مناقشات وجدل كاد يؤدي الى وقوع الفتنة بين صفوف ذلك الجيش وقع اختيارهم على ابى موسى الاشعري مخالفين بذلك رأي علي بن ابي طالب الذي كان يود ان يوكل الامر الى عبدالله بن عباس ولكن العصبية القبلية والحسد لقريش وقفت حائلا دون تحقيق رغبته ، ظهر هذا الحسد وتلك العصبية من قول الاشعث بن قيس احد زعماء الكوفة والذي حمل الصحيفة التي كتبها علي ومعاوية لقبول التحكيم قال الاشعث (لا والله لا يحكم فينا مضريان)[1] .

كان لاختيار ابى موسى الاشعري واصرارهم عليه خير دليل على اتفاق مصلحتهم مع رأيه في ذلك الموقف الذي نهاهم عنه واظهر لهم ان هذه الحرب ما هي الا فتنة صماء بكماء .

اتفق الطرفان علي ومعاوية على ان يعقد مؤتمر الحكمين في شهر رمضان من عام ٣٧هـ وعند هذا الاتفاق رجع علي وجيشه الى الكوفة وبدأ الشقاق والاختلاف يظهران في جيشه وقد فشا فيهم التحكيم بقول الخوارج باعداء الله ادهنتم في امر الله ويقول الآخرون فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا .

ادى هذا الاختلاف الى ظهور الخوارج ، سموا بهذا الاسم لخروجهم على علي اذ قالوا ان علياً كفر بقبوله التحكيم فلا يجوز له ان يحكم في امر الله الرجال ونسوا انهم هم الذين اجبروه على قبول التحكيم ولكنهم

---

(١) المسعودي . مروج الذهب حـ ٢ ص ٤٠٢ .

شجبوا التحكيم بعد ان اتفق عليه الطرفان .

كان ظهور الخوارج من أهم نتائج حرب صفين تلك الحرب التي أدت الى انقسام المسلمين الى فرق وأحزاب كل فرقة لها فكرتها وعقيدتها التي تدين بها وتناصب غيرها العداء .

اجتمع الحكمان في المكان والزمان المتفق عليهما وحضر الاجتماع اربعمائة من أهل العراق ومعهم عبدالله بن عباس وزعيمهم ابو موسى الاشعري وحضر من أهل الشام اربعمائة أيضا وزعيمهم عمرو بن العاص.

وقد انتهى التحكيم بفوز عمرو بن العاص اذ ثبت معاوية بينما خلع ابو موسى الاشعري علياً ومعاوية عن الخلافة .

لم يكن نجاح عمرو بن العاص راجعا الى تغريره بابى موسى الاشعري فقط وانما كان نجاحه يعود الى ابى موسى نفسه الذي لم يكن يميل الى علي ذلك الميل الذي كان عمرو بن العاص يميله الى معاوية اذ رأى ابو موسى ان صلاح الامة ولمّ شعثها قد يأتيان عن ابعاد علي ومعاوية عن الخلافة واختيار شخص من كبار الصحابة يتولى امر المسلمين[1] .

قوى امر معاوية ورجع اهل الشام فسلموا عليه بالخلافة الا ان علياً واهل العراق لم يسلموا بهذه النتيجة فحاول علي اعادة الكرة لقتال معاوية الا انه اصطدم بالخوارج الذين انحازوا الى حروراء واخذوا يقومون بأعمال القتل واخافة السبيل واضطر علي الى ان يوقفهم عن اعمالهم ويخلص الناس من شرهم قبل ان يخرج الى الشام وتمكن علي من القضاء عليهم قضاء يكاد يكون تاما في معركة النهروان .

كان علي يود لو سار الى الشام بعد انتصاره على الخوارج الا ان

---

(١) – ابن الاثير – الكامل في التاريخ حـ ٣ ص ١٦٨ .

أهل العراق ابوا عليه ورجوه الرجوع الى الكوفة حتى يصلحوا من امرهم ويستعدوا استعدادا حسنا ويجددوا اسلحتهم الا انهم بعد رجوعهم الى الكوفة لم يظهروا استعدادا للخروج مرة أخرى ومتابعة علي لقتال معاوية وأهل الشام .

وقف أهل الكوفة هذا الموقف السلبي من علي ولم تنفع خطبه وتحريضه اياهم على الخروج لمحاربة أهل الشام بل فضلوا الركون في بيوتهم على الاشتراك في قتال ليس لهم من ورائه نفع مادي كما انهم ملوا فكرة الحرب المستمرة التي لا تدفعهم الرغبة اليها ولم يكونوا كأهل الشام الذين عملوا بكل ما اتوا من قوة لكي يفوزوا بالنصر ، وهاك مثلا لموقف أهل العراق ازاء علي وتخاذلهم وتقاعسهم عن نصرته ، خطب علي أهل العراق قال (يا أهل الكوفة كلما سمعتم بجمع اهل الشام اظللكم انحجر كل امرىء منكم في بيته واغلق عليه بابه انجحار الضب في جحره والضبع في وجارها المغرور من غررتموه من قاربكم فاز بالسهم الاخيب لا احرار عند اللقاء ولا اخوان عند النجاء انا لله وانا اليه راجعون ماذا منيت به منكم عمي لا يبصرون وبكم لا ينطقون وصم لا يسمعون انا لله وانا اليه االجعون)[1] .

هذا الموقف الذي وقفه أهل الكوفة من علي لم يكن مجردا من عوامل أخرى بالاضافة الى انهم ملوا فكرة الحرب التي لا نفع مادي من ورائها فقد حاربوا في معركة الجمل وحاربوا اهل الشام في صفين وهم الآن يحاربون الخوارج فما الذي غنموه من هذه الحروب لقد قتل منهم العدد الكبير وقاتلوا اخوانهم في العصبية الخوارج وهم الذين يفضلون رابطة الدم والقرابة على كل الروابط الاخرى كما كانت العصبية لها اثرها في اضعاف القوة التي اعتمد عليها علي فاهل الكوفة من سائر القبائل من

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ حـ ٣ ص ١٨٩ .

ربيعة ويمن وغيرهم اما اهل الشام من قريش شوكة مضر وبأسهم نزلوا ثغور الشام منذ الفتح فكانت عصبتهم أشد وامضى شوكة)[1] ثم ان علياً لم يكن يعطي احدا من المال الا ما له من نصيب فهو رجل دين اخلص نفسه لتلك المثل العليا التي سار عليها ابو بكر وعمر وحاول المضي في السير عليها في زمن اختلف عن زمن ابي بكر وعمر بينما معاوية سلك كل سبيل في جمع الانصار ليصل الى غايته[2] .

رأى معاوية ان الخلافة والسلطان لا يأتيان عن طريق الدين وحده بل يحتاجان الى القوة وبذل المال وجذب قلوب الناس بالرغبة قال معاوية لبني هاشم (احق قريش بها من بسط الناس ايديهم اليه بالبيعة عليها ونقلوا اقدامهم اليه للرغبة وطارت اليه اهواءهم للثقة وقاتل عنها بحقها فادركها من وجهها)[3].

هذا هو الاختلاف بين الرجلين علي رجل دين متمسك باهدابه لا يعمل الا بوحي منه زاهداً في الدنيا راغبا عنها ومعاوية رجل دنيا تمسك بها وسلك كل سبيل للحصول عليها وساس الناس حسب اهوائهم فوثقوا به ونصحوا له والتفوا حوله وقليل من الناس من يمنعه دينه عن دنياه وهذا الامر لا يصلح الا لرجل له ضرسان يأكل باحدهما ويطعم بالآخر[4] .

لم يكن تقاعس الكوفيين عن السير مع علي واختلاف مذهب الرجلين في الوصول كل منهما الى غايته هما سبب ثبات مركز معاوية وقوته التي ازدادت باستمرار بل هنالك أسباب أخرى منها ان علياً شغل بالخوارج الذين خرجوا عليه والذين بذل في سبيل القضاء عليهم والتخلص منهم

(١) ابن خلدون ـ التاريخ ـ حـ ٣ ص ٤٢ .
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ حـ ٥ ص ٨٧ .
(٣) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار حـ ١ ص ٥ .
(٤) الدنيوري ـ الاخبار الطوال ـ ص ٢٠٢ .

الجهد والوقت بينما معاوية لم يخرج عليه احد بل كان يزداد في كل يوم قوة وتماسكا • كما زاد في قوته استيلاءه على مصر سنة ٣٨هـ وقتله اثنين من أكبر أعوان علي هما الاشتر مالك بن الحارث ومحمد بن ابي بكر •

لم تقف جهود معاوية في الاستيلاء على مصر بل تعددت الى ارسال الغارات الى الحجاز واليمن والى العراق مركز علي وبذلك قوى مركزه بما ضم من الامصار ومن انضم اليه من الانصار والاعوان •

انتهى هذا الصراع بمقتل علي سنة ٤٠هـ قتله عبدالرحمن بن ملجم الخارجي وكان عبدالرحمن قد اتفق مع اثنين اخرين من الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص واتعدوا ليلة سبع عشرة من رمضان وكانوا قد اتفقوا في مكة على القيام بهذا العمل فتوجه كل واحد منهم الى صاحبه ، فتقدم عبدالرحمن الكوفة فدخل في فجر تلك الليلة على علي وهو يقيم صلاة الفجر فضربه بالسيف على جبينه •

دخل الناس على علي بعدما ضربه ابن ملجم وهو في لحظاته الاخيرة يسألونه فقالوا يا امير المؤمنين • ارأيت ان قد فقدناك ولا نفقدك انبايع الحسن فقال لا امركم ولا انهاكم وانتم باموركم ابصر •

توفي علي من يومه ذاك ودفن في ظاهر الكوفة رحمه الله وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر وايام وهو ابن ثلاث وستين سنة •

بايع أهل الكوفة الحسن بن علي الا ان الحسن كان يرى السلم وحقن دماء المسلمين فتنازل عن الخلافة الى معاوية ودخل في الجماعة بعد ان رأى خذلان العراقيين له ومحاولتهم قتله عند خروجه لمحاربة معاوية فقد هجم عليه بعضهم يحاولون قتله وقد اصابوه في ساقه ورجع الى الكوفة التي دخلها معاوية واعلن الحسن تنازله عن الخلافة لمعاوية وبذلك قامت دولة بني امية سنة ٤١هـ وهو عام الجماعة وتنتهي دولة الخلفاء الراشدين •

اما اعمال الفتح في خلافة علي بن ابي طالب (ر) فقد توقفت لانشغال المسلمين بأمور الخلافة وتفرقهم أحزابا وشيعا فكان أهل العراق مع علي وأهل الشام مع معاوية وآخرون وقفوا موقف الحياد فكان نتيجة ذلك توقف الفتوح لتبدأ في خلافة الامويين قوية نشطة تصل الى جنوب فرنسا غربا والى الصين شرقا ويثبت حكم المسلمين في بلاد الفرس والترك وفي شمال افريقيا .

الجزء الثاني

الدولة الاموية

الدولة الاموية

الخصائص العامة :

قبل ان ندخل في تفصيل الكلام على الدولة الاموية يجدر بنا ان نشير الى الخصائص العامة لهذه الدولة وما تميزت به عن دولة الخلفاء الراشدين التي سبقتها وعن الخلافة العباسية التي لحقت بها •

قامت هذه الدولة سنة ٤١هـ اثر تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة الى معاوية بن ابي سفيان الذي دخل الكوفة في تلك السنة وحصل على بيعة اهلها كما بايعه المسلمون كافة وسمى هـذا العام عام الجماعة لاجتماع الناس على بيعته •

سميت هذه الدولة بالدولة الاموية نسبة الى مؤسسها معاوية بن ابي سفيان الذي ينتسب الى الفرع الاموي وكذلك لانتساب الخلفاء الذين جاءوا بعده الى اميـه سواء كانوا من الفرع السفياني الذي ينتسب اليه الخلفاء الاولون وهم معاوية وابنه يزيد ومعاوية الثاني بن يزيد أو الفرع المرواني الذي بدأه مروان بن الحكم وانتهى بمروان بن محمـد فكل الخلفاء الذين تولوا الخلافة بعد مروان يرجعون في نسبهم اليه •

اتخذ الامويون دمشق عاصمة لهم وتركوا المدينة المنورة التي كانت عاصمة الرسول والخلفاء الراشدين من بعده وكان معاوية بن ابي سفيان قد اتخذ دمشق عاصمة لخلافته الجديدة لانها كانت موطن انصاره الذين اخلصوا له وايدوه ونصروه ووقفوا الى جانبه في صراعه ضد علي بن أبي طالب واهل العراق فقد قضى معاوية عشرين سنة أميرا على بلاد الشام وقد استطاع خلال هذه المدة ان يؤلف ويجمع حوله قلوب أهل الشام فوثق بهم ووثقوا به حتى قال لو كانت بيني وبين أهل الشام شعرة لما انقطعت

اذ شددت ارخوا واذا ارخيت شدوا .

واضح من ذلك مدى اخلاص الشاميين لمعاوية وارتباطهم به فقد خرجوا معه الى صفين وقاتلوا علياً وأهل العراق وضحوا في سبيل ذلك بالعديد من الرجال كما ساروا الى كل صوب وجهوا اليه كل ذلك لتثبيت مركزه وتمكين سلطانه .

كما كان خروجهم مع معاوية ونصرتهم له ابتغاء لما قد يحصلون عليه من مغانم مادية ومعنوية اذا رجوا ان يكونوا حاشية الخليفة الجديد وقادة جيشه وولاة الامصار بالاضافة الى ان يكون بلدهم مركز الخلافة تتلاقى فيها رجال الدولة فيصبحون آنذاك متبوعين لا تابعين ويفوزون على منافسيهم أهل العراق اولئك الذين حاولوا تثبيت مركز علي بن ابي طالب الذي اتخذ من الكوفة مركزا له وعاصمة للخلافة الاسلامية .

كذلك اتخذ معاوية دمشق عاصمة له لانها أصبحت مركزا لتجمع القوى العربية اذ كان مركز تجمع هذه القوى في خلافة الراشدين المدينة المنورة لانها كانت المركز الديني والسياسي والاداري لقربها من مواطن القبائل العربية فكانت هذه القبائل تتقاطر الى المدينـــة ومنها الى ساحات الفتوح في الشام والعراق اما الآن وفي خلافة علي ومعاوية فقد تبدل الحال لاستقرار القبائل العربية في امصارها الجديدة وهي بلاد الشام والعراق ومصر بعد ان تمكنت من اخضاع هذه البلاد فتجمعت هذه القوى في هذه الامصار الجديدة لتندفع الى المناطق المجاورة لها وهي بلاد فارس في الشرق وبلاد شمال افريقيا في الغرب . ومن هنا أصبحت بلاد الهلال الخصيب : العراق والشام ـ مركز للقوى العربية وقد مر بنا ان علي بن ابي طالب لما خرج من المدينة ليلحق بطلحة والزبير لم يجد عددا كبيرا ينضم اليه من أهل الحجاز فلجأ الى أهل الكوفة ولولا خروج هؤلاء معه لما استطاع ان يقاتل في معركة الجمل (٣٦هـ) ثم ان علياً لم يفكر في العودة الى المدينة

بعد معركتي الجمل وصفين بل استقر في الكوفة كذلك الحال بالنسبة لمعاوية الذي اتخذ دمشق عاصمة له • اضف الى ذلك ان انصار معـــاوية من الصحابة ورجال البيت الاموي قد تركوا المدينة وقصدوا اليه في دمشق كذلك كانت دمشق أقرب المناطق الى الحدود البيزنطية تلك الحدود التي كانت مصدر تهديد مستمر للحكم العربي في بلاد الشام ومصر سواء كان هذا التهديد برياً أو بحرياً لذلك كان في اتخاذ معادية دمشق مركزاً له مما يعطيه الفرصة الكافية لدفع هذا التهديد البيزنطي بأسرع وقت ممكن مما لو كانت المدينة المنورة هي مركز الخلافة • وسوف ترى ان بعد بغداد عاصمة الخلافة العباسية عن الحدود البيزنطية قد ساعد البيزنطيين على مهاجمة الحدود الشامية وتوغلوا الى داخل البلاد في أوقات عدة مما يضطر الخليفة الى الاستعداد والتوجه لمحاربتهم بعد ان يكونوا هؤلاء قد اشاعوا القتل والخراب • وهذا السبب هو الذي ساعد على قيام امارة الحمدانيين في حلب الذين اوقفوا انفسهم للرد على غارات البيزنطيين حماية للحدود الاسلامية •

مبدأ الوراثة :

اتبع الامويون في أمر الخلافة مبدأ الوراثة من الاب الى الابن أو الابناء وقد ابتدع هذه الطريقة معاوية بن أبي سفيان مخالفا بذلك سنة الخلفاء الراشدين اولئك الذين تولوا الخلافة اما عن طريق الانتخاب أو العهد أو الشورى لذلك فلم يورث احدهم الخلافة لابنه أو قريبه بل روعى في امر انتخابهم أمور خاصة ، اما في خلافة الامويين فقد بدأ معاوية بتوريث الخلافة لابنه يزيد واستطاع ان يحصل على موافقة اكثر زعماء الامصار الاسلامية وقد اعتقد معاوية في امر الوراثة ان يجنب الامة الشرور التي تنجم عن الاختلافات والانقسامات والحروب كالذي حصل بينه وبين علي بن أبي طالب وقد سار الامويون على هذه الخطة بل زادوها تعقيدا

وتأكيدا بأن اورثوا الخلافة الى أكثر من وريث واحـــد ولكنهم كانوا حريصين على الحصول على موافقة المسلمين سواء كان عن رغبة أو عن رهبة وبذلك اختلفوا عن العباسيين الذين جعلوا امر الخلافة منوطا بهم وليس من حق عامة المسلمين التدخل في أمر الخلافة فهم آل البيت الذين تولوا الخلافة باعتبارهم ورثة النبي وآل بيته وقد طهرهم من كل رجس فالخلافة في نظرهم حق مقدس لهم • اما الامويون فقد احتاجوا في غالب الاحيان الى تأييد اجماعي أو تأييد حزبي أو تأييـــد قبلي لتثبيت بيعة اولادهم وخلفائهم من بعدهم •

السياسة العربية :

كذلك تميزت الدولة الاموية بسياستها العربية التي سـارت عليهـا ومفهوم هذه السياسة هو اعتماد هذه الدولة على العنصر العربي في كافـة مرافق الدولة وابعاد العناصر غير العربية رغـم اسلامها عن الاشتراك في أمور الدولة بالاضافة الى ان العربي قد سيطرت على نفسه مشاعر الزهو والخيلاء والتعالي فنظر الى هذه الشعوب نظرة الازدراء والاحتقار وجعلها في المرتبة الدنيا وقد تأتى هذا الشعور من انتصار العرب على هذه الشعوب فهو شعور غالب تجاه مغلوب كذلك شعرت هذه الشعوب التي انهارت امام قوة العرب بمرارة الهزيمة وذل الانكسار وقد زاد في تعالي العرب وفخرهم ان نصرهم هذا لم يكن في ساحات الحروب فقط وانمـا كان نصرهم في ميدان الدين وميدان اللغة أيضا فكانت انتصارات ثلاث ملأت نفوس العرب تعاليا وفخرا وهذه الانتصارات هي : (١) الانتصار في الميدان العسكري • (٢) الانتصار في الميدان الديني • (٣) الانتصار في الميدان اللغوي • الا اننا قبل ان نخوض في بحث هذه الانتصارات لابد ان نشير الى ان نظرة العرب كانت موجهة الى الفرس أول الامر لان الفرس هم اول الشعوب التي اخضعها العرب والتي احتك بها العرب طوال تاريخهم فاطلقوا عليهم

اسم الاعاجم الذي اطلق فيما بعد على كافة الشعوب التي لا تنطق باللغة العربية .

١ ـ الانتصار في الميدان العسكري :

انتصر العرب بحد السيف على هذه الشعوب فدحروا جيوشها وقضوا أركان دولها والمنتصر دائما تسيطر على نفسه مشاعر الزهو والخيلاء كما يشعر المغلوب شعور الذل والصغار والانكسار وبذلك تكون مشاعر الجانبين على طرفي نقيض ومن هنا نتج ذلك التباين بين موقف الجانبين ونجم من ذلك انعدام الثقة بين الغالب والمغلوب ، فليس من الطبيعي ان يستعين الغالب بالمغلوب وان يطمآن اليه كما ان المغلوب لا يمكن ان يخلص في عمله في خدمة الغالب ومن هنا وضح مسلك الامويين في الاعتماد على العنصر العربي دون سواه رغم اسلام بعض هذه الشعوب ورغم ان الاسلام يساوى بين العرب وغير العرب ولكن الامويين خاصة والعرب عامة لهم العذر في سلوكهم هذا السبيل لانهم ما زالوا قريبي عهد بانتصاراتهم في القادسية وجلولاء واليرموك وغيرها ، كما انهم ما زالوا يحرزون الانتصارات تلو الانتصارات في ميادين مختلفة في الشرق والغرب ولذلك فليس هناك مجال للمقارنة بين سلوك الامويين والعباسيين فالعباسيون ساووا بين الشعوب عربها وعجمها وذلك لبعد الزمن بين الاحداث التي اثرت على مشاعر الغالب والمغلوب اذ طال الزمن وظهرت اجيال عربية وغير عربية لم تحتك بتلك الاحداث ولهذا لا نرى مبررا لاتهام الامويين بأنهم خالفوا مبادىء الدين الاسلامي بسلوكهم هذه السياسة التي خضعت لعوامل نفسية مسايرة للظرف التي سيطرت على العرب عامة والامويين خاصة فوجهتهم الى سلوك هذا السبيل .

٢ ـ الانتصار الديني :

شعر العرب وهم يدكون معاقل الفرس والروم ويحرزون

الانتصارات التي اذهلتهم واذهلت اعدائهم على السواء لسرعتها الخاطفة ، ان سبب انتصاراتهم هذه يعود الى الدين الاسلامي الذي ملأ نفوسهم روحا وبدل فرقتهم وحدة وضعفهم قوة كما شعر العرب بأنهم يحملون الى هذه الشعوب التي اخضعوها دينا جديدا يقودهم الى طريق التحرر والخلاص من هذه الفوضى التي كانت تكتنف حياتهم تلك الفوضى المتمثلة في مزيج من المعتقدات منها اعتقادات ثنوية أي التي تقول بأن هناك الهين يسيطران على هذا الكون اله الخير واله الشر كديانة زرادشت وماني ومزدك واديان أخرى اعتقد اصحابها بتقديس الاصنام والاوثان وعبـد آخرون النار والحجارة • هذه المعتقدات جميعا نظر اليها المسلم نظرة الاحتقار والازدراء وهي نفس النظرة التي نظرها الاسلام الى أديان العرب انفسهم في الجزيرة العربية حيث ازهقها الاسلام ومحى اثرها من أرجاء الجزيرة العربية • كذلك عمل المسلمون على ازهاق هذه الاديان التي واجهوا الكثير منها في هذه البلاد التي خضعت لسلطانهم ومنها نظر العرب نظرتهم المليئة بالاحتقار لهـذه الديانات واصحابها الذين كانوا يعتنقونها أو الذين استمروا على اعتناقها هذا بالنسبة للعرب اما بالنسبة للشعوب المغلوبة فقد وجدت ان اديانها لم تستطع ان تبعث في نفوس اصحابها روحا قوية كالروح التي بثها الاسلام في نفوس اتباعه فحدثت معجزة العرب الكبرى وهي انتصارهـم الكبير على هذه الشعوب وقد تسأل العرب وتسأل اولئك الذين غلبوا على امرهم ما السر في انتصار العرب ؟ وكان الجواب يأتيهم سريعا ان العرب الذين كانوا بالامس متفرقين مستضعفين قد وحدهم الاسلام وجعل منهم أمة ضاربة فجاء نصرهم وليدا لهذه الروح الجديدة التي بعثها الاسلام في نفوسهم فوجدت هذه الشعوب المغلوبة ان لا مناص لها من ان تنبذ أديانها القديمة التي عجزت عن الصمود امام هذا الدين لتدين بالاسلام فأخذت هذه الشعوب تحاول ان تتعلم مبادىء الدين الجديد على أيدي العرب الذين وضعوا انفسهم موضع المعلم لتلميذ مبتدأ يحاول ان يتعلم ويتعمق في اعتقاده

الجديد ، ومن هنا ظهر ذلك التمايز الذي جاء وليدا لوضع العرب كمعلمين ومفقهين الى وضع هؤلاء المتطلعين الى معرفة هذه المبادىء على ايدي معلميهم ومن الطبيعي ان يكون هناك فارق بين التلميذ والمعلم كذلك سارت هذه الشعوب وراء السيد الغالب فتركت اديانها لتسير في درب الدين الجديد ومن هنا استحوذ على المسلمين شعور التعالي والفخر لان نصرهم كان عن طريق دينهم الجديد فازدادوا تمسكا به لانه هو الذي حقق لهم حياة الامن والرخاء والنور والقوة والسلطان وأخيرا فان اعتزاز العربي بدينه الجديد واحتقاره للاديان الاخرى الوثنية خاصة قد جعلته في مرتبة اسمى من اولئك الذين خضعوا لسلطانه .

٣ ـ الانتصار في الميدان اللغوي :

عشق العربي لغته منذ ان كان في بوادي الجزيرة ومظهر هذا العشق هو ذلك البحر الزاخر بالشعر وفنون الادب الاخرى التي كانت سبيل العربي الى وصف حياته ومشاعره وخلجات قلبه وزاد عشق العربي بلغته نزول القرآن الكريم بهذه اللغة كما ان بعض الاحاديث النبوية كانت قد اشارت الى ان لغة أهل الجنة هي العربية وقد وجد العربي في لغته الطيعة خير متنفس له يعبر بها عن احاسيسه وقد غالى العربي باعتزازه بلغته حتى انه اطلق على الفرس اول الامر وعلى الشعوب الاخرى اسم الاعاجم والاعجمي هو الذي لا يفهم كلامه وهذا يدل على ان العرب اعتبروا لغتهم هي لغة البشر وما عداها فهي ليست لغات مفهومة وبذلك تسرب الفخر والاعتزاز الى نفوسهم وزاد ذلك الاعتزاز عندما رأى العربي هؤلاء الاعاجم يسارعون الى تعلم اللغة العربية فتركوا لغاتهم الاصلية واخذوا يبذلون الجهد كي ينطقوا نطقا صحيحا بهذه اللغة شأن كل متعلم لغة جديدة وانه قد وقع في اخطاء في النطق والتركيب والاعراب والافصاح عما يجول في خاطره فشعر العربي في هذه الفترة بالذات انه اسمى من

هذا الذي جاء يتعلم لغته بعد ان ترك لغة آبائه واجداده وكان هذا من الاسباب الرئيسية لظهور علم النحو الذي وضع لهؤلاء المتعلمين كي يخرجوا لغتهم على الوجه الصحيح كما وضع التنقيط على الحروف للتفرقة بين حرف وآخر اذ ان الحروف كانت غير منقطة قبلا حتى عهد الحجاج الذي اوجد هذه الطريقة ليرفع الخطأ من كلام هؤلاء الاعاجم الا ان هؤلاء الاعاجم سرعان ما تعلموا اللغة العربية وبرعوا فيها براعة فائقة الا ان هذا لم يحل بين اعتزاز العربي وتعاليه في وقت من حياة هؤلاء التي دخلوها كمستعربين .

نخرج من هذا كله ان هذه الانتصارات التي احرزها العرب قد ملئت نفسه شعورا مشبعا بالزهو والخيلاء والتعالي لان للنصر بريقا خاطفا يذهل الغالب والمغلوب وهذا الذي وضع العربي في المرتبة العليا وبقية الشعوب المحكومة في مرتبة الموالي ، أي المرتبة الدنيا ، ولهذا كان رد الفعل عند هؤلاء في أول الامر يتمثل في طلب المساواة مستندين الى ان الدين الاسلامي يدعو الى المساواة وطلبهم هذا يدل على انهم كانوا في موقف الضعيف الذي لا حول له ولا طول الا ان هذا الطلب قد تطور عندما قوى امرهم وانحازوا الى بعض الاحزاب العربية التي كانت تعادي الدولة الاموية فأخذت دعاياتهم تتحول الى تقويض هذه الدولة لا كرها بها وانما كرها بالعرب ثم تطور امرهم الى الاشتراك الفعلي في الثورة العباسية فقضوا على الدولة الاموية ولكن اطماعهم ومقاصدهم لم تتوقف عند هذا الحد فمع انهم كانوا يشاركون العباسيين في امر السلطان الا انهم سعوا الى ازالة الحكم العربي من الوجود عن طريق مؤامراتهم ودسهم وشعوبيتهم وزندقتهم فلو كانوا مخلصين في طلبهم المساواة لما ساروا في درب الشعوبية التي تنادي بأفضلية الشعوب على العرب وهذا ما يجعلنا نعتقد ان الظروف التي مر بها العرب في خلافة الامويين قد تعطي عذرا لهذه الدولة في سلوكها

سياسة عربية واذن فلا أرى ما يبرر دعاوى الحاقدين والمتهمين بأن هذه الدولة قد جانبت الدين الاسلامي وخالفته لانها اعتمدت على العرب وابعدت الموالي ونظرت اليهم نظرة اتسمت بالازدراء والاحتقار •

السياسة المالية :

وكذلك سار الامويون على سياسة مالية خاصة فقد خالفوا بسياستهم هذه سياسة الخلفاء الراشدين فاعادوا بعض الضرائب التي الغيت في زمن الراشدين وهي ضريبة النيروز والمهرجان وكان معاوية أول من اعاد هذه الضريبة وقد جمع من هذه الضريبة عشرة ملايين درهم من العراق وحده ، كما انهم ابقوا الجزية على من دخل الاسلام مخالفين بذلك مبادىء الدين الاسلامي التي تقضى بازالة الجزية عن المسلم أيا كان ، وحجة الامويين في ذلك ان المولى كالعبد فلا تسقط عن العبد ما لسيده من حقوق ، كما انهم اشتطوا في اخذ الضرائب وقسوا على دافعيها ، كل ذلك من اجل ان يجمعوا الاموال بأي طريقة كانت ليتخذوها وسيلتهم لاصطناع الاحزاب والمؤيدين وليستغلوها في القضاء على الثورات العديدة التي ثارت عليهم ، كذلك لينفذوا رغبات البلاط الذي تطورت مطالبه بتطور الاحوال الاجتماعية والاقتصادية للعرب عامة •

الصراع الحزبي :

وأخيرا نلاحظ في تاريخ هذه الدولة الانقسامات الحزبية فقد خرج العرب في صفين وقد انقسموا على انفسهم الى ثلاث فرق رئيسية ، وأهم هذه الفرق هي فرقة شيعة علي بن ابي طالب ، وفرقة الخوارج ، والفرقة الثالثة وهي اما تسمى الجماعية أو الجماعة وقد تطور امر هذه الفرق بعد ثبات مركز الامويين في الخلافة اذ نشطت فرقتا الشيعة والخوارج في اعمالهما المعادية للدولة الاموية سواء كان ذلك عن طريق الثورة المسلحة أو طريق التجمع السري الذي تداخلت فيه عناصر عربية وغير عربية وقد

تجمعت هذه كلها في عدائها للدولة القائمة ، وقد أدى هذا الانقسام وموقف هذه الفرق الى اضعاف الدولة الاموية اذ ارهقت جيوش الدولة وخزينتها لما كانت تقوم به من ثورات فاضطرت الدولة ان تستعد باستمرار للقضاء على هذه الروح المعادية وكان موطن المعارضة الاول هو العراق وقد تشبث الامويون بهذا القطر أي العراق لامرين هامين اولهما مراقبة ومحاربة هذه الفئات التي حاولت الخروج عن سيطرة الدولة . والامر الثاني ان العراق كان مدخلا للفتح في المناطق الشرقية أي بلاد فارس وخراسان وتركستان وقد شعر الامويون ان في خروج العراق عن سلطانهم مما يؤدي حتما الى خروج المناطق الشرقية من سلطانهم ، لذلك وضعوا العراق في المرتبة الاولى من اجزاء الامبراطورية العربية وفي الحقيقة كان العراق في العصر الاموي مسرحا لاحـــداث جسام ومركزا للحـــركة السياسية والادارية للدولة باسرها .

لم يكن هذا الانقسام الذي طرأ على الدولة الاسلامية مقصورا عليها ، بل تعداه الى الحزب الاموي نفسه اذ انقسم الى قســـمين كبيرين متأثرا بالتعصب القبلي فانقسم الى يمانيين وقيسيين وقد ظهر هذا الانقسام بعد معركة (مرج راهط) سنة ٦٥هـ اذ دارت هذه المعركة بين مروان بن الحكم الذي كان يقود أهل اليمن وبين الضحاك بن قيس الفهري الذي كان يقود قبائل القيسيين وكانت نتيجة هذه المعركة انتصار مروان واليمانيين على القيسيين .

وقد تأثر العرب في امصارهم بهـذه المعركة فانقسموا الى قيسيين ويمانيين ينازع احدهم الآخر ويقوى كل حزب أو يضعف تبعا للخليفة القائم فان كانت ميوله يمانية قوت اليمانية به ، وان كانت ميوله قيسية قوى القيسيون به وضعفت قوة الحزب الآخر ، وبالعكس ثم تتطور الاحوال في خلافة سليمان بن عبدالملك الذي اظهر تحيزه واندفاعه الى اليمانيين

فالقى القبض على عدد من القادة الذين عملوا تحت امرة أخيه الوليد فحبسوا وقتل بعضهم ، منهم محمد بن القاسم ، موسى بن نصير ، طارق بن زياد ، قتيبة بن مسلم الباهلي بينما قرب اليمانية في شخص يزيد بن المهلب ، وقد لاحق الخليفة يزيد بن عبدالملك الذي انتصر للقيسيين يزيد ابن المهلب زعيم اليمانية واهل بيته وقتلهم جميعا حتى كاد ان يفتك بالاطفال ثم تثار هذه المشكلة وتظهر بصورة واضحة في خلافة هشام بن عبدالملك فقد عزل هشام خالد بن عبدالله القسرى والي العراق حيث قضى خالد في العراق مدة خمسة عشر عاما وكان خالد القسرى هذا زعيم اليمانية ، وقد عيّن هشام يوسف بن عمر واليا على العراق وعهد اليه محاسبة خالد القسري وكانت محاسبة شديدة وتعذيب اشد ظهر فيه عنف التعصب القبلي اذ كان يوسف بن عمر قيسيا متطرفا وقد وصف الطبري حادثة مقتل خالد القسري فقال عذّب خالد عذابا شديدا فكسرت يداه ورجلاه وعظام الحوض وعظام الورك ثم كسرت اضلعه فمات ولم يتأوه وقد اثرت هذه الحادثة في نفوس اليمانيين الذين حنقوا لما اصاب زعيمهم من اهانة وتعذيب وقد ثأر اليمانيون من يوسف بن عمر حيث قتلوه بعد انتقال الخلافة الى يزيد بن الوليد بن عبدالملك الذي استعان باليمانيين على القيسيين ومظهر ذلك الانقسام واثره في نجاح الدعوة العباسية حيث استغل أبو مسلم الخراساني هذا الانقسام فضرب العرب بعضهم ببعض ثم ضرب الجميع واعلن الخلافة العباسية في مرو (عاصمة خراسان) بعد ان قتل من العرب ستين الف ثم ظهرت الفرقة مرة أخرى بين اليمانيين والقيسيين في (معركة الزاب) اذ انقسم الجيش الاموي على نفسه فسهل على العباسيين الانتصار في هذه المعركة وكانت معركة حاسمة قامت بعدها دولة بني العباس وكانت خاتمة للدولة الاموية .

اما اثر ذلك على الخلفاء والدولة جميعا فقد شغل الخلفاء بهذه

الاختلافات والانقسامات وصرفوا كثيرا من وقتهم لمحاربة هذا ومناصرة ذلك ومن هنا ابتعد الخلفـــاء عن الاهتمام بأمور الدولة الرئيسية كذلك استغل اعداء الدولة هذا الانقسام وانشغال الحزب الاموي بعضه بالبعض الآخر ، فكونوا الجمعيات والتكتلات السرية التي انتهت بقيـــام الدعوة العباسية ثم قيام بني العباس .

الناحية الثقافية :

والملاحظة الاخر ، وهي الناحية الثقافية والحضارية ، فقد خرج العرب من جزيرتهم التي عاشوا فيها مئات السنين في ظل النظام القبلي فلم يخضعوا لنظم سياسية أو مالية أو ادارية انما خضعوا لتقاليد واعراف اعتادوا عليها وتمسكوا بها لكنهم بعد ان اندفعوا تحت راية الاسلام وسيطروا على بلاد عديدة ذات حضارات عريقـــة متمثلة في النظم الادارية والسياسية والمالية وجد العرب انفسهم عاجزين عن تفهم هذه الاساليب كما ان شغلهم الذي شغلهم وهو الحرب والفتح قد منعهم من الاشراف على هذه الامور فتركوها بأيدي أصحابها الاصليين لانهم اعرف من العرب بهذه الامور لكن العرب لما استقروا وطال استقرارهم واحتكوا بالثقافات المختلفة وجدوا ان امر ابقاء هذه الامور الهامة بيد الاجانب منقصة في كيان دولتهم فعولوا على ان يسدوا هذه الثغرة فقامت حركة التعريب التي شملت الدواوين والنقود ، اما الدواوين وهي السجلات الرسمية التي يدون فيها أسمـــاء الضرائب ومقاديرها وكيفية جبايتها وتسجيل حاصلها الى غير ذلك من الامور فكانت بالعراق في اللغة الفارسية وفي الشام باللغة البيزنطية وفي مصر باللغة القبطية فنقلت هذه الدواوين من هذه اللغات الى اللغة العربية ، وكان العامل على هذا العمل هو عبدالملك بن مروان كما عرّب النقد أيضـــا . وأصبح يضرب بدار رسمية حكومية وابطل سك النقود من قبل لافراد أو الجماعات وكتب على هذه النقود سواء كانت دينارا أو درهما كلمات عربية

أو آيات قرآنية وأسماء الخلفاء أحيانا • كانت غاية عبدالملك من هذه العملية هي ابعاد الاجانب عن أهم نواحي الدولة وهي الناحية المالية لكي تصبح الدولة عربية خالصة •

اما الناحية الاخرى في العصر الاموي وهي ناحية التدوين فقد بدأت في سنة (١٠٠) للهجرة حيث دوّن الحديث النبوي وتبع ذلك تدوين اخبار الرسول وغزواته وذكر اخبار الصحابة ورواة الحديث والى أي القبائل ينتسبون وكل ما يتعلق بهذه الناحية كذلك شعر العرب بحاجتهم الى تدوين الشعر العربي كي يستعينوا به على فهم غريب القرآن والحديث وتبع ذلك تدوين اخبار قبائل هؤلاء الشعراء ومواضعهم في الجاهلية وما جرى لهذه القبائل من احداث كذلك تبع ذلك تدوين اخبار الامم المجاورة التي احتكت بها الامة العربية أثناء عملية الفتح فظهرت الاسس الاولى لتدوين التاريخ وكان معاوية بن ابي سفيان كما ذكر المسعودي لا ينام الا بعد ان يقرأ له صحائف عن أخبار الماضين واشتهر عبيد بن شرية بأنه كان من المع جامعي الاخبار والقصص القديمة خاصة ما يتعلق باليمن كما ظهرت في العصر الاموي بوادر الحركة العلمية فكان خالد بن يزيد ابن معاوية أول من عمل في الكيمياء ومنه ابتدأ العصر الاموي كأساس للعصر العباسي في الناحية العلمية والادبية والتاريخية •

أسماء خلفاء الدولة الاموية

١ ـ معاوية بن ابي سفيان : من سنة ٤١هـ-٦٠هـ ٦٦١م-٦٨٠م

٢ ـ يزيد بن معاوية : من سنة ٦٠هـ-٦٣هـ ٦٨٠م-٦٨٣م

٣ ـ معاوية الثاني بن يزيد : ثلاثة اشهر

٤ ـ مروان بن الحكم : من ٦٤هـ-٦٥هـ ٦٨٤م-٦٨٥م

٥ ـ عبدالملك بن مروان : من ٦٥هـ-٨٦هـ ٦٨٥م-٧٠٥م

٦ ـ الوليد بن عبدالملك : من ٨٦هـ-٩٦هـ ٧٠٥م-٧١٥م

٧ ـ سليمان بن عبدالملك : من ٩٦هـ-٩٩هـ ٧١٥م-٧١٧م

٨ ـ عمر بن عبدالعزيز : من ٩٩هـ-١٠١هـ ٧١٧م-٧٢٠م

٩ ـ يزيد بن عبدالملك : من ١٠١هـ-١٠٥هـ ٧٢٠م-٧٢٤م

١٠ـ هشام بن عبدالملك : من ١٠٥هـ-١٢٠هـ ٧٢٤م-٧٤٣م

١١ـ الوليد بن يزيد بن عبدالملك : من ١٢٥هـ-١٢٦هـ ٧٤٣م-٧٤٤م

١٢ـ يزيد بن الوليد بن عبدالملك الناقص : أقل من سنة

١٣ـ ابراهيم بن الوليد : ثلاثة اشهر

١٤ـ مروان بن محمد : من ١٢٧هـ-١٣٢هـ ٧٤٥م-٧٥٠م

معاوية بن ابي سفيان

٤٠هـ ـ ٦٠هـ

٦٦٠م ـ ٦٨٠م

وهو مؤسس الدولة الاموية التي دان لها المسلمون زهاء تسعين سنة ومعاوية بن ابي سفيان واسم ابي سفيان = صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وامه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس[١] .

كان ابو اسفيان شيخ مكة ورئيسها وهو الذي تزعم قريشا في عدائها للرسول والدعوة الاسلامية ثم اضطر الى الدخول في الاسلام عند فتح مكة سنة ٨ للهجرة . وقد توسط له عند الرسول العباس بن عبدالمطلب وكان صديقا حميما له وقد خرج ليلقى الرسول قبل ان يدخل مكة ورجا العباس الرسول ان يبقي لأبي سفيان مكانته واحترامه بين قريش فاستجاب الرسول لطلب عمه ونادى منادي الرسول في أهل مكة بأمنهم على أرواحهم وكان النداء (من دخل بيت ابي سفيان فهو آمن ومن دخل الكعبة فهو آمن ومن دخل بيته فهو آمن) وبذلك ساوى الرسول بين بيت ابي سفيان وبيت الله وهو شرف عظيم لم يناله احد مثله وعندما اسلم أبو سفيان اسلمت معه زوجته وأولاده معاوية ويزيد[٢] .

ولد معاوية من أب توارث الزعامة عن آبائه وأم اشتهرت بين نساء قريش بمكانتها وعظم شخصيتها فكان معاوية ذلك العبقري الذي اجتمعت فيه صفات الزعامة فكان أحد دهاة العرب الاربعة : (عمرو بن العاص ،

---

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ ج ٤ ص ٣٦٢ .
(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ ج ٢ ص ٤٠٢ .

وزياد بن أبيه ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاوية) الذين شهد لهم بعظم التدبير واحكام الامور وخصب التفكير وسعة الافق . وقد استطاع معاوية جمع الناس حوله وقادهم الى غايته والوصول الى الخلافة فأقام دولة بني أمية والا فكيف يستطيع ان يقف موقف الند للند من علي بن أبي طالب ويتزعم المعارضة ثم المنافسة ضـــد علي وعلي صاحب المكانة الرفيعة والسابقة في الاسلام والقرابة من الرسول فاستطاع معاوية بما أوتي من دهاء وعبقرية ان يتغلب على علي صاحب هذه الفضائل ويسخر الناس في سبيل غايته فخضع الناس لسلطانه .

ولد معاوية قبل البعثة النبوية بخمس سنين واسلم يوم فتح مكة وله من العمر ثلاث وعشرون سنة فاتخذه الرسول كاتبا للوحي وروى الحديث عن ابي بكر وعمر وعثمان واخته ام المؤمنين أم حبيبة (رملة) زوجة الرسول[1] .

شارك معاوية في غزوة حنين (هي المعركة التي خاضها المسلمون ضد تثيف سكان الطائف والتي اندحر المسلمون في اولها ثم عادوا فانتصروا لثبات الرسول وعدد من أصحابه ثم شارك في حروب الردة وحروب الشام وكان مع اخيه يزيد بن أبي سفيان ، ويزيد احد القادة الاربعة الذين ارسلهم أبو بكر الصديق لفتح بلاد الشام فولاه عمر بن الخطاب ولاية دمشق وولى معاوية ما يليها من البلاد ، ثم ولى عمر بن الخطاب معاوية ولاية دمشق بعد وفاة اخيه يزيد وبقي في ولاية الشام مدة خلافة عمر وعثمان ثم استقل بها مدة خلافة علي (ع) وكانت ولايته لبلاد الشام عشرين سنة استطاع خلالها ان يمكن لنفسه في قلوب أهل الشام فكون منهم حزبا ناصره وايده في موقفه من علي فثار ذلك النزاع بين الشاميين والعراقيين الذي انتهى بفوز معاوية وانتقل بذلك بيت عبد شمس من سيادة في الجاهلية

---

(١) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ـ ص ١٩٤ .

الى سيادة في الاسلام[1] .

وصف معاوية بأنه كان رجلا طويلا أبيضا جميلا مهيبا الا ان جسمه تضخم وعظمت بطنه وكثر لحمه وشحمه بعد ان كبرت سنه ولذلك كان يخطب الناس وهو قاعد وهو أول من فعل ذلك كما عرف عنه انه كان محبا للاكل يكثر من أصنافه ولكنه كان كما وصفه صاحب كتاب الفخري انه كان عاقلا في دنياه لبيبا عالما حليما ملكا قويا جيد السياسة حسن التدبير لامور الدنيا عاقلا حكيما فصيحا بليغا يحلم في موضع الحلم ويشتد في موضع الشدة الا ان الحلم كان أغلب عليه وكان كريما باذلا من ماله محبا للرياسة شغوفا بها ، فكان يفضل على اشراف رعيته كثيرا مداريا لهم يتحمل منهم العنف في الخطاب ، بعث الى رجل من الانصار بخمسمائة دينار فاستقلها الانصاري وقال لابنه خذها وامضي الى معاوية فاضرب بها وجهه وردها عليه واقسم على ابنه ان يفعل ذلك فجاء الابن الى معاوية ومعه الدراهم فقال يا أمير المؤمنين ان أبي فيه حدة وسرعة وقد امرني بكيت وكيت واقسم عليّ وما اقدر على مخالفته فوضع معاوية يديه على وجهه وقال افعل ما أمرك به ابوك وارفق بعمك ، فاستحيا الصبي ورمى بالدراهم فضاعفها معاوية وحملها الى الانصاري[2] .

كان معاوية يقضي مشاكله بالحسنى يلين للناس ويتبع المجاملة بالاحسان لا تلين قناته لمن يحاول قلب الخلافة واخراجها من بيته بعد ان آلت اليه وما كان مع من يظلم رعاياه الا شديدا يستميل القلوب بالعطاء وبالاقناع والاغضاء أو المجادلة بالتي هي أحسن وبلغ من سعة الصدر ووافر الحلم ان ضرب المثل بحلمه وكان اذا لم تنجح في الناس وسائله اللينة يعمد بعد النماس كل حيلة الى القوة وهو القائل (لا اضع سيفي حيث

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات ـ ج ٧ ص ٤٠٦ .

(٢) ابن طباطبا ـ الفخري ـ ص ٧٧ .

يكفيني سوطي ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو ان بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت اذا مدوها خليتها واذا خلوها مددتها . وقال لا احول بين الناس وبين السنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا ومن المستحيل كم الافواه أو تنطق بما يراد ورضى الناس غاية لا تدرك)[1] وهو القائل : (والله لا اتقدم حتى أرى التقدم غنما ولا اتأخر حتى أرى التأخر حزما) .

قيل في معاوية ان عمر بن الخطاب كان ينظر اليه ويقول : هذا كسرى العرب وقال فيه المقبرى : تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعون معاوية ، وقال فيه عبدالملك ابن مروان : كان معاوية ينطق عن علم ويسكت عن حلم كان اذا اعطى اغنى واذا حارب افنى ، ووصفه عبدالله بن عباس فقال : ما رأيت اليق من اعطاف معاوية بالرياسة والملك .

حصل معاوية على الخلافة بعد صراع دام أربعة أعوام بينه وبين علي بن أبي طالب فقد ثار ذلك النزاع بعد مقتل عثمان ، وقد استغل معاوية هذا الحدث ووجه التهمة الى علي وانه آوى اليه قتلة عثمان ولم يأخذهم بجريرتهم وما ارتكبوا من عظائم الامور وهي قتلهم خليفة المسلمين عثمان . استغل معاوية هذا الحدث العظيم ووقف من علي موقف المعارض ثم المنافس وقد استطاع ان يسخر أهل الشام ويجمعهم حوله فبذلوا له التأييد والنصر وثار ذلك الصراع بين العراقيين والشاميين ووقعت وقعة صفين التي هي اعظم حرب بين المسلمين حول مسألة الخلافة . ثم تبع صفين حوادث أخرى انتهت بمقتل علي وتولى الخلافة ابنه الحسن الذي تنازل عنها الى معاوية سنة (٤١هـ) وحصل معاوية على مبايعة الناس بالكوفة الذي دخلها اثر تنازل الحسن بن علي وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع الناس عليه ونبذهم النزاع والخلاف وخلودهم الى الاستقرار

---

(١) الطبري – الامم والملوك ٦٥ ص ١٨٧ .

(٢) السيوطي – تاريخ الخلفاء – ص ١٩٥ .

والهدوء[1] .

سلك معاوية كل سبيل للوصول الى الخلافة تارة بحد السيف واخرى بالمكيدة والسياسة كما استعان بعدد من زعماء العرب الذين التفوا حوله وعلى رأس هؤلاء عمرو بن العاص الذي سخر دهاءه وعبقريته النافذة في سبيله .

اما تاريخ عمرو بن العاص فيبدأ منذ كان تاجرا قبل الاسلام وكان أبوه العاص بن وائل من زعماء قريش ثم أسلم في السنة (٨) الثامنة للهجرة قبل فتح مكة بستة أشهر واسلم معه خالد بن الوليد وقد اعتمد عليه الرسول في قيادة بعض السرايا ، وأهمها « ذات السلاسل » وكان تحت قيادته عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق وأبو عبيدة بن الجراح ثم ولاه الرسول صدقات بلاد عمان ، ثم اشترك في حروب الردة وقاد جيشا الى قبائل قضاعة ثم شارك في فتح بلاد الشام فكان احد القادة الاربعة الذين انفذهم أبو بكر الصديق لفتحها فشارك في معركة (اجنادين) في فلسطين وفي معركة اليرموك ثم حاصر القدس التي استسلمت للعرب وقدم الخليفة عمر لتسلم مفاتيح المدينة ثم اتجه عمرو بن العاص الى فتح انطاكية في شمال سورية فدخلها بسهولة لان قائدها البيزنطي هرب ليلا عندما شعر بتقدم العرب ثم اتجه عمرو بن العاص لفتح مصر واستطاع ان يقنع الخليفة عمر بن الخطاب برأيه واتجه فاحتل مصر الشمالية واحتل عاصمتها الاسكندرية ثم بنى مدينة الفسطاط واتخذها عاصمة له وقد توسعت هذه المدينة بمرور الزمن حتى احرقت في منتصف القرن السادس للهجرة احرقها الوزير (شاور) وزير العاضد لدين الله الفاطمي آخر خلفاء الدولة الفاطمية بحجة ان الصليبيين سوف يتخذونها معسكرا لهم وبنى عمرو في مدينته هذه جامعا كبيرا لا زال باقيا الى الآن تقام فيه الصلوات وبقي

---

(١) المسعودي . مروج الذهب ج ٣ ص ٨ .

عمرو بن العاص مدة أربع سنين واليا على مصر في خلافة عمر وعثمان ، واستطاع خلال هذه المدة ان ينظم ادارة البلاد وشجع الزراعة وكان لا يقسو على الناس في فرض الضرائب وشق خليج أمير المؤمنين كي يوصل بين النيل والبحر الاحمر ثم وضع مقاييس ارتفاع النيل وانخفاضه ثم عاد ثانية كي يتولى ولاية مصر في عهد معاوية منذ سنة (٣٨) للهجرة وبعد ان شارك في حرب صفين الى جانب معاوية ضد علي وكان الثمن هو ولاية مصر • وتوفي سنة (٤٣) للهجرة وكان قد بلغ من العمر ثلاث وتسعون سنة ، وخلف من الاموال ما قدر بـ (تسعين مليون درهم)[١] •

تميزت شخصية عمرو بن العاص بالقوة والذكاء وكان الرسول معجبا بذكائه ودهائه ، كما كان أبو بكر وعمر معجبين به وظهرت مقدرته في قيادة الجيوش كما ظهرت في ادارة البلاد وكان السبب الرئيسي في اسلام أكثر المصريين انما يعود الى سياسة عمرو بن العاص تجاه الاقباط سكان مصر ثم ظهر دهاؤه في رفع المصاحف في صفين وكانت حيلة بارعة رمى بها عمرو اما ايقاف القتال وبذلك ترفع الهزيمة عن جيش الشام ومعاوية واما شق الجيش العراقي ، ونجح عمرو في خطته فاوقف القتال واختلف العراقيون على انفسهم ، وأخيرا انتصر على ابى موسى الاشعري نائب علي بن أبي طالب (ر) في التحكيم •

اما الشخص الثاني الذي اعتمد عليه معاوية فهو (المغيرة بن شعبة) والمغيرة رجل من ثقيف هرب من الطائف ولجأ الى الرسول وقد شارك في كثير من الحوادث اهمها : معركة القادسية وجلولاء وفقد احدى عينه في المعركة الاخيرة وكان رسول المسلمين الى رستم قائد الفرس في معركة القادسية لانه كان يحسن اللغة الفارسية ثم تولى ولاية البصرة في خلافة عمر بن الخطاب وقد عزله عنها لاتهامه من قبل بعض الاشخاص بقضية زنى

---

(١) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ عمرو بن العاص ـ ص ١٢٠ •

لم تثبت عليه ثم ولاه عمر بن الخطاب ولاية الكوفة بعد ان عجز عمر فيمن يولي عليها • وقد اعتزل الحياة السياسية خلال الفتنة على عثمان وخلال النزاع بين علي ومعاوية ثم عاد الى الظهور بعد نجاح معاوية فولاه ولاية الكوفة سنة (٤٣هـ)[١] وبقى في الكوفة حتى وفاته سنة (٥٠هـ) وقد نجح في تدبير أمور الكوفة وهي مركز شيعة علي المعارضين للدولة الاموية واستطاع ان يسلك مع هؤلاء سبيل الترضية واللين والاغضاء عما كانوا يظهرونه من عداء لهذه الدولة •

تميزت شخصية المغيرة بالقوة والذكاء وسعة الافق واحكام التدبير في شؤون ادارته فعد لذلك أحد دهاة العرب الاربعة •

اما الشخص الثالث فهو (زياد بن ابيه) أبو زياد عبيد • نسب زياد في أول حياته الى عبيد من ثقيف ، ثم نقل نسبه الى ابي سفيان وملخص القصة ان زياد برع في شبابه واظهر ذكاءاً ومقدرة فائقة وولاه عمر بن الخطاب كتابة البصرة واظهر من حسن الادارة والضبط ما اعجب الخليفة عمر حتى قال فيه : (لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه)[١] ثم استعان به علي بن أبي طالب (ع) فولاه امارة فارس واستطاع ضبط امر هذا البلد وسلك سبيلا فريدا في الادارة واسكات عناصر الفوضى والمعارضة بأن ضرب بعضا ببعض[٢] وفي خلال ولايته لبلاد فارس ظهر معاوية وظهر ادعائه لاخوة زياد اذ كتب الى زياد كتابا يخبره انه أخوه فلم يلتفت زياد أول الامر وقد حذره علي من الاعيب معاوية ، وهناك رسالة من علي الى زياد تنبأ بأن علي كان على علم بأبوة أبي سفيان لزياد ولكنها ابوة غير شرعية وقد جاءت هذه الابوة من زواج أبي سفيان بسمية أم زياد وهي في عصمة عبيد حسب شريعة الجاهلية التي كانت تسمح بتعدد الازواج للمرأة الواحدة

---

(١) ابن طباطبا ـ الفخري ـ ص ٨١ •
(٢) المسعودي ـ مروج الذهب ج ٣ ص ١٥ •

وكانت هناك أنواع من الزيجاب يعترف بها المجتمع الجاهلي وهذه الزيجاب هي : زواج الرهط ، والرهط أقل من العشرة يتزوجون امرأة واحدة ، وزواج الكثرة ، وزواج البدل ، وزواج المباضعة ... الى غير ذلك من الانواع التي حرمها الاسلام .

وكان أبو سفيان قد اولد سمية زيادا فنسب أول الامر الى عبيد وامام تهديد معاوية والحاحه وبعد وفاة الامام علي قبل زياد ان يحضر مجلسا استمع فيه الى شهادة الشهود الذين احضرهم معاوية وقد اقتنع زياد برأي معاوية فالحق نفسه بأبي سفيان ثم ولاه معاوية ولاية البصرة فضبط امرها وقضى على الفوضى وانتهاك الحرمات التي كان يقترفها شباب البصرة وقرر عقوبات عرفية منها (من نقب على قوم بينهم ادخلت منقبته في بطنه ، ومن حرق على قوم دارهم احرق حيا ، ومن نبش قبرا دفن حيا) ، وكانت النتيجة ان آمنت البصرة على أموالها وأعراضها خاصة بعد ان فرض منع التجول ليلا حتى قيل ان المرأة كانت تبيت في دارها فلا تغلق عليها بابها[1] ثم جمعت الكوفة مع البصرة لزياد سنة (٥٠) للهجرة بعد وفاة المغيرة وأول عمل قام به ان امسك بحجر بن عدي الكندي زعيم شيعة علي في الكوفة وعددا آخر من رجالات الكوفة وسيرهم الى معاوية الذي نفذ حكم الاعدام بحجر وخمسة آخرين[2] .

وقد أجمل المؤرخون وصف هؤلاء الدهاة الاربعة فقالوا دهاة العرب أربعة معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد فاما معاوية فللحلم والاناءة واما عمرو فللمعضلات واما المغيرة فللمبادهة واما زياد فللكبيرة

---

(١) الطبري – الامم والملوك ج ٦ ص ١٢٦ .

(٢) المسعودي – مروج الذهب ج ٣ ص ٤ .

والصغيرة[1] .

كان معاوية موفقا في اختيار ولاته واعوانه اذ كان هؤلاء من غير بني امية ومن قبائل عدة اذ وضع الكفاءة المحل الاول ليبعد النقد عنه فيما لو اقتصر الامر على بني امية كالذي حدث في خلافة عثمان مما أدى الى ان يسلك معاوية مع رجالات بني امية سبيل الترضية باغداقه الاموال عليهم وجمعهم حوله في العاصمة دمشق .

اهتم معاوية بتنظيم الدولة وادارتها وكان يخص العراق بالنصيب الاوفر من هذا الاهتمام لكونه مركز المعارضة فقد احتاط لأمره وسلك كل سبيل لاسكات العراقيين تارة بالقوة والقتل وأخرى بالعطاء والاغضاء عما يقترفوه من أخطاء تجاه الدولة .

اوجد معاوية ديوان البريد لايصال الاخبار من البلاد البعيدة الى العاصمة . والبريد معناه اللغوي هو اثنا عشر ميلا اما من الناحية العملية فكانت الطريق مقسمة الى مراكز وفي كل مركز خيل مضمرات فاذا وصل صاحب البريد وقد تعب فرسه ركب غيرها من التي اعدت في المراكز ليضمن وصول الاخبار بأسرع وقت ممكن[2] .

كما اوجد معاوية ديوان الختم وهذا الديوان لحفظ نسخة ثانية من الكتب المرسلة كما ان الرسالة المرسلة يجب ان تختم بختم خاص حتى لا يطلع عليها حاملوها[3] .

معاوية والخوارج :

ثار الخوارج على معاوية كما ثاروا من قبل على علي بن أبي طالب (ر) وعدوا الاثنين أعداء لهم وجب عليهم قتالهم فقد ثار حوثرة الاسدي وفروه بن

---

(١) الطبري – الامم والملوك ج ٦ ص ٩٥ .
(٢) الطبري – الامم والملوك ج ٦ ص ١٠٨ .
(٣) المبرد الكامل في الادب ٢٥ ص ١٥٥ .

نوفل الاشجعي على معاوية ومعاوية ما زال في الكوفة بعد ان حصل على بيعة المسلمين اثر تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب (ر) وقد استعان معاوية بأهل الكوفة الذين خرجوا لقتالهم كراهية لهم وقد قتلوا علياً (ر) فقضى على هاتين الثورتين[1] .

كما ثار المسورد الخارجي في ولاية المغيرة بن شعبة في الكوفة فاخرج جيشا من أهل الكوفة بقيادة معقل بن قيس الرياحي وكان من شيعة علي فقضى على ثورتهم[2] كما خرج حبان بن ظبيان وهو من زعماء الخوارج ومعه مائة من اصحابه فقتلوا جميعابظاهر الكوفة[3] .

اما الخوارج في البصرة فقد تعقبهم زياد بن ابيه وابنه عبيدالله بن زياد وقتل عددا كبيرا من الرجال والنساء .

الفتوحات في خلافة معاوية :

اتجه المسلمون في خلافة معاوية الى الفتح فاتجهوا شرقا وغربا وشمالا ففي الشرق توغل المسلمون في بلاد الهند والسند وقد احتلها عبدالله بن سوار ثم غزا المهلب بن أبي صفرة هذه البلاد وتوغل فيها حتى مدينة لاهور ثم اندفع قيس بن الهيثم أمير خراسان سنة ٤٢ الى فتح بلاد هراة وبلخ وعدد من المدن الاخرى وقد اشتهر عبدالله بن خازم في فتح هذه البلاد وهو أحد قادة عبدالله بن عامر أمير البصرة وثبت حكم المسلمين في هذه البلاد في عهد زياد بن أبيه الذي خلف عبدالله بن عامر على البصرة وعين الولاة على مدنها وأقاليمها وفي ولاية عبيدالله بن زياد الذي تولى البصرة بعد ابيه وصل فتوحاته الى بخارى وارغم خانون أميرة بخارى على طلب الصلح بعد ان دحر جيشا تركيا كبيرا أرسل لمساعدتها ثم دخل عبيدالله بن زياد

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٦ ص ١٣٠ .
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٦ ص ١٦٤ .
(٣) المبرد ـ الكامل ج ٢ ص ١٥٥ .

بلاد بيكند ثم تولى سعيد بن عثمان قيادة هذه المناطق فدخل بخارى بعد ان نقضت الصلح ثم احتل سمرقند بعد قتال عنيف[1] .

اما حروب معاوية مع الدولة البزنطية فقد بدأت منذ ان امسك بزمام الخلافة فقد وجه همه على شن الغارات على بلاد الروم فتجهت جيوش المسلمين الى هذه البلاد في كل سنة من سنوات خلافته العشرين فدك حصون الروم وقض مضاجعهم وقد اشتهر عدد من القادة الذين توغلوا في هذه البلاد منهم بسر بن ابي ارطاة وسفيان بن عوف وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد وجناده بن أبي امية وكانت أعظم حملة أرسلها معاوية هي التي أرسلها سنة ٤٨هـ وكانت بقيادة ابنه يزيد ومعه عبدالله بن عباس وعبدالله ابن عمر وعبدالله بن الزبير وأبو أيوب الانصاري الذي توفى ودفن قرب أسوار القسطنطينية[2] .

لم تستطع هذه الحملات ان تحقق الغاية التي كان يهدف اليها معاوية وهي احتلال عاصمة البزنطيين التي تحصنت بأسوارها وقلاعها العالية القوية كما ان المدافعين عنها قد استعانوا بالنار الاغريقية التي كانت تخيف العرب بالاضافة الى ان الامطار والثلوج كانت عاملا هامة في رفع العرب حصارهم عن هذه المدينة .

الى جانب هذه الغارات البرية كان العرب قد غزوا البحر وهددوا الاساطيل البزنطية وقد احتلوا جزيرة رودس التي اتخذوها مركزا لمهاجمة السفن البزنطية كما احتلوا جزيرة ارواد القريبة من القسطنطينة الا انهم لم يستطيعوا الوصول الى تلك العاصمة التي لو اتيح للمسلمين فتحها لسهل على الدين الاسلامي الانتشار في بلاد اوربا ولهذا كان فضل القسطنطينة عظيما على المسيحية اذ لم تكون هناك قوة تقف بوجه تقدم العرب ولكن لما

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٣٨٦ .
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٦ ص ١٦٩ .

فتحت القسطنطينة في عام ٤٥٣م أيام الدولة العثمانية كانت اوربا قد افاقت من سباتها فوقفت في وجه تقدم العثمانيين والدين الاسلامي[١] .

اما في الغرب فقد سار عقبة بن نافع بأمر معاوية الى الغرب من مركزه في برقة التي كان يقيم بها منذ ولاية عمرو بن العاص وكان ذلك سنة ٥٠هـ سار بجيش بلغ عدده عشرة آلاف جندي فدخل افريقية وتمكن من فتحها واسلم على يديه كثير من البربر وقد عمل العرب على ادخالهم في الجيش وبذلك تسنى لهم ان يجذبوهم الى الاسلام وقد كون البربر نواة الجيوش التي اتمت فتح شمال افريقيا وأصبح عقبه بن نافع واليا على افريقية وانفصلت عن ولاية مصر ثم عمل على ايجاد مركز له ولجيشه ليأمن ثورات البربر فأسس مدينة القيروان سنة ٥٠هـ وبنى فيها المسجد الجامع الا ان عقبه عزل عن افريقية وولى أبو المهاجر مكانه الذي قبض على عقبه وسجنه وقد استطاع المهاجر ان يتوغل غربا مستعينا بالبربر الذين تقرب اليهم وسلك معهم سياسة التفاهم فساعدوه على فتح أجزاء كثيرة من بلاد تونس والجزائر وقد عزل المهاجر اثر وفة معاوية واعيد عقبة الذي توغل حتى وصل ساحل المحيط الاطلسي وعند عودته الى قاعدته ثار عليه البربر وقتلوه وقتل المهاجر أيضا .

ولاية العهـــد :

وكان المغيرة بن شعبة أول من أشار على معاوية بولاية ابنه يزيد العهد وسبب ذلك ان معاوية أراد عزل المغيرة عن ولاية الكوفة سنة ٤٩هـ فبلغ المغيرة الخبر فأراد ان يقدم لمعاوية شيئا يجعله يعدل عن عزله فسار الى الشام وأشار على يزيد بفكرة العهد ثم عرضها يزيد على أبيه وقد أوضح المغيرة رأيه في ان ولاية العهد سوف تجنب المسلمين الفتن والاقتتال وتمنع

---

(١) غلوب ـ الفتوحات العربية ص ١٣٢ .

سفك الدم[1] فاقتنع معاوية بهذا الرأي الا انه جابه معارضة من بعض أنصاره فلم يوافقه زياد بن أبيه الذي كان واليا على البصرة والذي كان له رأيه الخص في يزيد فلما مات زياد بن أبيه عمل معاوية على اخذ البيعة لابنه يزيد سالكا كل الوسائل الى ذلك تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب والتهديد وأخيرا استطاع معاوية ان يحصل على بيعة المسلمين لابنه يزيد وبذلك انتقلت خلافة المسلمين من خلافة اسلامية الى ملكية وراثية[2] .

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٦ ص ١٦٩ .
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٣٦٩ .

يزيد بن معاوية

٦٠ ـ ٦٣هـ = ٦٨٠ ـ ٦٨٣م

هو يزيد بن معاوية أبو خالد الاموي ولد سنة خمس وعشرين للهجرة كان ضخما كثير اللحم كثير الشعر أمه ميسون بنت بحدل الكلبيه وكان معاوية قد تزوجها قبل ان يلي الخلافة غير انها لم تتحمل المعيشة في دمشق فردد الى اهلها فنشأ يزيد في البادية فكان فصيحا كريما وشاعرا مفلقا(١) .

بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه معاوية بموجب العهد الذي وافق عليه أكثر المسلمين وقد قعد عن بيعته الحسين بن علي (رض) وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر فحاول يزيد ان يأخذ البيعة من هؤلاء بالاكراه وقد بايعه عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس اما عبدالله بن الزبير فلم يبايعه وأخذ يبث الدعوة لنفسه الا انه لم يجد المجال مواتيا له اذ كان يرى في الحسين منافسا قويا فلم يجرأ على اظهار أمره ، اما الحسين بن علي (رض) فلم يبايع وانما سار الى العراق وقد انتهى أمره بتلك الفاجعة المؤلمة فقد قتل هو وعدد من أهل بيته في موقعة كربلاء وقد احدثت هـذه الفاجعة اثرها المؤلم في نفوس المسلمين .

اما الحادثة الثانية فان يزيد أمر بغزو المدينة المنورة ذلك لان أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد وخلعوه وحاصروا من كان بها من بني امية واخافوهم فارسل بنو امية رسولا الى يزيد يعلموه حالهم ويستنجدون به فجهز جيشا عهد بقيادته الى مسلم بن عقبه المرى وكان شيخا كبيرا مريضا الا انه كان أحد جبابرة العرب وشياطينهم فحاصرهم من جهة الحرة وهو موضع بظاهر المدينة وقد انتصر جيش يزيد على أهل المدينة في موقعة الحرة

---

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٣٧٥ .

فقتل في هذه المعركة عدد من أعيان المدينة وقضى بذلك على هذه الثورة[1] .

اما الحادثة الثالثة : فهي غزو الكعبة اذ أمر يزيد قائده مسلم بن عقبه ان يقصد مكة ويغزوها اذ كان عبدالله بن الزبير قد اعلن خلافة ليزيد فمال اليه أهل مكة واتبعوه فلما سار مسلم بعد انتصاره على المدينة المنورة وكانت تنتظره منيته فمات في الطريق فاستخلف على الجيش الحصين بن نمير السكوني فضرب هذا الحصار على مكة ودارت رحى القتال بين جيش يزيد وأهل مكة وفي خلال القتال وصل نعي يزيد فاتصل الحصين بابن الزبير يرغبه بالانتقال الى الشام حتى يأخذ له البيعة الا ان ابن الزبير رفض الخروج من مكة خوفا ان يصيبه ما أصاب لحسين بن علي (رض) فاضطر الحصين ان يعود بجيشه الى دمشق[2] وهكذا انتهت خلافة يزيد بن معاوية الذي قضى أيام حكمه في القضاء على المعارضة التي اصطدم بها تلك المعارضة التي انصبت على شخص يزيد والمبدأ الذي تولى بموجبه الخلافة وهو مبدأ الوراثة الذي لم يستسيغه المسلمون .

معاوية الثاني

٦٣هـ - ٦٨٠م

تولى معاوية الثاني الخلافة بعد ابيه يزيد وكان صبيا ضعيفا ملك أربعين يوما وقبل ثلاثة أشهر ثم قال للناس اني ضعفت عن امركم فالتمست لكم مثل عمر بن الخطاب (رض) فلم اجد فانتم اولى بأمركم فاختاروا من احببتم فما كنت لا تزودها ميتا وما استمتعت بها حيا ثم دخل داره وتغيب أياما ومات وقيل مات مسموما[3] .

---

(١) البلاذري انساب الاشراف ج ٤ ص ٤٣ .
(٢) البلاذري - انساب الاشراف ج ٤ ص ٥٨ .
(٣) البلاذري - انساب الاشراف ج ٤ ص ٦٢ .

الحرب الاهلية

الموقف بعد وفاة يزيد بن معاوية

كان يزيد بن معاوية قد شغل طوال أيام خلافته بالقضاء على المعارضة التي اعلنها الحسين بن علي (ر) واهل المدينة بعد مقتل الحسين بن علي (ر) وكذلك اعلان عبدالله بن الزبير امره في مكة مخالفا بذلك يزيد وثائرا عليه وقد استطاعت جيوش يزيد بن معاوية القضاء على أهل المدينة في معركة الحرة ثم توجهت هذه الجيوش للقضاء على عبدالله بن الزبير فضربت على مكة حصارا انتهى هذا الحصار بعد وفاة يزيد اذ رجع الجيش الشامي الى بلاد الشام تاركا عبدالله بن الزبير الذي قوى امره واعلن خلافته اما امر الامصار الكوفة والبصرة والشام والاردن وخراسان ومصر فكانت احوالها قد اضطربت وثار الصراع بين الفئات المتنازعة تدفعها مصالحها وعصبيتها القبلية للوقوف مع ابن الزبير أو الوقوف مع بني امية .

ففي البصرة طلب عبيدالله بن زياد اميرها مبايعة اهلها وكانت دعوته ان يبايعوه حتى يصطلح الناس على أمير[1] وبعد ان حصل على ذلك ارسل رسولين الى الكوفة يطلب اليهم مبايعته الا ان اهل الكوفة ردا هذين الرسولين حتى اضطر عمرو بن حريث اميرها الى لزوم داره فاختار أهل الكوفة عامر بن مسعود وكتبوا بذلك الى ابن الزبير فاقره[2] .

اما مصير عبيدا عبيدالله بن زياد فقد اضطر الى الخروج من البصرة مستخفيا ناجياً بنفسه اذ لم تستطع قبيلة الازد حمايته من غضب القبائل الاخرى ولحق بالشام[3] وبقيت البصرة دون حكومة وانقسم الناس الى

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ٤٥ ص ٩٧ .
(٢) الطبري الامم والملوك ج ٧ ص ٣٠ .
(٣) الطبري الامم والملوك ج ٧ ص ٣٨ .

مضربين ويمانين حتى جددت بعض القبائل حلفها الذي كانت ترتبط به مع بعض القبائل في الجاهلية وحدث قتل واحراق بعض البيوت حتى اتفق أهل البصرة على تأمير عبيدالله بن الحارث وكتبوا بذلك الى عبدالله بن الزبير فولى امر البصرة عمر بن عبيدالله بن معمر التميمي[1] .

وفي خراسان وثب الناس بعمالهم بعد وفاة يزيد بن معاوية واخرجوهم وغلب كل قوم على ناحية ووقعت الفتنة وغلب ابن خازم على خراسان ثم ثار صراع مرير بين عبيدالله بن خازم وبين بني تميم الذين كانوا حلفاؤه ولكنهم انقلبوا عليه وقتلوا ابنه لما جفاهم ولم يشركهم ما كان قد حصل عليه من الارض والاموال وقد انتصر عبدالله بن خازم على أعدائه وفرق شملهم[2] .

اما موقف البلاد الشامية ومصر فقد بايعت عبدالله بن الزبير الا الاردن واميرها حسان بن بحدل الكلبي فقد بقيت تؤيد بني امية لصلة المصاهرة اذ كنوا اخوال يزيد بن معاوية وأولاده وكذلك للنزعة القبلية اذ كانت قبيلة بني كلب من قبائل اليمن . فلم تشأ ان تبايع عبدالله بن الزبير لانه كان قيسيا[3] .

اتجهت أنظار حسان بن بحدل الكلبي وقبيلته الى ابقاء الخلافة في البيت الاموي وقد قوى من موقفهم انضمام مروان بن الحكم اليهم الذي كان عازما على مبايعة ابن الزبير الا ان عبيدالله بن زياد الذي قدم من العراق قد غير من نيته والح عليه في ان يطلب الامر لنفسه فوجد هذا الامر هوى في نفس مروان حتى قال مكررا قوله ما فات شيء ما فات شيء[4] .

---

(١) البلاذري انساب الاشراف ج ٤ ص ١٠٦ .
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٩٣ .
(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٣٥ .
(٤) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٣٤ .

كان بنو امية وانصارهم مختلفين فيمن يتولى امر الخلافة وكان منهم من يؤيد خالد بن يزيد بن معاوية وفريق يؤيد خلافة عمرو بن سعيد الاشدق وفريق يؤيد مروان بن الحكم في مؤتمر عقدوه في الجابيه وكان كبر سن مروان أهم سند لاختياره حتى قال زعيم منهم لا تأتينا العـــرب بشيخ وتأتيهم بصبي[1] .

اما انصار عبدالله بن الزبير من أهل الشام فقد التفوا حول الضحاك ابن قيس الفهري الذي لم يكن مسيطرا على زمام الامور للمعارضة القوية التي واجهها من أنصار الامويين ولتأرجحه اذ لم يكن واضح الاتجاه مرة مع بني امية واخرى مع عبدالله بن الزبير وكان خضوعه لسيطرة القيسيين هي التي حولته الى الوقوف الى جانب عبدالله بن الزبير مما أدى الى وقوع معركة مرج راهط على بعد ١٥ ميل من دمشق ودامت المعركة مدة عشرين يوما ومع ان القيسيين كانوا ستين الفا واليمانيين ومروان كانوا عشرين الفا الا ان مروان انتصر في هذه المعركة وقتل الضحاك وقتل عدد كبير من القيسيين[2] .

خلافة مروان بن الحكم :

اعلن مروان بن الحكم خلافته بعد انتصاره في معركة مرج راهط ٦٥هـ وسيطر على بلاد الشام كلها بعد ان قضى على مؤيدي عبدالله بن الزبير في حمص وفلسطين .

ثم غزا أهل مصر فامتنعوا منه وتحصنوا فقاتلهم حتى ظهر عليهم ثم رجع الى الاردن[3] .

---

(١) الطبري – الامم والملوك ج ٧ ص ٣٧ .
(٢) البلاذري – انساب الاشراف ج ٥ ص ١٣٦ .
(٣) البلاذري انساب الاشراف ج ٥ ص ١٤٤ .

كما استطاع عمرو بن سعيد الاشدق أحد أفراد البيت الاموي ان يتصدى لمصعب بن الزبير الذي أرسله أخوه عبدالله الى فلسطين فهزمه[1] .

كذلك ارسل مروان بن الحكم جيشين احدهما الى المدينة المنورة بقيادة حبيش بن دلجه الذي هزمه جيش ارسله عبدالله بن الزبير وقتل جيش بن دلجه اما الجيش الثاني فكان بقيادة عبيد بن زياد وكانت وجهته العراق وقد اصطدم هذا الجيش بالتوابين الذين خرجوا من الكوفة بزعامة سليمان بن صرد الخزاعي لقتال قتلة الحسين بن علي (ر) والثأر له أو ان يقتلوا انفسهم ويتوبوا عن ذنبهم لانهم دعوا الحسين ولم ينصروه وقد التقوا بالجيش الاموي في عين الوردة من أرض الجزيرة فقتل أكثرهم وقتل زعيمهم سليمان بن صرد الخزاعي[2] .

تبع خروج التوابين قيام المختار بن ابي عبيد الثقفي وابوه زعيم ثقيف وقائد المسلمين في معركة الجسر وقد قتل في هذه المعركة وكان المختار قد حضرها وعمره ثلاث عشرة سنة .

دعا المختار بدعوة التوابين وهي الثأر للحسين (ر) من قاتليه ولكنه خالف التوابين الذين صمموا على الخروج لقتال عبيدالله بن زياد فبقى في الكوفة والتف حوله كثير من اهلها مستغلا حبهم لآل البيت كما وعد الاعاجم بالمساواة في العطاء مع العرب .

اما موقف الخوارج فانهم اتجهوا الى عبدالله بن الزبير في مكة ولكنهم لم يجدوا بغيتهم عنده فرجعوا الى البصرة وتفرقوا فرقا اربع اختلفوا في موقفهم من عامة المسلمين وكان نافع بن الازرق ومن تابعه أشد الخوارج تطرفا من عامة المسلمين .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٨٥ .
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٧ .

وكان أهل البصرة قد شغلوا بنزاعهم القبلي فسهل على الخوارج الخروج فلما اصطلح الناس تجردوا لقتال الخوارج واخرجوهم من مصرهم[1] .

هذه الاحداث جميعا حدثت بعد وفاة يزيد بن معاوية وانقسم المسلمون الى أحزاب منها زبيرية ومنها اموية كما سيطرت على المسرح السياسي والاجتماعي النزعة القبلية فظهر بوضوح انقسام العرب الى قيسيين ويمانيين وستبقى اثار هذا الانقسام واضحة مؤثرة طوال العصر الاموي .

توفى مروان سنة ٦٥هـ وكانت خلافته سنة واحدة وكان العالم الاسلامي منقسم الى مؤيدين لبني امية وهم أهل الشام ومصر اما أهل الحجاز والعراق فكانوا مع عبدالله بن الزبير وسوف نرى اشتداد الصراع بين عبدالملك بن مروان وآل الزبير خلال السنين السبع اللاحقة .

عبدالله بن الزبير :

كان لظهور عبدالله بن الزبير واعلانه الخلافة لنفسه مخالفا بذلك بني امية اثره في تطور الحوادث بعد وفاة معاوية الثاني ونشوب الحرب الاهلية التي انتهت بفوز الامويين وتولى الفرع المرواني الخلافة الاموية .

وعبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبدالعزى بن قصى وكنيته أبو بكر أو أبو خبيب صحابي من صحابي وأبوه الزبير احد العشرة المشهود لهم بالجنة وامه اسماء بنت ابي بكر الصديق (ر) وام ابيه صفيه عمه الرسول الكريم (ص) .

ولد بالمدينة بعد عشرين شهرا من الهجرة وقيل في السنة الاولى وهو أول مولود في الاسلام ولد للمهاجرين بعد الهجرة .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٧ .

شارك عبدالله في الحوادث التي وقعت بعد مقتل عثمان وكان الرأس المحرك لمعركة الجمل وابرز قادتها ضد علي بن أبي طالب (ر) ثم عمل في امرة معاوية بن أبي سفيان وشارك في بعض الحملات التي ارسلها معاوية وكان يدارى عبدالله ويغدق عليه العطايا والمنح وطالما كان يقول : مرحبا بابن عمه رسول الله وابن حواري رسول الله ويأمر له بمائة ألف درهم الا ان سلوك عبدالله بن الزبير مع معاوية ومهادنته لم تطل اذ اظهر معارضته واستنكاره لتوليه يزيد وعمل جهده على احباط جهود معاوية الا انه لم يستطع بما عرف عن معوية من دهاء وحنكة وسيطرة تامة على الامور فنجح من الحصول على بيعة المسلمين لابنه يزيد ثم اظهر عبدالله بن الزبير معارضته لخلافة يزيد واعلن مرة بعد مقتل الحسين بن علي (ر) وذلك سنة ٦٣هـ .

شجع عبدالله بين الزبير على اعلان خلافة الامويين هو ان الامويين حولوا الخلافة عن طريق الشورى والانتخاب الى طريق التعيين والوراثة ومن الحكم الجمهوري الى الحكم الملكي كذلك ما اتصف به يزيد من صفات خلقية حطت من قدره ومن احقيته في خلافة المسلمين اضف الى ذلك مقتل الحسين بن علي (ر) الذي كان اثره عظيما في نفوس المسلمين كذلك غزو المدينة المنورة ومن قتل من اهلها في معركة الحرة واخيرا معاملة ولاة بني امية أهالي الولايات بالقسوة والعنف حتى كرهوا حكم الامويين وانضموا الى اعدائهم هذه الامور دفعت بالمسلمين في امصارهم في الكوفة والبصرة وأغلب المدن الشامية ان تعلن عن تأييدها لعبدالله بن الزبير الذي اشتهر بالصلاح والتقوى والتمسك بالدين حتى كسب محبة المسلمين وظفر بتأييدهم وصف عبدالله بن الزبير بانه كان صواما قواماً طويل الصلاة وصولا للرحم عظيم الشجاعة .

عبدالملك بن مروان

٦٥هـ ـ ٨٦هـ

٦٨٥هـ ـ ٧٠٥م

نجح مروان بن الحكم في ابقاء الخلافة في البيت الاموي ولكنه نقلها الى الفرع المرواني اذ ان كل الخلفاء الذين جاءوا بعده كانوا ينتسبون اليه .

عمل مروان بعد ان انتصر على مؤيدي عبدالله بن الزبير في معركة (مرج راهط) على اعادة سلطان بني امية على بقية أجزاء الامبراطورية والتي كانت قد بايعت عبدالله بن الزبير فاستطاع استخلاص مصر من سلطان ابن الزبير ثم وجه جيشين الى المدينة وآخر الى العراق وقد فشل الجيش المرسل الى المدينة ، اما الجيش الذي وجهه الى العراق فكان بقيادة عبيدالله ابن زياد حيث انتصر على التوابين ثم لم يلبث مروان بن الحكم ان توفى بعد سنة من توليه الخلافة وكان مروان قبل وفاته قد اوصى بالخلافة لابنه عبدالملك ومن بعده الى عبدالعزيز مخالفا بذلك الاتفاق الذي ابرمه زعماء البيت الاموي في مؤتمر الجابية والذي نص على ان يتولى مروان ومن بعده خالد بن يزيد بن معاوية ومن بعد خالد عمرو بن سعيد الاشدق[1] .

تولى عبدالملك الخلافة سنة ٦٥هـ بعد وفاة ابيه في جو مضطرب اذ كان الحجاز والعراق في قبضة ابن الزبير وفي الشام ثار نائل بن قيس واستولى على فلسطين كما ثار المختار بن ابي عبيد الثقفي في الكوفة واستولى عليها مخالفا بذلك عبدالله بن الزبير وعبدالملك كما سعى أهل دمشق الى مبايعة عمرو بن سعيد الاشدق كذلك هاجم امبراطور البيزنطيين حدود بلاد الشام .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ـ ج ٧ ص ٣٤ .

هذه المشاكل جميعا واجهت عبدالملك في بدء خلافته فاستطاع التغلب عليها ومكن لأسس الدولة الاموية الثبات من جديد وارساها على قواعد مكينة وسارت الدولة بعد ذلك سيرها في توسيع رقعة الامبراطورية العربية الاسلامية .

ولد عبدالملك في المدينة المنورة سنة ٢٦هـ في خلافة عثمان بن عفان (ر) وكان يكنى ابا الوليد وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين وفي خلافة معاوية ولاه امر المدينة وعمره ست عشرة سنة[١] .

عاش عبدالملك في المدينة حتى ثار اهلها على يزيد بن معاوية فاخرجوا من بها من بني امية ولكنه عاد اليها مع اهله وعشيرته بعد انتصار جيش يزيد على أهل المدينة في واقعة الحرة وقد برأ من مرض الجدري الذي كان اصابه قبل خروجه من المدينة[٢] .

كان عبدالملك قد جالس العلماء والفقهاء وحفظ عنهم[٣] فكان فصيحا بليغا صريحا في الحق لا يخشى فيه لومة لائم وحفظ الكتاب وقرأ العلوم الدينية من الفقه والتفسير والحديث فكان أحد فقهاء المدينة وكان يسمى حمامة المسجد لمداومته تلاوة القرآن كما كان أديبا عالما ينقد الشعر ويميز جيده من رديئه ، قال الشعبي (وهو أحد قضاة العراق) قال ما جالست احدا الا وجدت لي عليه الفضل الا عبدالملك فاني ما ذكرته حديثا الا وزادني فيه ولا شعرا الا وزادني فيه وكان لبيبا عابدا ناسكا قبل الخلافة[٤] ملكا جبارا قوي التدبير فاستطاع بجهده وشجاعته ان يقيل الدولة الاموية من عثرتها وينتشلها من الفوضى واقام صرح مجدها على اسس قوية ولهذا

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات ـ ج ٥ ص ٢٢٤ .
(٢) ابن سعد ـ الطبقات ـ ج ٥ ص ٢٢٥ .
(٣) ابن سعد ـ الطبقات ـ ج ٥ ص ٢٣٥ .
(٤) ابن سعد ـ الطبقات ـ ج ٥ ص ٢٣٥ .

يعتبر المؤسس الثاني للدولة الاموية .

كانت معركة مرج راهط قد اثارت العداء بين القبائل القيسية التي خسرت تلك المعركة والقبائل اليمانية التي احرزت النصر ، كان لهذه المعركة اثرها في تمزيق وحـــدة القبائل العربية في بلاد الشام اذ فجع القيسيون بقتلاهم وامتلأت نفوسهم حقدا على قبيلة بني كلب خاصة والقبائل اليمانية عامة وقد اجج شعراء الجانبين مشاعر قبائلهم فشعراء القيسية تبكي على قتلاها وتحرض قبائلهم على الثأر من بني كلب وشعراء بني كلب يشدون بنصرهم في تلك المعركة .

المشاكل التي واجهت عبدالملك

القضاء على التعصب القبلي :

وقف عبدالملك من هذا الصراع موقف الحكيم والسياسي المحنك فقد نجح في جمع القبائل المتناحرة ووضع نفسه فوق الاحزاب وعمد الى التخفيف من حدة العصبية بين القبائل المتصارعة فقد بدأ ذلك الصراع بعد فرار زفر بن الحارث احد زعماء القيسية من معركة مرج راهط ودخوله مدينة قرقيسيا وهي مدينة على الفرات تحوطها ابراج وحصون وانضم الى زفر زعيم قيسي آخر هو عمير بن الحباب فاخذا يطلبان بني كلب واليمانية واكثروا الغارات على مراكز تلك القبائل وبخاصة مدينة تدمر وقد أدى ذلك الى تجمع الكلبيين البوادي والحضر وحاربوا زفر بن الحارث وعمير ابن الحباب واستطاعوا احراز انتصارات على بعض القبائل القيسية وكان قائد الكلبيين حميد بن بحدل الكلبي الذي استطاع قتل كل من اصطدم بهم من القيسيين ولم ينج منهم الا رجل عريان ركب فرسه ولحق بقرقيسيا اما حميد زعيم اليمانية المنتصر فقد قطع اذان القتلى ونظمها في خيط ومضى بها الى الشام[1] .

---

(٢) البلاذري ـ انساب الاشراف ـ ج ٥ ص ٣١٤ .

ثم دار الصراع بين القيسيين وقبيلة بني تغلب النصرانية اذ وقفت مع بني امية في معركة صفين ثم وقفت في هذه الفترة الى جانب بني اميـــة وحاربت القبائل القيسية وكان الاخطل الشاعر التغلبي مقربا من الخليفة عبدالملك .

الا ان هذا الصراع بين القيسية واليمانية قد قضى عليه عبدالملك بعد ان اتجه الى قرقيسيا مركز زفر بن الحارث وحاصرها ثم مشى الرسل بين الجانبين ، انتهى الحصار بالصلح وخرج زفر والتقى بعبدالملك وجلس على سريره وقربه وقرب ابناءه مما جعل الاخطل الشاعر ينتقده على تصرفه لكن عبدالملك لم يعر انتقادات الاخطل وبذلك استطاع ان يجعل القبائل القيسية جزءاً من جيشه وبذل لهم العطاء الذي حرموا منه طوال الصراع مع اليمانية كما اذن لشعراء مضر وكانوا زبيرين فمدحه جرير والفرزدق وعبدالله بن قيس الرقيات مثلما كان يمدحه الاخطل شاعر اليمانية[1] .

فتنة عمرو بن سعد الاشدق :

وهو أحد زعماء البيت الاموي وكان له دور مهم في ابقاء الخلافة في البيت الاموي .

فعمر بن سعيد بن العاص بن امية كان ابوه سعيد واليا لعثمان بن عفان على الكوفة وقد اخرجه أهل الكوفة فعزله عثمان عنها ، اتصف سعيد بأنه كان من اجواد بني امية كثير السخاء والعطاء فنشـــأ ابنه عمرو على سجايا ابيه فكان جوادا شجاعا وفيه كبر وسمى الاشدق لفصاحته وبلاغته . اول عمل تولاه ولاية المدينة المنورة من قبل الخليفة يزيد بن معاوية الا انه لم يكن مخلصا في عمله فعزله يزيد عن ولايته كما كان له دور مهم في نجاح مروان بن الحكم في الوصول الى الخلافة فقد أيد عبيدالله بن زياد الذي أشار على مروان بطلب الخلافة لنفسه والعدول عن مبايعـة

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ج ٥ ص ٣١٥ .

عبدالله بن الزبير كما كان على ميمنة مروان في معركة مرج راهط كذلك قام عمرو باسترجاع فلسطين التي استولى عليهـا نائل بن قيس المؤيد لعبدالله بن الزبير[1] .

كان عمرو يمنى نفسه بالوصول الى الخلافة للجهود التي بذلها والتي اعترف بها مروان بن الحكم خاصة وان الامويين وانصارهم كانوا قد اتفقوا على ان يتولى مروان بن الحكم ثم يتولى بعده خالد بن يزيد بن معاوية وبعد خالد يتولى عمرو الاشدق الخلافة الا ان مروان بن الحكم نقض العهد بعد ان مكن لنفسه واوصى بالخلافة لابنيه عبدالملك وعبدالعزيز .

تولى عبدالملك الخلافة فلم يعترض خالد بن يزيد لانه كان منصرفا الى العلم وبخاصة الكيمياء لكن عمرو الاشدق لم يستلسم وانما اعلن معارضته وانقسم أهل الشام الى فريقين فريق مع عبدالملك وآخر مـع عمرو الاشدق اذ كان له اتباع كثيرون يفضلونه للخلافة لكن بني امية دخلوا بينهم بالصلح حتى لا تضيع دولتهم فأصطلحا على ان يكونا مشتركين في الملك وان يكون لكل منهما مجال من قبله على ان يكون اسم الخلافة لعبدالملك فان مات فالخليفة من بعده عمرو الاشدق[2] .

دام هذا الحال خمس سنوات وفي سنة ٧٠هـ شعر عمرو بتغيير نوايا عبدالملك وسوء نيته فانتهز عمرو خروج عبدالملك لمحاربة مصعب بن الزبير وكان عمرو مع عبدالملك الا انه استطاع الرجوع الى دمشق فدخلها وتحصن بها وأيده أهل الشام فرجع عبدالملك الى دمشق واستطاع اقناع عمـرو بدخول دمشق مؤكدا ولايته الخلافة من بعده مظهرا حرصه على تماسك البيت الاموي ضد ابن الزبير ولكن الامر لم يطل فقد غدر به عبدالملك وقتله ولم تشفع لعمرو صلة الرحم التي تربطه بعبدالملك اذ كان ابن عمته

(١) البلاذري ـ انساب الاشراف ج ٤ ص ١٣٧ .
(٢) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٨٠ .

فحاول عمرو ان يستدر عطف عبدالملك ويذكره الرحم والقرابة فرد عليه عبدالملك (ما اجتمع فحلان في هجمة قط الا قتل احدهما صاحبه) وهكذا تخلص عبدالملك من منافس خطر كما جعل ذلك تهديدا لكل من يفكر بالخروج عليه من أهل بيته[1] .

فتنة المختار بن ابي عبيد الثقفي :

بعد وفاة يزيد بن معاوية ظهرت دعوة في الكوفة تدعو للاخذ بثأر الحسين من قاتليه وقد نادى بهذه الدعوة التوابون الذين خرجوا فالتقوا بالجيش الاموي فقتل اكثرهم . تبع خروج التوابين قيام المختار بن ابي عبيد الثقفي الذي نادى بالدعوة ذاتها ولكنه خالف التوابين وفضل البقاء في الكوفة على الخروج معهم .

والمختار بن ابي عبيد وأبوه زعيم ثقيف وقائد المسلمين في معركة الجسر وقد قتل في هذه المعركة وكان المختار قد حضر هذه المعركة وعمره ثلاث عشرة سنة .

كان المختار طموحا سعى للوصول الى الامرة والسلطان وشارك في كثير من الاحداث التي ثارت في خلافة يزيد واعلان عبدالله بن الزبير امره في الحجاز حتى وجد الفرصة سانحة بعد وفاة يزيد بن معاوية وظهور دعوة التوابين في الكوفة فاتجه الى الكوفة تاركا ابن الزبير الذي لم يجد عنده ما كان يرجوه[2] ووجد الجو ملائما لاعلان دعوته وهي الثأر من قتلة الحسين بن علي (ر) وقد استمال كثيرا من أهل الكوفة وبخاصة الاعاجم الذي ساوى بينهم وبين العرب في العطاء .

استطاع المختار السيطرة على الكوفة وقتل عددا كبيرا من أهلها من

---

(١) المسعودي ـ مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣ .
(٢) البلاذري ـ انساب الاشراف ج ٥ ص ٢١٧ .

الذين شاركوا في قتل الحسين (ر) كما أرسل جيشا بقيادة ابراهيم بن الاشتر لملاقاة الجيش الاموي وقائده عبيدالله بن زياد فانتصر ابراهيم بن الاشتر على ذلك الجيش وقتل قائده .

لم تقف هذه الانتصارات حائلا دون سقوطه بعد ان قضى سنتين من ٦٥ ـ ٦٧هـ مسيطرا على الكوفة اذ ان قتله لعدد كبير من أهل الكوفة ومساواته العجم بالعرب في العطاء مما اوغر عليه قلوب اشراف اهلها ففروا الى البصرة واميرها اذاك مصعب بن الزبير فحرضوه على قتال المختار[١] فاستجاب لهم واتجه بجيشه الى الكوفة فخرج المختار يقاتل فخر صريعا في ميدان المعركة . وهكذا انتهت حياة ذلك المغامر الذي أراد ان يصل الى ما وصل اليه اقرانه في الامرة والسلطان امثال عبدالله بن الزبير وعبدالملك بن مروان وغيرهم واتخذ وسيلته الثأر للحسين (ر) مستغلا ولاء الكوفيين وحبهم لآل البيت[٢] وهكذا تخلص عبدالملك من المختار بصورة غير مباشرة .

٤ ـ ثورة الجراجمه في لبنان وتهديد البيزنطيين :

استطاع عبدالملك مهادنة البيزنطيين بمال دفعه لهم ، اما الجراجمه فقد أرسل اليهم قوة استطاعت اخماد حركتهم .

القضاء على آل الزبير ـ مصعب وعبدالله :

نجح عبدالملك في القضاء على تلك المشاكل التي ذكرناها ولم يبق الا آل الزبير عبدالله في الحجاز ومصعب في العراق . فعزم عبدالملك على التخلص من مصعب أولا لأهمية العراق لانه مفتاح الشرق فسار بنفسه تشجعه كتب العراقيين الذين راسلوه معلنين وقوفهم الى جانبه ضد مصعب . التقى الصديقان عبدالملك ومصعب اذ قال عبدالملك عندما تجهز لقتال

(١) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٩١ .
(٢) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص ٣٩٨ .

مصعب « والله ان من امر هذه الدنيا لعجبا لقد رأيتني ومصعب افقده الليلة الواحدة من الموضع الذي نجتمع فيه فكأني واله فيفقدني فيفعل مثل ذلك »[1] .

التقى عبدالملك ومصعب في أرض مسكن قرب الانبار وغدر أهل العراق بمصعب فانحازوا الى عبدالملك وبقى مصعب في قلة من الرجال وكلم عبدالملك مصعبا في ان يوليه أي ولاية ويعطيه ما يشاء على ان يترك أخاه وانضم اليه فابى مصعب فتقدم ابنه عيسى الذي ابى الفرار بعد ان امنه عبدالملك فقتل ثم تناوشت السيوف مصعبا من كل جانب وهو وحيد فقتل واحتز رأسه زعيم أهل العراق عبيدالله بن ظبيان وقدم رأسه الى عبدالملك فنظر اليه مليا ثم قال متى تلد قريش مثلك وقال هذا سيد شباب قريش[2] ودفن مصعب وابنه عيسى في دير الجاثليق وكان قتل مصعب سنة ٧٢هـ .

خضع العراق لعبدالملك فولى أخاه بشرا الكوفة وارسل الحجاج بن يوسف الثقفي لمحاربة عبدالله بن الزبير في مكة . ثم رجع الى دمشق .

ضرب الحجاج الحصار حول مكة وضربها بالمنجنيق وظل عبدالله يقاتل حتى خر صريعا وكان مقتله سنة ٧٣هـ بعد ان ابدى ضروبا من الشجاعة والبسالة ولكن شجاعته لم تفده أمام جيش كثيف فقتل وقيل ان حجرا صرعه وقد ضربته على جبينه ثم صلب في مكة وبذلك انتهت خلافته بعد ان قضى عشر سنين وكان عمره ثلاث وسبعون سنة .

قيل في عبدالله بن الزبير لا ينازعه أحد في ثلاثة ، لا شجاعة ولا عبادة ولا بلاغة وكان اذا خطب تجاوبه الجبال[3] .

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات ج ٥ ص ٢٢٦ .
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٢ ص ٤١٠ .
(٣) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ٢١٣ .

أما أسباب سقوطه فكانت عديدة منها انه اتخذ الحجاز مقرا له وقد فقد الحجاز مكانته العسكرية بانتقال القوى العربية الى الامصار كذلك ضعف دعاية عبدالله في الامصار الاسلامية التي تعرضت لدعاية قوية من جانب الامويين كما ان انشغال قواته بمحاربة الخوارج والمختار بالاضافة الى بني امية اثرها في ضعف قوته مما جعلها اضعف من ان تقف في وجه القوى الاموية • اما ما اتصف به عبدالله من البخل فقد وصفه عبدالملك بن مروان قال والله ان فيه ثلاث خصال لا يسود بهـا ابدا عجب قد ملأه واستغناء برأيه وبخل التزمه فلا يسود رجل فيه تلك الخصال[1] •

كما كان السبب المباشر لهزيمة عبدالله الحصار الذي ضربه الحجاج حول مكة فكان حصارا طويلا استمر ستة أشهر فلم تعد تصل المؤن والغذاء الى اهلها فاشتد الجوع بأصحاب ابن الزبير فأخذوا يهجرونه ويرحلون الى الحجاج الذي بسط لهم الامان حتى بلغ عدد تاركي ابن الزبير عشرة آلاف منهم بعض ابنائه[2] •

كان لهزيمة ابن الزبير مغزاها السياسي فانها ليست هزيمة شخص أو حزب ولكنها هزيمة ذلك الاقليم أي الحجاز الذي حمل لواء هـذه النهضة مدة من الزمن وكانت تلك المحاولة آخـر المحاولات التي بذلها الحجازيون لاسترداد نفوذهم الادبي والسياسي في العصر الاموي •

الحجاج بن يوسف الثقفي

الحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابي عقيل الثقفي • كان أبوه يوسف قد ولاه عبدالملك بعض الولايات كما شارك في عدد من المعارك في سبيل تثبيت الحكم الاموي[3] •

(١) ابن قتيبة ـ الامامة والسياسة ج ٢ ص ٢٢ •
(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٧٢ •
(٣) ابن قتيبة ـ المعارف ص ١٧٣ •

استعان عبدالملك بعدد من أفراد هذا البيت فولى محمد بن يوسف اليمن فلم يزل واليا عليها حتى مات اما الحجاج فقد تولى بعض الوظائف كصاحب شرطة واميرا على احدى الولايات وكان على ساقه جيش عبدالملك عندما اتجه عبدالملك الى محاربة مصعب بن الزبير وقد تأخر بعض أفراد الجيش فقتلهم لانهم تأخروا عن رحيل الجيش وكانوا من موالي روح بن زنباع وروح هذا أقرب الناس الى عبدالملك فشكاه روح ولكن عبدالملك اقر الحجاج على عمله وهذا اول عمل ظهرت فيه قسوة وشدة الحجاج ثم سار الحجاج الى عبدالله بن الزبير فحاصره وضرب مكة بالمنجنيق وقتل عبدالله وصلبه فولاه عبدالملك الحجاز وبقى ثلاث سنوات حتى ولاه العراق وكان عمر الحجاج ثلاث وثلاثون سنة وبقى أميرها مدة عشرين سنة[1] .

كان عبدالملك قد ولى امر العراق بعد قتله مصعب بن الزبير أخاه بشر بن مروان وكان بشر شابا لاهيا فاهمل امر البلاد فاضطربت الاحوال واشتد الخوارج في عنف هجماتهم واشاعوا الخوف والقلق في القرى والبلدان كما وقف أهل العراق موقفا سلبيا من ولاة الكوفة والبصرة وتقاعسوا عن نصرتهم والوقوف معهم ضد الخوارج وكبح جماحهم كما اظهر العراقيون عداءهم الصريح للحكم الاموي فاضطربت الاحوال واهتم عبدالملك لامر العراق لانه مركز المعارضة للحكم الاموي كذلك لانه مفتاح الشرق فاذا ضاع العراق فقدت الدولة السيطرة على بلاد المشرق .

رأى عبدالملك ان يولي امر العراق بعد وفاة أخيه بشر رجلا قويا صارما يحكم في أهل العراق بحكم الجاهلية فلا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم فكان الحجاج .

اضطر الحجاج الى استعمال القسوة والشدة مع العراقيين لانه وجد

---

(١) ابن قتيبة ـ المعارف ص ١٧٤ .

نفسه بين أمرين اما ان يسلم الامر لأهل العراق الذين وصل بهم الكره للحكم الاموي اقصى الحدود واما ان يسلك سبيل الحزم والقوة ليمكن للسلطان الاموي البقاء فاختار السبيل الثاني وامعن في القسوة والشدة ليقضى على تلك المعارضة التي تشعبت واتخذت سبلا متعددة • فقد وجد نفسه أمام ثورات علوية وخارجية وقومية واقليمية وثورات دينية هدامة سعت الى اضعاف الدين الاسلامي والتحلل منه[1] كما وجد نفسه أمام تمرد العراقيين الذين اذا ما استعان بهم لمقاومة ثورات الخوارج فانهم غالبا ما يتركون ساحة المعركة دون قتال ومستسلمين لهم من أول لقاء[2] •

استطاع الحجاج بما اوتي من عزم وحزم القضاء على ثورات الخوارج وابعد خطرهم عن العراق كما قضى على الثورات واهمها ثورة عبدالرحمن ابن الاشعث فمكن لسلطان بني امية السيطرة على العراق واسكت صوت المعارضة الى حين •

موقف الخوارج :

كان التحكيم الذي عرضه معاوية على علي بن أبي طالب (ر) لانهاء القتال في وقعة صفين لحل الخلاف الناشب بينهما بالرجوع الى القرآن الكريم ليكون حكما بينهم سببا في ظهورو الخوارج وقد سموا بهذا الاسم لخروجهم على علي بن أبي طالب (ر) ورفضهم التحكيم لانه لا يجوز العدول عن حكم الله الى حكم الرجال وقد تطورت فكرتهم فأصبحت ذات آراء دينية متطرفة تناولت ايمان الناس وأعمالهم فكفروا عليا ومعاوية وعثمان وأصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين[3] كذلك كفروا مرتكبي الذنوب حتى الصغيرة منها أي اخرجوهم من الاسلام •

---

(١) الاصفهاني ـ الاغاني ج ١ ص ٥٩ •
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٢٩ •
(٣) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص ٥٥ •

ومن رأي نافع بن الازرق زعيم الازارقة في عامة المسلمين ان لا تنكح نساءهم ولا تأكل ذبائحهم ولا تجاز شهادتهم وعلى الخوارج قتالهم[١] كما اختمرت في أذهانهم فكرة الخروج على نظام الخلافة القائم فجعلوها جائزة في غير قريش وانها يجب ان تعود الى افضل الناس مهمـــا يكن اصله وجنسه ما دام عارفا بالكتاب والسنة[٢] .

هذه الدعوة تدعو الى نظام خلافة جديد يعبر عن رغبة العرب من غير أهل الحجاز في عدم التقيد بالخضوع لقريش .

حارب الخوارج علي بن ابي طالب (ر) كما حاربوا معاوية بن ابي سفيان كذلك اشتد خطرهم في مهاجمة القرى والمدن واشاعة الخـــوف والقلق بما كانوا يرتكبونه من جرائم القتل واحراق القرى وقطع الطرق حتى كانت خلافة عبدالملك بن مروان فشغل الناس بالصراع الذي دار حول الخلافة بين مصعب بن الزبير والمختار وعبدالملك فاستغل الخوارج الفرصة وأخذوا يهددون البصرة[٣] فأخذ أهل البصرة على عاتقهم حماية انفسهم فاوكلوا الى المهلب امر حربهم الذي نجح في ابعادهم الى الاهواز ، الا ان الخوارج سرعان ما استعادوا قوتهم بقيادة قطرى بن الفجاءة الذي استطاع دخول العراق وسك النقود باسمه سنة ٧٥هـ[٤] .

امام هذا الخطر اضطر عبدالملك الى تولية الحجاج امر العراق فقدم الحجاج الكوفة وضرب على أهلها الخروج لقتال الخوارج وامهلهم ثلاثة أيام[٥] وهدد المخالفين بالقتل فسارع أهل الكوفة بالخروج والالتحاق

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٥٧ .
(٢) ابن حزم ـ الفصل في الملك والنحل ج ٢ ص ١١٣ .
(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٣ ص ٢٣٦ .
(٤) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٣ ص ١٤٣ .
(٥) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٤٣ .

بجيش المهلب بن أبي صفرة الذي كان في طلب الخوارج كما سلك مع أهل البصرة مسلكه مع أهل الكوفة .

انضمت هذه الجموع التي خرجت الى جيش المهلب الذي استعمل في حربه مع الخوارج أساليب عديدة فحاربهم بالمكيدة والدهاء وحاربهم بالسيف وطاول في حربهم واستطاع اخراجهم من بلاد فارس الى بلاد كرمان ثم نشب خلاف بين الخوارج فاقتتلوا فيما بينهم فريق مع قطرى بن الفجاءة وآخر مع عبد ربه الكبير[1] وبذلك سهل على المهلب الانتصار عليهم وقتل زعيمهم واوقع فيهم خسائر فادحة عاد بعدها الى البصرة فاستقبله الحجاج بمظاهر الاجلال واثنى عليه واحسن الى اصحابه وزاد في اعطياتهم واسند اليه ولاية خراسان .

استطاع الحجاج ابعاد الخوارج بجهود المهلب ولكن خطر الخوارج ظهر من جديد في أرض الجزيرة من أرض الموصل وكان زعيمهم صالح ابن مسرح وانضم اليه شبيب بن يزيد الخارجي وكان يكنى بابى الصحارى وزوجته غزالة التي شاركت زوجها في معاركه وابدت ضروب من الشجاعة تفوق الرجال .

احرز شبيب انتصارات متتالية على الجيوش التي ارسلها الحجاج لقتاله وقتل خمسة قواد كان الحجاج أرسلهم لقتاله مع ان جيش شبيب لم يزد في أغلب الاحيان عن مائتي رجل[2] .

نتيجة لهذه الانتصارات اضطر الحجاج الى طلب المدد من الشاميين لان العراقيين لم يكونوا راغبين في قتال الخوارج خاصة وان شبيباً استطاع دخول الكوفة عندما كان الحجاج في البصرة وجبى خراجها وبنى مسجدا

---

(١) ابن الاثير – الكامل ج ٤ ص ٦٤ .

(٢) الطبري – الامم والملوك ج ٧ ص ٢١٨ .

فيها فاستطاع الحجاج اخراج شبيب من الكوفة وملاحقته حتى بلاد الاهواز ولم ينقذه منهم الا غرق شبيب في نهر دجيل سنة ٧٧هـ وهرب اتباعه الى كرمان[١] .

وهكذا استطاع الحجاج القضاء على خطر الخوارج في العراق كما قضى عبدالملك على خطرهم في الجزيرة العربية من النجدات اتباع نجده بن عامر وبذلك مهد لخلافته ومن جاء بعده من الخلفاء الاستقرار ومن المؤكد ان سبب نجاحه عليهم يرجع الى تفرقهم الى فرق عدة وكره الناس لهم لما صاحب حركتهم من تعصب وتخريب ودمار .

ثورة عبدالرحمن بن الاشعث :

ما ان قضى الحجاج على الخوارج حتى دهمته ثورة عنيفة كادت ان تطيح بالدولة الاموية وتقض اسسها الا وهي ثورة عبدالرحمن بن الاشعث سنة ٨١هـ وعبدالرحمن من بيت ملك فهو من سلالة ملوك كنده وقد نال أفراد هذا البيت المكانة الرفيعة قبل الاسلام وبعده فجده الاشعث ابن قيس الكندي وفد على رسول الله (ص) واسلم ثم ما لبث ان ارتد بعد وفاة الرسول ثم وقع اسيرا فعفى عنه أبو بكر وشارك الاشعث في فتح الشام والعراق وكان رئيس قبائل كندة في الكوفة ثم شارك في معركة صفين وهو صاحب صحيفة التحكيم[٢] اما ابنه محمد فقد ترك الكوفة خلال ثورة المختار وكان من محرضي مصعب على حرب المختار الثقفي وقد قتل خلال حرب مصعب والمختار[٣] .

اما عبدالرحمن الذي كان مع والده فقد اصر والح على مصعب في قتل الاسرى من جيش المختار ، فخضع مصعب لرغبة عبدالرحمن وقتل

---

(١) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٧٥ .
(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٣ ص ١٦٣ .
(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ١٤٧ .

الاسرى جميعا صبرا ثم عمل عبدالرحمن تحت لواء بشر بن مروان وتحت امرة الحجاج فتولى قيادة أكثر من جيش لمحاربة الخوارج[1] وفي سنة ٨١هـ تزعم أعظم ثورة عراقية اشترك فيها العراقيون من مختلف الطوائف عرب وغير عرب هدفهم التخلص من الحجاج وقسوته ثم التخلص من الامويين واقامة حكم عراقي ينبثق من رغبتهم .

كان بدء هذه الثورة عندما أرسل الحجاج جيشا لمحاربة الترك وملكهم رتبيل ملك سجستان سنة ٧٩ بقيادة عبيدالله بن ابي بكرة وقد فشل هذا الجيش وقتل أكثر أفراده فلم ينج الا القليل[2] .

اثرت هذه النكبة في نفس عبدالملك والحجاج فعول على الانتقام من رتبيل فجهز الحجاج جيشا كبيرا بلغ عدده أربعون الفا عشرون الفا من أهل الكوفة وعشرون الفا من أهل البصرة واطلق على هذا الجيش جيش الطواويس وعهد الى عبدالرحمن بقيادته الذي لم تكن علاقته بالحجاج حسنة اذ كان يشعر كل منهم تجاه الآخر بالكراهية ويحاول التخلص منه ان واتته الفرصة قال الحجاج (ما رأيته قط الا اردت قتله)[3] .

تقدم ذلك الجيش الذي بلغت تكاليف تجهيزه مليون درهم عدا اعطيات الجنود وأرزاقهم . واستطاع احراز انتصارات عدة على ملك الترك وتوغل في بلاده الا انه كان يميل الى التريث وعدم الاسراع فلم تعجب الحجاج هذه الطريقة وكان رأيه ان يتقدم بسرعة لكي ينتقم من رتبيل والا سلم قيادة الجيش الى اخيه اسحق[4] .

غضب ابن الاشعث لهذا الامر كما اثر في نفوس جيشه ان الحجاج

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٨٣ .
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٧ ص ١٩٣ .
(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٥ .
(٤) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٥ .

امر ابن الاشعث ان يأمر أفراد الجيش بحرث الارض وزرعها والاقامة بها حتى يكملوا فتحها[1] .

حز في نفوس اعراقيين ان يقيموا بعيدا عن بلادهم تاركين وطنهم واهلهم وأولادهم في سبيل تثبيت سلطـــان الحجاج فوجد ابن الاشعث فرصته لاظهار الخلاف على الحجاج فاستجاب أفراد الجيش لدعوته وأيدوه في ثورته على الحجاج[2] .

عاد ذلك الجيش الى العراق ليقضي على الحجاج وقد انتصر على كل الجيوش التي ارسلت اليه لوقف زحفه وعظم الامر على الحجاج بعد ان اعلن ابن الاشعث خلع عبدالملك وذعر عبدالملك وهو الذي لم تذعـره حوادث الماضي الجسام فاستجاب لطلب الحجاج بأن ارسل الامداد من الرجال كما أرسل عبدالملك رجالا فاوضوا ابن الاشعث على ان يستجيب لكل مطاليبهم ومنها عزل الحجاج ولكن ابن الاشعث الذي وافق على هذه الشروط لم يستطع اقناع العراقيين على قبولها وجددوا خلع عبدالملك[3] .

التقى الحجاج وهو يقود أهل الشام بعبدالرحمن بن الاشعث في معركة دير الجماجم سنة ٨٣هـ واقتتل الناس أشد قتال دام أكثر من مائة يوم انتهت هذه المعركة بانهزام أهل العراق وفرار عبدالرحمن ثم عاود عبدالرحمن القتال في مسكن فخسر هذه المعركة أيضا وفر ابن الاشعث الى رتبيل ملك الترك الا ان رتبيل الذي امن عبدالرحمن اضطر الى القبض عليه أمام تهديد الحجاج ولكن ابن الاشعث فضل الانتحار على ان يقع في يد الحجاج .

كانت هذه الثورة محاولة من العراقيين للتخلص من الحجاج كما

---

(١) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٨ .
(٢) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٨ .
(٣) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ١٦ .

كما كانت تمثل رغبة عبدالرحمن في الوصول الى السلطة ولم تصطبغ هذه بأي صفة دينية وانما كانت اقليمية سعى العراقيون الى تقويض الحكم الاموي .

سلط الحجاج سيفه على رقاب أهل العراق فقتل فيروز حصين زعيم الموالي في تلك الثورة وقتل سعيد بن جبير وايوب بن القرية اديب الكوفة وعددا كبيرا من الذين شاركوا في تلك الثورة .

أما أسباب فشل هذه الثورة فيعود الى ضعف حماس العراقيين وذوبانه بسرعة ولم يكونوا كأهل الشام الذين وطنوا انفسهم على خدمة الخليفة بكل حماس كما ان الثقة التي سيطرت على مشاعر أهل الشام من انهم منتصرون لا محالة ساعدتهم على احراز ذلك النصر . اضف الى ذلك قوة الحجاج ورباطة جأشه وحزمه فلم تهن عزيمته ولم يضعف ايمانه بالنصر وهو في احلك الظروف فكان على يقين من احراز النصر .

التنظيمات المالية والادارية

تعريب النقد :

خطى عبدالملك خطوة جبارة بعد ان انتصر على منافسيه وهي عملية تعريب النقد لضبط ميزانية الدولة واقتصادياتها اذ كانت العملة المتداولة حتى ذلك الوقت بيزنطية وفارسية اذ لم يكن للعرب في الجاهلية نقد خاص وانما كانوا يتداولون العملة الاجنبية فلما جاء الاسلام ظلت تلك الدراهم والدنانير يتداولها الناس وقد قام بعض الخلفاء مثل عمر بن الخطاب ومعاوية بن ابي سفيان وغيرهم بسك النقود الا انها لم تقض على تداول العملات الاجنبية . فلما قام عبدالملك بن مروان بسك النقود جعل الدولة تشرف على سكها واداراتها ونهى ان يضرب غيرها وذلك سنة ٧٥هـ[١] .

كان الدافع الذي دفع عبدالملك الى اتخاذ هذه الخطوة هو مصالح الدولة وسياستها العامة واكمال سيادة الدولة الاسلامية ، كما وثق الناس بهذه النقود وتخلصوا من العملة الزائفة والمغشوشة[٢] .

لم تتغير وحدة العملة بتعريبها فبقى الدرهم والدينار الا ان الذي تغير انها أصبحت من غير رسوم مراعاة لاوامر الشرع الاسلامي الذي نهى عن الصور وكتب عليها أسماء الله والرسول الكريم وعلى الوجه الآخر اسم الخليفة وتاريخ اصدارها .

وكما سك عبدالرحمن النقود في الشام سك ولاته في الامصار نقودا على مثال تلك النقود . اهتم عبدالملك بأمور الادارة فنظم البريد والدواوين كذلك عمل على تنظيم الضرائب وحسن جبايتها[٣] .

تعريب الدواوين :

الدواوين هي السجلات التي تشمل حساب الاموال وضبط العطاء

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٥٣ .
(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٤٠٧ .
(٣) ابن خلدون ـ المقدمة ص ٢٠٧ .

والحقوق .

كانت الدواوين على نوعين اولهما لتسجيل أسماء الجند وتقدير اعطياتهم وهو بالعربية والثاني ديوان المال والجباية وكان يكتب بلغة البلاد المفتوحة ففي العراق بالفارسية وفي الشام بالرومية وفي مصر بالقبطية ، فمنذ ان فتحت هذه البلاد ترك عمر بن الخطاب ادارة البلاد المفتوحة كما هي وذلك لان العرب لم تكن لديهم مؤهلات حضارية وانشغالهم بأعمال الفتح[1] . فلما كانت خلافة عبدالملك بن مروان قرر ان تكون اللغة العربية لغة الدواوين ليشرف الخليفة وامراء الامصار على هذه الناحية الهامة وهي الناحية المالية ويبعد العناصر الاجنبية عن الادارة وقد تهيأ لعبدالملك الموظفون القادرون على القيام بهذه الاعمال من العرب أو من الذين استعربوا من الموالي فنقل ديوان العراق نقله صالح بن عبدالرحمن ونقل ديوان الشام نقله سليمان بن سعد الخشنى اما ديوان مصر فقد تأخر حتى خلافة الوليد بن عبدالملك[2] .

كان تعريب الدواوين قد ساعد على نشر اللغة العربية فقد اقبل الكتاب من غير العرب على تعلم العربية لكي يستمروا في عملهم في الدواوين .

ومن الاعمال الهامة التي حدثت في خلافة عبدالملك تنقيط الحروف لابعاد الخطأ عن لسان الاعاجم الذين اخذوا يقرأون القرآن ويغيرون من الفاظه لتشابه الحروف فاسرع الحجاج الى تمييز الحروف بوضع النقاط ليستطيع المتعربون اخراج كلامهم على الوجه الصحيح[3] .

---

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٢ ص ٣١٧ .

(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ١٩٣ .

(٣) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ج ١ ص ١٥٥ .

الفتح في خلافة عبدالملك بن مروان

استطاع عبدالملك القضاء على اعدائه الذين هددوا سلطان بني امية بالزوال بجده وحزمه وارسى قواعد الدولة على اسس مكينة ثابتة .

اتجه عبدالملك بعد تغلبه على تلك المصاعب الى اعمال الفتح ليبدأ دورا جديدا في اعمال الفتوح هو الدور الثاني .

وكان الدور الاول الذي بدأه أبو بكر واستمر في خلافة عمر وعثمان قد اتى بنتائج حاسمة فخضع العراق والشام ومصر للحكم العربي ووضعت فيه الاسس الاولى للامبراطورية العربية الاسلامية .

بدأ عبدالملك الدور الثاني واستمرت أعمال الفتح بعده وامتدت امتدادا وصل بحدود الامبراطورية العربية الى حدود الصين شرقا والى جنوب فرنسا غربا .

فلما جاء العباسيون لم يستطيعوا اضافة شيء الى تلك الاقاليم والبلدان فضلا عن انهم لم يحتفظوا بكل ما ورثوه عن الامويين .

ففي الشرق أرسل الحجاج عامل عبدالملك على العراق عبدالرحمن بن الاشعث لاخضاع بلاد الترك وملكهم رتبيل ولكن هذه الحملة التي نجحت نجاحا باهرا انقلب امرها اذ اعلن عبدالرحمن الثورة على الحجاج ومن ثم على الملك حيث انتهت بالفشل وقتل زعيمها .

اما الساحة الشمالية وهي بلاد الروم فكانت مركز تهديد مستمر لحدود بلاد الشام لان الروم الذين فقدوا بلاد الشام ومصر لم يتقاعسوا على محاولاتهم لاسترجاع ما فقدوه سواء بشن الغارة بحرا أو برا كما اقتتل العرب في سبيل كل شبر من هذه الاراضي قتالا عنيفا في فترات متعددة

في عهود الامويين والعباسيين ولعله ليس في آسيا كلها ارض خضبت بدماء المتقاتلين في الحروب المختلفة كما خضبت هذه الارض .

كان عبدالملك قد اضطر امام الاخطار المحيطة به ان يصانع الروم ويدفع لهم الجزية كما رضخ لطلب الجراجمة وهم قوم من سكان جبل اللكام قرب انطاكية في شمال سورية وقد استطاع هؤلاء التوغل الى جبل لبنان والتف حولهم اعداد من الناقمين والمضطهدين فكان يدفع لهم الف دينار كل جمعة[1] ولكنه بعد ان قضى على خصومه اتجه اليهم وشتت شملهم فتفرقوا منهم من بقى في شمال سوريا ومنهم من لحق ببلاد الروم وكانوا اعوانا للروم في كل محاولتهم لغزو بلاد الشام[2] .

اردف عبدالملك عمله هذا بأن ارسل جيشا بقيادة ابنه عبدالله لغزو بلاد الروم وقد توغل هذا الجيش واستطاع فتح عدد من المدن واسكن احداها جماعة من المسلمين[3] كما ارسل أخاه محمد بن مروان أمير الجزيرة لضرب الروم من ناحية ارمينيا واحرز انتصارات رائعة عليهم .

في نفس الوقت عادت حملات الشواتي والصوائف . وهي حملات ترسل في الشتاء وفي الصيف وكانت هذه الحملات قد توقفت منذ خلافة معاوية لانشغال المسلمين بالفتن والاضطرابات الا ان عبدالملك لم يستطع تهديد القسطنطينية عاصمة الروم كما فعل معاوية بن ابي سفيان الذي ارسل حملة بقيادة ابنه يزيد فحاصرتها الا ان متانة حصونها واسوارها حالت دون فتحها وانما كانت غاية عبدالملك اضعاف قوة الروم وابعاد خطرهم الا ان خلفاءه وجهوا قوتهم الى القسطنطينية مباشرة وحاصروها محاولين فتحها .

اما في شمال افريقيا فكانت جهود عبدالملك بن مروان تتجه الى اكمال

---

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ١٦٤ .
(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ١٦٦ .
(٣) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ١٦٩ .

ما بدأه الخلفـــاء السابقون لاستكمال فتح الشمال الافريقي واخـــراج البيزنطيين واخضاع البلاد لسلطانهم وقـــد لاقى القواد العرب عبدالله بن سعد بن ابي سرح وعقبة بن نافع وابو المهاجر صعوبات في اخضاع البربر فلما تولى عبدالملك أرسل أمير مصر عبدالعزيز بن مروان زهير بن قيس البلوى ففتح تونس الا انه اصطدم بقوة من الروم هاجمت سواحل تونس فقتل زهير ومن كان معه ثم ولى حسان بن النعمان الغساني الذي غزا ملكة البربر الكاهنة التي خلفت كسيله في زعامة البربر فهزمته الا انه عـــاد فحاربها وانتصر عليها وقتلها[1] اتسعت رقعة الدولة فشملت هذه المناطق فلامست المحيط الاطلسي .

لم يكتف حسان بفتح هـــذه البلاد وانما نظم امورها الاقتصادية والمالية والادارية .

وفاة عبدالملك :

توفي في شوال سنة ٨٦هـ ٧٠٥م بعد ان قضى عشرين ســـنة حافلة بالاحداث فقضى على الفتن والثورات لشـــدة شكيمته وشخصيته الجبارة فاورث لابنائه الذين تولى أربعه منهم الخلافة دولة مترامية الاطراف ثابتة الاركان متنبه البنيان فسار خلفاؤه واولهم الوليد على طريقته فكان خير خلف لابيه القدير .

---

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٣١ .

الوليد بن عبدالملك

٨٦هـ ـ ٩٦هـ

تولى الخلافة بعد وفاة ابيه عبدالملك وقد عمل على تنفيذ وصيته التي الزمتـــه بأن يسلك سبيل الشـــدة لا يتوانى عن معاقبة الخارجين على السلطة[١] فكان ملكا شديدا حازما سلك مسلك ابيه في ادارة الدولة فكان افضل خلفاء بني امية عند أهل الشام واكثرهم فتوحا واعظمهم نفقه في سبيل الله بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر واعطى المجذومين حتى اغناهم عن سؤال الناس واعطى عامة الناس حريصا على مصالحهـم يتصل بطوائف الشعب مباشرة ليتعرف على مشاكلهم[٢] فكان عهده عهد رخاء وامن اذا قيس بغيره من العهود وكان ولعه بالبناء عظيما بحيث اذا التقى الناس في المجالس بدمشق تذاكروا في امر الابنية والعمارات كما كان حديث المجالس فيخلافة سليمان عن الطعام والزواج اما عمر بنعبدالعزيز فكان اخا زهد وورع فكان اذا تلاقوا في ايامه سأل بعضهم بعضا عما يحفظه من القرآن الكريم[٣] ولعله أول ملك في العصور الوسطى شيد المستشفيات للمصابين بالامراض المزمنة[٤] ولقد كانت مأوى المصابين بالامراض الخبيثة في اوربا بعد ذلك تقليدا لما سبقتها اليه البلدان الاسلامية[٥] .

استلم الوليد من ابيه ملكا موطد الدعائم ثابت البنيان بعد ان قضى

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ج ٣ ص ١٧٠ .
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٢٤ .
(٣) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٣٨ .
(٤) اليعقوبي ـ التاريخ ج ٣ ص ٣٤ .
(٥) فليب حتي ـ تاريخ العرب ج ١ ص ٢٨٨ .

على تلك الفتن التي شغل بها عبدالملك طوال أيام خلافته • فلما تولى الوليد عمل على توسيع رقعة الامبراطورية العربية فسارت الجيوش في اتجاهاتها السابقة لتعيد سلطان الدولة على تلك البلاد التي اضطرب امرها خلال تلك الفترة كما اندفعت الجيوش الى توسيع رقعة الامبراطورية العربية في الشرق والغرب وضرب الامبراطورية البيزنطية التي كانت لا تفتأ تستغل الفرص لتهديد الدولة العربية •

حركة الفتح

قتيبة بن مسلم الباهلي وفتح بلاد الترك :

تولى قتيبة بن مسلم الباهلي بلاد خراسان سنة ٨٦ بامر من الحجاج ابن يوسف الثقفي امير العراق والمشرق فاتخذ مرو عاصمة خراسان مركزا له ومنذ ان وطئت قدماه أرض خراسان بدأ عمله وهو تثبيت الحكم العربي في المناطق الواقعة شرق نهر جيحون والتي كانت قد خضعت للمسلمين ولكنها استغلت فترة انشغال الدولة بالفتن الداخلية فثارت وخلعت عنها سلطان المسلمين .

بدأ قتيبة بن مسلم بفتح بلاد بيكند سنة ٨٧هـ وغنم المسلمون غنائم وفيرة[١] حتى وصل المسلمون الى مدينة بخارى التي خضعت لهم[٢] ثم غزا قتيبة بلخ وقتل نيزك ملك الترك الذي ابدى مقاومة عنيفة للفتح العربي، فوصل الفتح العربي الى مدينة سمرقند[٣] ثم غزا بلاد الشاش وفرغانه حتى بلاد خوارزم وقد صالح ملك خوارزم قتيبه على مال يدفعه للمسلمين قال خوارزم شاه لاصحابه ما ترون قالوا نرى ان نقاتله قال لكني لا اريد ذلك قد عجز عنه من هو أقوى منا واشد شوكة ولكني أرى ان نصرفه بشيء نؤديه اليه[٤] وهذا يدل على قوة المسلمين وتعدد انتصاراتهم مما سهل عليهم الاستحواذ على بلاد الترك فتحا أو صلحا حتى وطئت اقدامهم حدود بلاد الصين .

---

(١) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٦٤ .
(٢) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٦٥ .
(٣) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٦٦ .
(٤) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٨٣ .

بلاد الروم :

كان عبدالملك بن مروان في أواخر أيامه قد أرسل قواته لابعاد خطر الروم الذين استغلوا انشغاله بالفتن الداخلية فهددوا حدود بلاد الشام فلما تولى الوليد بن عبدالملك أرسل أخاه مسلمه بن عبدالملك لغزو بلاد الروم ثم تتابعت غزوات مسلمه ومعه العباس ابن الوليد في السنوات اللاحقة وقد استطاعت هذه الغزوات دخول بلاد الروم وان تحتل حصونها ومدنها منها عموريه وطوانه[1] وغيرها من المدن الا ان هذه الحملات لم تتجه الى القسطنطينية عاصمة البيزنطيين كما حدث أيام معاوية أو كما سيحدث في خلافة سليمان ابن عبدالملك وبذلك أمنت حدود الدولة العربية من تهديد البيزنطيين .

فتح بلاد الاندلس :

في سنة ٨٩هـ استعمل الوليد بن عبدالملك موسى بن نصير على افريقيا وكان البربر قد استغلوا رحيل حسان بن النعمان فثاروا وطمعوا في البلاد فلما وصل موسى بن نصير أرسل قواته الى قبائل البربر الثائرة فاستطاع القضاء عليهم وارجع سيطرة المسلمين على تلك البقاع كما استطاع احتلال مدينة طنجه وفيها استأمن البربر واطاعوه واستعمل على طنجـــه مولاه طارق بن زياد وجعل معه جيشا كثيفا جلهم من البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن والفرائض[2] .

استطاع موسى بن نصير ان يمكن للحكم العربي في افريقيا واخضع قبائل البربر المتمردة ولكنه رأى ان يشغل هذه القبائل باعمال الفتح ولما لم يكن باستطاعته التوجه غربا يمنعه من ذلك المحيط الاطلسي كما لم يكن باستطاعته التوجه جنوبا لوجود الصحارى فكان من الطبيعي ان يتجه الفتح

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٦٧ .
(٢) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١١٢ .

العربي الى الشمال الى بلاد الاندلس وهي لا تبعد عنهم كثيرا ولا يفصل بينهم الا مضيق سمى فيما بعد مضيق جبل طارق كما شجع العرب على غزو بلاد الاندلس ضعف دولة القوط نتيجة للاضطراب الاقتصادي والسياسي .

الا انه لابد لنا ان نشير الى ما اوردته المصادر العربية وهو ان يوليان حاكم سبته على ساحل المغرب الشمالي كان تابعا لملك الاسبان لذوريق وكان يوليان يكن الكره لهذا الملك بسبب اعتداء الملك على ابنته التي كانت تعيش في قصر الملك مع بقية اولاد الامراء والنبلاء فغضب يوليان وشجع المسلمين على غـــزو بلاد الاندلس وقـــدم لهـــم الســـفن لحملهـم اليها[1] .

لم يشأ موسى بن نصير ان يقحم العرب بفتح البلاد بل سلك مسلكا حربيا منظما فارسل أول الامر حملة استطلاعية بقيادة مولاه طريف في اربعمائة رجل ومعهم مائة فرس فنزل على جزيرة في الاندلس سميت باسمه ومنها اغار على الجزيرة الخضراء فاصاب بها غنائم كثيرة ورجع سالما فلما رأى الناس ذلك تسرعوا الى الغزو ثم ارسل موسى بن نصير مولاه طارق ابن زياد في سبعة آلاف مقاتل أكثرهم من البربر والموالي واقلهم من العرب وعبروا المضيق ونزلوا على جبل سمي باسم جبل طارق ولا زال يحمل هذا الاسم حتى اليوم[2] ثم تقدم طارق بجيشه في بلاد الاندلس فتصدى له ملك الاسبان لذريق مما اضطره الى ان يستمد موسى ابن نصير فامده بخمسة آلاف مقاتل فتكامل جيشه اثنا عشر الفا وكان مع طارق يوليان الذي كان يدله على عورات البلاد فالتقى الجيشان على نهر لكه وحلت الهزيمة بجيش لذريق اذ ان عددا من الامراء والنبلاء كانوا قد انسحبوا من الميدان وتفرق جيش لذريق وضعف فلم يستطع الصمود أمام المسلمين فهرب وغرق في

---

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٤٢ .
(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٢٣ .

نهر لكه ثم اصطدم طارق بجيش آخر احرز النصر عليه فاضطر القوط الى التجمع في مدينة طليطلة فاتجه طارق اليها وكان ذلك سنة ٩٢هـ[١] فلما تناهت اخبار هذه الانتصارات الى موسى بن نصير عبر بجيوشه لاتمام عملية فتح البلاد وتذكر الروايات العربية انه كان غاضبا على طارق حتى انه ابى ان يسير في الاتجاه الذي سار به طارق ولكني اعتقد ان موسى كان على العكس من ذلك اذ انه لما نزل بلاد الاندلس اتجه الى مناطق اخرى غير التي فتحها طارق بن زياد فاتجه الى اشبيلية وماردة وباجه واتخذ اشبيلية مركزا له[٢] .

ثم اوغل في فتح بلاد الاندلس بعد ان التقى مع طارق بن زياد الذي كان قد دخل طليطلة ثم خرج من الاندلس واتجه الى دمشق بأمر الوليد ومعه الغنائم التي غنمها فوصل دمشق وقد مات الوليد وكان سليمان بن عبدالملك منحرفا عنه فحبسه[٣] .

تبع فتح بلاد الاندلس فتح جزيرة سردنيه الواقعة في البحر الابيض المتوسط الى الشرق من ساحل بلاد الاندلس[٤] .

تبع فتح بلاد الاندلس رحيل عدد من القبائل العربية فاستقرت فيها اذ ان عملية الفتح لم تكن قد انتهت اذ ما زال الاسبان الذين تراجعوا الى الشمال يكونون خطرا على الفتح العربي كما ان طبيعة بلاد الاندلس قد جذبت اليها هذه القبائل فسكنتها فحل المسلمون من عرب وبربر واقاموا المدن واعتنق كثير من سكانها الاسلام حتى قامت فيها دولة بني امية التي اسسها عبدالرحمن الداخل فظلت الاندلس عربية حتى اخرجهم منها

---

(١) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٩٥ .
(٢) ابن الاثير – الكامل ج ٤ ص ١٢٣ .
(٣) ابن الاثير – الكامل ج ٤ ص ١٢٤ .
(٤) ابن الاثير – الكامل ج ٤ ص ١٢٤ .

الاسبان وقضوا على دولهم واماراتهم ولم يكتفوا بذلك بل تعدى الى اللغة العربية والدين الاسلامي فاقاموا محاكم التفتيش التي ازالت العروبة من تلك البلاد .

فتح بلاد السند :

كان المسلمون في خلافة معاوية بن ابي سفيان قد وصلوا بفتوحاتهم الى بلاد الهند ولكن هذا الفتح لم يكن قد ثبت في هذه البلاد فلما تولى الوليد بن عبدالملك بدأت عملية الفتح التي اعادت سيطرة المسلمين على تلك البلاد كما امتدت سيطرة العرب على بلاد أخرى في الشمال الغربي من بلاد الهند .

بدأ هذه العملية محمد بن القاسم الثقفي الذي ولاه الحجاج بن يوسف الثقفي امر بلاد السند سنة ٩٠هـ[١] فاتجه بجيش كثيف وحاصر الديبل عاصمة بلاد السند وكانت مقر آلهتهم كما وافته السفن بالرجال والسلاح فخندق حولها وضرب منارتها وهي مركز صنم لهم عظيم بالمنجنيق فدمرها ثم هاجم المسلمون المدينة فدخلوها .

وبنى فيها محمد بن القاسم مسجدا وانزلها اربعة آلاف من المسلمين[٢] .

ثم تقدم محمد بن القاسم شرقا فاحتل بيرون وصالحه عدد من امراء البلاد حتى التقى بملك الهند داهر الذي اعد جيشا كثيفا لرد المسلمين ولكن حلت به الهزيمة وقتل داهر[٣] مما سهل على المسلمين الاستيلاء على بلاد السند واصبحت جزء من الامبراطورية العربية .

---

(١) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٦٨
(٢) البلاذري – فتوح البلدان ص ٤٢٥
(٣) البلاذري – فتوح البلدان ص ٤٢٧

اعماله العمرانية

اهتم الوليد بالبناء فاقام المساجد والقصور ففي سنة ٨٨هـ بدأ ببنـاء المسجد الجامع الاموي في دمشق وكان هذا الجامع من اجل واعظم ما بنى في عصر الوليد وقد بنى مكان كنيسة للنصارى وجمع لبنائه صناعا مهرة من الشام ومصر بلغ عددهم عشرة آلاف استمروا يعملون تسع سنوات[١] وقد صرف الوليد على بنائه مبالغ كثيرة قيل انها خراج الدولة لسبع سنوات حتى تكلم الناس وقالوا لقد محق الوليد بيوت الاموال في نقش الخشب وتزويق الحيطان[٢] وقد بنى المسجد في حجم كبير يشمل اروقة طويلة وقبابا ومآذن وأبوابا . ولتزويقه استخدم أنواع الاصبغة وفصوص الفسيفساء الملونة من صفراء وخضراء وذهبية[٣] وزخرف بصور الاشجار والثمار والاغصان والكتابة ، كما ركب على حوائطه وارضيته الرخـام الملون في احسن نظام وجعل سقفه من الرصاص ورصعه بالجواهر تتدلى منه سلاسل وقناديل فكان احدى العجائب[٤] .

لم يقتصر اهتمام الوليد على بناء مسجد دمشق وانما امر عمر بن عبدالعزيز عامله على المدينة المنورة سنة ٨٨هـ بهدم مسجد رسول الله (ص) وان يضم اليه حجرات زوجات الرسول والاراضي المحيطة به على ان تدفع أثمانها الى اصحابها وارسل اليه الفعلة والعمال والاموال وتم بناؤه سنة ٩٠هـ[٥] وقد زار الوليد المدينة المنورة ليقف بنفسه على عمارة المسجد

---

(١) ياقوت ـ معجم البلدان ج ٤ ص ٧٦
(٢) ابن فضل الله العمري ـ مسالك الابصار ج ١ ص ١٩١
(٣) ياقوت ـ معجم البلدان ج ٤ ص ٧٥
(٤) ياقوت ـ معجم البلدان ج ٤ ص ٧٧
(٥) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٦٥

النبوي وتفحصه ثم انه قسم بالمدينة رقيقا كثيرا عجما بين الناس وآنية من ذهب وفضة وأموال[1] كما اهتم الوليد بالكعبة فبعث الى خالد بن عبدالله القسرى وهو على مكه ثلاثين الف دينار فضربت صفائح وجعلت على باب الكعبة وعلى الاساطين التي داخلها وعلى الاركان والميزاب فكان أول من ذهب البيت في الاسلام[2] كما اتم بناء المسجد الاقصى في بيت المقدس الذي بدأ العمل فيه على عهد عبدالملك بن مروان .

اما اعماله الاخرى فقد امر عمر بن عبدالعزيز عامله على المدينة المنورة بحفر الآبار والعيون واقام عمر فواره في المدينة اعجبت الوليد عند زيارته لها فوضع لها قوامين يقومون عليها[3] كما حفر بئرين في مكة فكان ينقل ماءها فتوضع في احواض من ادم عند بئر زمزم[4] .

وعلى العموم كان الوليد من خلفاء بني امية الاقوياء . فقد حرص على تماسك الدولة فكان عهده عهد استقراء وفتح وتوسع وعمران ولا شك ان الفضل يعود الى ابيه عبدالملك الذي بذل جهود جبارة لتثبيت أركان الدولة الاموية .

توفى الوليد بن عبدالملك سنة ٩٦هـ وقد حاول قبل وفاته نقل الخلافة الى ابنه عبدالعزيز واقصاء اخيه سليمان عنها الا انه فشل في ذلك .

---

(١) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٨٣
(٢) اليعقوبي – التاريخ ج ٣ ص ٣٥
(٣) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٦٦
(٤) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٦٧

سليمان بن عبدالملك

٩٦هـ ـ ٩٩هـ

تولى الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد وقد سلك مسلكا مخالفا لسياسته تلك السياسة التي اتسمت بالشدة والقسوة والتي تمثلت في سلوك الحجاج وسيرته مع أهل العراق وكذلك الولاة الآخرين الذين ساروا على نهجه فقد عزل الوليد عمر بن عبدالعزيز عن المدينة المنورة استجابة لطلب الحجاج الذي لم يرضه موقف عمر بن عبدالعزيز من العراقيين الهاربين والذين لجأوا الى الحجاز بعد فشل ثورة عبدالرحمن بن الاشعث وولى الوليد امر المدينة رجلا آخر واخرج من كان بالحجاز من العراقيين وسيقوا الى الحجاج الذي نفذ فيهم حكمه ٠

فلما تولى سليمان عمل على رد المظالم واخرج المسجونين وفعل في يوم واحد ما لم يفعله عمر بن عبدالعزيز في طول عمره اعتق سبعين الفا ما بين مملوك ومملوكة وبتهم أي كساهم البت[١] والكسوة[٢] ٠ وكان عهده مفتاح خير فاطلق الاسرى واخلى السجون واحسن الى الناس واستخلف عمر بن عبدالعزيز[٣] ٠ كما عزل ولاة اخيه عن الامصار وكان ناقما عليهم وعلى الحجاج خاصة وكان الحجاج يخشى ان يطول عمره ويود ان تكون منيته قبل منية الوليد حتى لا يقع بيد سليمان الذي كان يعرف مصيره لو تمكن منه[٤] وقد استجاب الله دعوة الحجاج فمات قبل وفاة

---

(١) البت : اللباس من الصوف ٠
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٣٥
(٣) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٥١ ٠
(٤) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٩٨ ٠

الوليد ولكن سليمان صب عذابه على أهل بيته واعوانه من القادة والولاة فقد عزل يزيد بن ابي مسلم عن الكوفة خليفة الحجاج عليها وحمل مقيدا الى دمشق[1] كما عزل سليمان عثمان بن حيان عن المدينة واستعمل عليها اةبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وامره بأن يحد عثمان حدين ويقيده في الحديد .

كذلك عزل سليمان بن عبدالملك قتيبة بن مسلم عن خراسان الذي حاول خلع سليمان والثورة عليه فجمع اليه اخوته واهل بيته وحرض القبائل على متابعته ولكنه لم يجد من يسمع اليه فثارت طوائف الجيش عليه وقتلته وقتل معه من ابنائه واخوته احد عشر رجلا ثم ولى سليمان يزيد بن المهلب العراق والمشرق فتتبع عمال الحجاج وحبسهم وطالبهم بالاموال التي صارت عليهم[2] .

ثم عزل سليمان خالد بن عبدالله القسرى عن مكة وولها طلحة بن داود الحضرمي وامره ان يضرب خالدا بالسياط وان يحمله في الحديد وان يمشي الى الشام راجلا[3] .

كذلك عزل سليمان موسى بن نصير العامل على افريقية واستصفى امواله واخذه بمائة الف دينار وولى سليمان المغرب محمد بن يزيد وامره بتتبع موسى وولده واصحابه[4] . وقد امر سليمان الجند بقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير وكان امير على بلاد الاندلس ، كما عزل عبدالله بن

---

(١) المسعودي – مروج الذهب ج ٣ ص ١٨٧

(٢) العقوبي – التاريخ ج ٣ ص ٤٠ .

(٣) ابن عبد ربه – العقد الفريد ج ٤ ص ٤٢٩ .

(٤) العقوبي – التاريخ ج ٣ ص ٣٨

موسى بن نصير عن افريقية[1] .

كذلك عزل سليمان محمد بن القاسم الثقفي فاتح بلاد السند وصهر الحجاج وحمل مقيدا الى واسط وحبس وعذب فمات في العذاب[2] .

وهنا توجب الاشارة الى ما اوردته المصادر العربية من ان عزل هؤلاء كان لموقفهم وتأييدهم الوليد في تنحية سليمان عن الخلافة ولكني اعتقد ان السبب الرئيسي هو السياسة التي سلكها الوليد وتأييده لسياسة الحجاج التي سيرت الدولة في اتجاه كان يخشى منه سليمان على مصيرها رغم انها كانت تثير مشاعر المعتدلين من رجال الدولة . قال عمر بن عبدالعزيز وقد ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الامصار ايام الوليد بن عبدالملك فقال الحجاج في العراق والوليد في الشام وقره بن شريك في مصر وعثمان بن حيان بالمدينة وخالد بن عبدالله القسرى بمكة اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما فارح الناس[3] . وهذا يفسر لنا السياسة التي سلكها سليمان بن عبدالملك يؤيده فيها عمر بن عبدالعزيز الذي ولاه سليمان الخلافة بعده بالرغم من معارضة اهل بيته[4] قال سليمان والله لاعقدن عقدا ليس للشيطان فيه نصيب فعقد لعمر بن عبدالعزيز[5] .

اعمال الفتح :

بعد ان وطد سليمان اسس سياسته وولى امر العراق والمشرق يزيد بن المهلب وجه همه الى اعمال الفتح ففي سنة ٩٨هـ جهز حملة كبيرة عهد بقيادتها الى اخيه مسلمه وامره ان يقصد القسطنطينية فيقيم عليها حتى

---

(١) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج٤ ص١٤٤ .
(٢) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ٤ ص١٣٢ .
(٣) الدينورى ـ الاخبار الطوال ص ٣١٦ .
(٤) ابن عبدالحكيم وسيرة عمر بن عبدالعزيز ص٢٠ .
(٥) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ٤ ص١٤٧ .

يفتحها وامر سليمان كل فارس ان يحمل معه مدين طعام كما امرهم ان يعملوا بيوتا من خشب فشتى فيها وصاف وزرع الناس ليطاولو الحصار[١] واصاب المسلمين ضر وجوع وبلغ سليمان ما فيه مسلمه ومن معه فامدهم بعمرو بن قيس في البر واغزى عمر بن هبيرة الفزارى في البحر وذلك ان الروم اغاروا على مدينة اللاذقية فاحرقوها وذهبوا بما فيها فبلغ عمر بن هبيرة خليج القسطنطينية[٢] .

الا ان هذه الحملة التي كان يرقبها سليمان من مركزه في دابق وموقعها شمال سوريا قريبا من الحدود البيزنطية لم تستطع ان تفعل شيئاً امام حصانة القسطنطينية فرجعت هذه الحملة بعد وفاته سنة ٩٩هـ[٣] .

اما اعمال الفتح في الشرق فقد قام يزيد بن المهلب بفتح جرجان وطبرستان[٤] .

كما اضطرب امر بلاد السند بعد خروج محمد بن القاسم عنها ورجع الجنود كل الى بلده فدخلها حبيب بن المهلب واعادها الى سلطان الدولة[٥] .

مرض سليمان بن عبدالملك وهو في دابق سنة ٩٩هـ على اثر اكلة اكلها وكان كثير الاكل فاتخم فمرض فمات[٦] .

---

(١) اليعقوبي ـ التاريخ جـ٣ ص٤٣ .
(٢) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ٤ ص١٤٧ .
(٣) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ٤ ص١٤٧ .
(٤) اليعقوبي ـ التاريخ جـ٣ ص٤٠ .
(٥) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ جـ٤ ص٤٧ .
(٦) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ٤ ص٤٣٠ .

عمر بن عبدالعزيز

٩٩ هـ ـ ١٠١ هـ

نهج سليمان بن عبدالملك سياسة تختلف عن سياسة الوليد وعبدالملك اذا اتسمت بالعدل ورفع الحيف عن الناس وكان يؤيده في نهجه هذا ابن عمه عمر بن عبدالعزيز فلما حضرت سليمان الوفاة كتب عهده اليه متخطيا اخاه يزيد بن عبدالملك ومستجيبا لرغبة رجاء بن حيوة احد الفقهاء واقرب الناس الى سليمان وعمر[١] .

كانت غاية سليمان بن عبدالملك ان تستمر سياسته هذه بتولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة من بعده .

نهج عمر سياسة اكثر مثالية من سياسة سليمان فقد كان سليمان شابا مستهترا مترفا ازعجته سياسة الحجاج العنيفة فحاول تغييرها اما عمر فكان يوشك ان تفرض عليه مسئولية ثقيلة كان عمر يجعل حكم الآخرة نصب عينيه في كل شيء وكان يخشى التقصير دوما فيما يتطلبه الله منه فاحدث تغييرا من ضرب آخر له معنى اكثر بكثير من التغيير الذي امتاز به سليمان عن الوليد والذي كان يأخذ بمجامع قلب عمر هو سيادة العدل قبل تعاظم السلطان وقد تميزت فترة خلافته القصيرة وهي التي لم تتجاوز سنتين فكانت المع فترات الدولة الاموية لما اتصف به من التسامح وسعة الصدر ورعاية امور الناس كافة مسلمين وغير مسلمين والاهتمام بالمصالح العامة بالاضافة لما تميز به من زهد وتقشف والتزام بالعدل في كل اعماله الخاصة والعامة لا تؤخذ في الله لومة لائم .

---

(١) الدينورى ـ الاخبار الطوال ص٣١٦ .

ولد عمر بن عبدالعزيز في المدينة المنورة سنة ٦٣هـ وابوه عبدالعزيز بن مروان والي مصر منذ ان استخلصها مروان من سلطان عبدالله بن الزبير حتى وفاته سنة ٨٥هـ فساسها بالحكمة والعدل وكان مرشحا للخلافة بعد اخيه عبدالملك الا انه توفى قبله[١] .

وامه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فكان لهذه الصلة اثر كبير في خلق عمر بن عبدالعزيز وفي سياسته العامة، عاش عمر بن عبدالعزيز شطرا طويلا من حياته في المدينة ثم انتقل الى دمشق بعد وفاة ابيه فزوجه عمه عبدالملك ابنته فاطمة .

عاش عمر شبابه مترفا ناعما يتخير ملابسه من اجود الملابس وانعمها وكان اذا سافر حمل ملابسه على ثلاثين وقراً وكان مع ذلك يعصف ريحه ويرخي شعره ويسبل ازاره وكان يتبختر في مشيته وكانت له مشية خاصة تسمى العمرية وقد ترك كل ذلك بعد توليه الخلافة الا مشيته هذه كما زهد في الدنيا ورفض ما كان فيها وترك ان يخدم كما ترك الوان الطعام[٢] .

عمل عمر في خلافة الوليد امير على المدينة المنورة فلما قدمها دعا عشرة من فقهائها وطلب ان يعينوه على الحق وقال لهم ما اريد ان اقطع امرا الا برأيكم[٣] ثم عزله الوليد ارضاء للحجاج الذي لم تعجبه سياسة عمر واحتضانه الهاربين من العراقيين كما كان عمر ينتقد الحجاج على سياسته وتعسفه[٤] .

تولى عمر الخلافة سنة ٩٩هـ بعد سليمان بن عبدالملك وقد ترك مظاهر الخلافة وسار على شريعة الحق فرد المظالم واحياء الكتاب والسنة وسار

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات جـ٥ ص٢٣٦ .
(٢) ابن عبد الحكم ـ سيرة عمر بن عبدالعزيز ص٢٢ .
(٣) الطبرى ـ الامم والملوك جـ٨ ص٦١ .
(٤) الطبرى ـ الامم والملوك جـ٨ ص٤١ .

بالعدل ورفض الدنيا وزهد فيها وتجرد لاحياء امر الله عز وجل وكان يدعو الى ان يسير على سيرة رسول الله (ص) وولاة الامر من بعده[1] فكان لا يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يجرى على نفسه من الفيء درهما[2] كما امر امرأته فاطمة بنت عبدالملك ان ترد ما معها من مال وحلي وجوهر الى بيت مال المسلمين[3] كذلك امر بني امية ان يردوا ما في ايديهم من حقوق الناس والا اجبرهم على ذلك ولكنهم ابوا عليه اذ قالوا له والله لا نخرج من اموالنا التي صارت الينا من آبائنا حتى تزيل رؤوسنا اجسادنا وكان عمر اذا نظر الى بعض بني امية قال اني ارى رقابا سترد الى اربابها[4] .

اما بالنسبة الى ولاة الدولة فقد عزل ولاة سليمان بن عبدالملك وعين ولاة جدد وقد اختارهم لثقته بعدلهم وعطفهم على الناس دون اعتبار لنزعتهم القبلية . فقد عزل يزيد بن المهلب عن العراق والشرق ووجه على البصرة عدى بن ابي اطاة الفزارى وبعث على الكوفة عبدالحميد بن عبدالرحمن القرشي وعلي خراسان الجراح بن عبدالله الحكمي وعمر بن هبيرة ارض الجزيرة وعلى الاندلس سمح بن مالك الخولاني وعلى افريقية اسماعيل ابن عبدالله[5] ولم يكتف بذلك وانما حمل يزيد بن المهلب مقيدا وطالبه بالاموال التي كتب بها من قبل الى سليمان فانكر يزيد بن المهلب ما كان قد ذكره فامر عمر بحبسه بعد ان عدل عن نفيه الى جزيرة دهلك[6] .

سياسته العامة :

وضع عمر الخلافة موضع جديدا يتناسب ورغبته في رعاية امور الناس

---

(١) ابن عبدالحكيم ـ سيرة عمر بن عبدالعزيز ص٣٥ .
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ٤ ص٤٣٤ .
(٣) ابن الاثير ـ الكامل جـ٤ ص١٥٣ .
(٤) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ٤ ص٤٣٧ .
(٥) الطبري ـ الامم والملوك جـ٨ ص١٣٠ .
(٦) دهلك . جزيرة في البحر الاحمر امام مواكن وكان بنو امية ينفون اليها الفسقة واللصوص .

جميعا فقد امر عمر عامله على الكوفة ان يسير مع اهلها بالعدل وان لا يأخذ تلك الضرائب التي كانت تؤخذ منهم وهي ضريبة النيروز والمهرجان وعددا من الضرائب الاخرى كما امر عمر عامله على خراسان ان يجمع الخراج بالعدل ويقسمه في اعطيات المسلمين فاذا فضل منه شيء فيقسم في اهل الحاجة[1] .

كذلك الحق ذرارى الرجال في العطاء فكان يعطي المائة درهم والاربعين وقسم على فقراء البصرة كل واحد منهم ثلاثة دراهم واعطى المرض والفطم[2] .

ثم كتب الى بعض عماله ان اعمل خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فاقروه يوما وليلة وتعهدوا دوابهم ومن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين وان كان منقطعا فابلغه بلده ، كذلك امر عمر المسلمين باخراج صدقة فطر رمضان وتوزيعها على مستحقيها كما امر عامله على الكوفة ان يساعد من يريد الحج ويعطيه مائة درهم فضلا عن عنايته بالمرضى والمقعدين والعميان[3] .

لم تقتصر رعاية عمر على اولئك الناس وانما شمل ايضا اولئك التعساء الذين اودت بهم ظروف الحياة الى دخول السجون فنظم السجون واوجد لها ديوانا خاصا ينظر في امورها وفصل بين حبس الرجال والنساء وبين المجرمين وغيرهم ومنع تقييد احد في المحابس واعطى كل منهم رزقا وكسوة في الصيف واخرى في الشتاء وسمح للمسلمين منهم ان يؤدوا فروض الدين وابطل نفي اعداء الدولة الى جزيرة دهلك البعيدة[4] .

---

(١) الطبرى ـ الامم والملوك جـ٨ ص١٣٩ .
(٢) الطبرى ـ الامم والملوك جـ٨ ص١٣٩ .
(٣) ابن الاثير ـ الكامل جـ٤ ص١٦٣ .
(٤) ابن الاثير ـ الكامل جـ٤ ص١٥٧ .

موقفه من الفئات المعارضة :

وقف عمر من الخوارج موقفا خاصا اذ رأى ان يسلك معهم اسلوب المجادلة والاقناع فقد خرج الخوارج في العراق بزعامة شوذب واسمه بسطام فارسل اليهم امير الكوفة جيشا فهزم فارسل عمر مسلمه بن عبدالملك بجيش من اهل الشام وفي الوقت نفسه ارسل عمر الى شوذب يسأله عن سبب مخرجه ووقف جيش مسلمه بازاء الخوارج دون حرب وارسل بسطام رجلين يدارسان عمر ليرى ايهما احق بالامر فدارت مناقشة وحوار بين عمر وبين هذين الرجلين انتهى ذلك الى اعتراف الخوارج بخلافته اولئك الذين لم يعترفوا بخلافة الامويين[1] .

اما بالنسبة للعلويين فكان عطوفا عليهم اعاد اليهم املاكهم التي صودرت منهم وابطل من خطب المنبر لعن اجدادهم ومع ذلك فانه اموى تمسك بحق اهل بيته في الخلافة[2] .

سياسته الخارجية :

لما تولى عمر الخلافة امر مسلمه بن عبدالملك الذي كان يحاصر القسطنطينية بالقفول مع جيشه ووجه اليهم خيلا وطعاما وحث الناس على تقويتهم وجعلهم على الحدود وخلصهم من شدة الجهد والبرد كما أمر بأن لا يتقدم المسلمون الى ابعد مما وصلوا اليه في بلاد خراسان اذ كان يرى ان هذه الفتوح لم تعد لله وانما كانت للغنيمة الا انه مع ذلك لم يترك امر من يحاول التصدى للمسلمين فقد اغار الترك على اذربيجان فقتلوا عددا من المسلمين فارسل عمر جيشا قتل هؤلاء الترك[3] .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل جـ٤ ص١٥٦ .

(٢) ولها وزن ـ الدولة العربية ص٢٥٠ .

(٣) ابن الاثير ـ الكامل جـ٤ ص١٥٤ .

سياسته المالية :

عمل عمر بن عبدالعزيز على حل مشكلة الضرائب التي فرضت على غير المسلمين من اهل الذمة وغيرهم واعادتها على ما كانت عليه ايام الخليفة عمر بن الخطاب (رض) .

كان عمر بن الخطاب قد فرض على سكان البلاد المفتوحة الجزية على رؤوس الرجال ووضع الخراج على الارض وترك عليها اصحابها الاصليين من الفلاحين والدهاقين لاستغلالها فهم اعرف بامور الزراعة من العرب كذلك لم يشأ ان يشغل العرب بامور الزراعة عن الفتح وحماية حدود الدولة .

الى جانب ذلك فقد استصفى كل ارض ليست بايدى احد وهي املاك كسرى والهاربين وجعلها صوافي الخليفة ترتبط ببيت المال[1] .

كانت سياسة عمر بن الخطاب اعفاء الداخلين في الاسلام من ضريبة الجزية والخراج وهذا شجع دافعي الضرائب على اعتناق الاسلام وازال الفرق بين اوضاعهم وطبيعة ممتلكاتهم كما سمح لسكان القرى بترك قراهم والاستقرار بالمدن[2] .

خالف الامويون هذه السياسة فقد رأوا في اسلام شعوب البلاد المفتوحة خرابا لخزانة الدولة وخرابا للزراعة لنقص الايدى العاملة بهجرتها الى المدن لذلك استنوا لأنفسهم سياسة خاصة فكانوا يعفون من اسلم من الجزية مع استمرار فرض ضريبة الخراج ومنع هجرة اهل القرى الى المدن حتى ان الحجاج كان يأمر بأن يوسم اسم القرية على يد المولى حتى لا يخرج منها واعادته اليها ان وجد في مكان آخر[3] وارغم الحجاج

---

(١) أبو يوسف ـ الخراج ص ٣٦
(٢) أبو يوسف ـ الخراج ص ١٤٦
(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٢ ص ٩٢

المسلمين الجدد على دفع الجزية وفرض الخراج على الارض التي اسلم اهلها كما كانت الحال قبل دخوله الاسلام لسد النقص بسبب ما استنفذته الدولة من الاموال في الحروب المتوالية التي قامت بها لتوطيد نفوذها ونقصان ايراد بيت المال من الجزية لازدياد عدد الداخلين في الاسلام من الموالي ٠

فلما تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة حاول مخلصا العودة الى سياسة عمر بن الخطاب اذ رأى ان المال ليس هدفا لأن الله بعث محمدا داعيا ولم يبعثه جابيا فنشر الاسلام وتشجيع الناس على اعتناقه هو الاهم احقاقا للحق وتمكين العدالة اسلوبا للحكم لذلك ازال ضريبة الجزية عن المسلم سواء كان عربيا او مولى وجعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء ومنع بيع الاراضي الخراجية لأنها ملكا مشاعا للمسلمين وليست املاكا خاصة سواء كان المنتفع منها مسلما او غير مسلم[١] يدفع عنها ضريبة الخراج باعتباره مستأجرا كما يحق له ان يهاجر من ارضه ويذهب الى المدن[٢] وبذلك حل عمر مسألة المسلمين الجدد وكذلك مشكلة بيت المال فوفق بينهما اذ رفع الجزية عن المسلمين الجدد ولكنه ابقى الخراج على الارض فابقى لبيت المال موردا ثابتا ٠

هذه السياسة المثالية والمتسمة بالعدل والمساواة بين العرب وغير العرب شجعت الشعوب المفتوحة في عهد عمر على اعتناق الاسلام ٠ ففي مصر اقبل اهل الذمة على اعتناق الاسلام[٣] ٠ وفي الشرق اسلم عدد كبير من الفرس كذلك اسلم عدد من ملوك الترك وشعوبهم استجابة لدعوة عمر[٤] كما ان اديانهم الوثنية لم تستطع ان تقف امام الاسلام المنتصر ٠

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج٤ ص ١٥٨
(٢) ولهاوزن ـ الدولة العربية ص ٢٢٦ ٠
(٣) ابن سعد ـ الطبقات ج ٥ ص ٢٨٣
(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٤٢٦

وكتب عمر الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام فاسلم جيشيه بن داهر ملك الهند وبقية الملوك وتسموا باسماء عربية[1] ولا زالت هذه المناطق من الهند مسلمة وكما انتشر الاسلام في الشرق انتشر ايضا في شمال افريقيا اذ اقبل البربر على اعتناقه حتى لم يبق في شمال افريقيا اي ساكن الا وتحول الى الاسلام .

هـــذا الخليفة الذي عمل على نشـــر العدل والانسانية بين ســـكان الامبراطورية العربية فكان عهده افضل عهود بني امية تسامحا وعدلا انتهى بوفاته سنة ١٠١هـ وهو شاب لم يتجاوز الاربعين من عمره .

---

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٩٤

يزيد بن عبدالملك

١٠١ هـ ـ ١٠٥ هـ

يزيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم وامـه عاتكه بنت يزيد بن معاوية ولي الخلافة سنة ١٠١هـ وهو مقيم ببلاد البلقاء قرب دمشق بعهد من اخيه سليمان بن عبدالملك الذي حاول في آخر حياته تنحيته عن الخلافـة ولكنه عجز عن ذلك . وذلك لما اشتهر به يزيد من لهو وعبث وحب للغناء والشراب والجوارى[١] . فاسلم سليمان الامر لعمر بن عبدالعزيز الذي لم يكن يرغب في تولية يزيد الخلافة الا ان عمر كان امويا عربيا يرى ان الخلافة يجب ان تبقى في البيت الاموي فكان حريصا على نهج الدولة وولاتها وحسن سياستها فقد كتب الى يزيد وهو على فراش الموت يوصيه بالأمة[٢] لكن يزيد لم يستجب لنداء عمر وانما سلك مسلكا مخالفا فاستسلم لغرائزه وكان كلفا بحب جاريتين حبابه وسلامة وكلاهما كانت تغني وتضرب بالعود وكان لا يرد لهما طلب في اموره الخاصة والعامة فخضعت سياسة الدولـة لرغبات هاتين الجاريتين[٣] . كما نقض سياسة عمر بن عبدالعزيز واعادها الى اسوأ مما كانت عليه قبلا فارسل الى ولاته في الامصار يأمرهم ان يتركوا سيرة عمر بن عبدالعزيز في جباية الخراج والضـريبة وقال لهم اذا اتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده واعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى اخصبوا ام اجدبوا احبوا ام كرهوا حيوا ام ماتوا والسلام[٤] .

---

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٤١
(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٥٧
(٣) الاصفهاني ـ الاغاني ج ١ ص ١٥٨
(٤) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٤

كذلك خالف سياسة عمر بن عبدالعزيز والخلفاء السابقين في بعث روح التعصب بين اليمانية والمضربة التي مزقت وحدة القوة التي كانت الدولة الاموية تعتمد عليها مما جعلها تنخر في عظام الخلافة الى ان قضت عليها فاستعان يزيد بالمضريه فولى عبدالرحمن ابن الضحاك بن قيس الفهرى المدينة المنورة وولى العراق عمر بن هبيرة الفزارى ويزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج شمال افريقيا[1] وجعلها تستأثر بالسلطة كما انقص عطاء اليمانية وجعله نصف عطاء المضربة[2] ثم كانت ثورة يزيد بن المهلب وهو زعيم اليمانية وموقف الخليفة يزيد من هذه الثورة ومعاملة زعمائها هي اقصى ما وصل اليه غضب اليمانية على خلافة يزيد .

ثورة يزيد بن المهلب ـ ١٠١هـ :

كان المهلب بن ابي صفره زعيم قبائل الازد التي نزحت من مواطنها في الجزيرة العربية الى البصرة سنة ٦٠هـ وقد برز المهلب في حرب الخوارج وابعد خطرهم عن العراق خلال الحرب الاهلية بعد وفاة يزيد بن معاوية وظل المهلب نشطا في حرب الخوارج حتى خلافة عبدالملك بن مروان وولاية الحجاج العراق فولاه خراسان مكافأة على ما بذله في حرب الخوارج فلما توفي تولى ابنه يزيد بن المهلب ولاية خراسان سنة ٨٢هـ ثم عزله عبدالملك بن مروان برأى الحجاج وولى قتيبه بن مسلم الباهلي مكانه[3] ثم ما لبث الحجاج ان حبس يزيد بن المهلب واخوته وعذبهم وطلق الحجاج زوجته وهي اخت يزيد بن المهلب واخوته وعذبهم وطلق الحجاج زوجته وهي اخت يزيد بن المهلب وقد اظهرت عطفها على اخوتها[4] حتى تمكن يزيد ابن المهلب الهرب من سجنه ولحق بالشام واستجار بسليمن بن عبدالملك

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٨٢
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ١٥٤
(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٤٣
(٤) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٧١

من الحجاج والوليد الذي شفع له عند اخيه فعفا الوليد عن آل المهلب وكان يزيد بن المهلب اقرب الناس الى سليمان واحسنهم منزلة عنده[1] • فلما توفي سليمان بن عبدالملك ولى يزيد بن المهلب العراق وخراسان فلما توفي سليمان عزل عمر بن عبدالعزيز يزيد بن المهلب وطالبه بالاموال التي كانت قد كتب بها الى سليمان فانكر يزيد ذلك فامر بحبسه ثم هرب يزيد بن المهلب من سجنه عندما اشتد المرض على عمر بن عبدالعزيز خوفا من انتقام يزيد بن عبدالملك الذي كان يحقد عليه لتطاوله على مقام الخلافة وشعور الخليفة بأن هذه العائلة اي آل المهلب قد اصبحوا خطرا على الدولة • قال يزيد بن عبدالملك قبل ان يتولى الخلافة ليزيد بن المهلب والله لئن وليت من الامر شيئاً لاقطعن منك عضوا فقال ابن المهلب وانا والله لئن كان ذلك لارمينك بمائة الف سيف[2] •

كان يزيد بن المهلب قد اتجه الى البصرة وفيها اخوته واهل بيته واعلن ثورته على يزيد بن عبدالملك وبايعه الناس لانه اكثر العطاء لهم فاستولى على البصرة وحبس عاملها عدى بن ارطأة وايدته بلاد فارس وكرمان ثم اتجه بجيوشه الى واسط فاستولى عليها ثم سار الى الكوفة وقد انظم اليه كثير من اهلها وقد بلغ عدد من انظم اليه مائة وعشرون الف[3] فارسل الخليفة يزيد بن عبدالملك اخاه مسلمة بن عبدالملك وابن اخيه العباس ابن الوليد بجيش كثيف من أهل الشام فالتقى الجيشان في عقر قرب الكوفة فانهزم العراقيون عند اشتداد القتال الا ان يزيد لم يهرب كما فعل ابن الاشعث بل ركب فرسه وتقدم بين الصفوف يريد قتل مسلمه الا ان حماة مسلمة من أهل الشام قتلوا يزيد بن المهلب وقتل عشرة من اخوته وبنيه

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٤٤

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٦١

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٧٢

فلما رأى ذلك مروان بن المهلب الهزيمة قد حلت بهم أراد ان ينصرف الى النساء فيقتلهن لئلا يقعن في أيدي الامويين فنهاه أخوه المفضل عن ذلك وحملت رؤوس القتلى من آل المهلب الى يزيد بن عبدالملك وفي اذن كل واحد رقعة فيها اسمه[1] .

اما آل المهلب من النساء والاطفال فقد هربوا في السفن وابحروا الى كرمان ومنها اتجهوا الى الشرق فاصطدموا بقوة اموية قتلت اكثرهم وسيق النساء والذرية الى يزيد بن عبدالملك فقتل الرجال والولدان وبقى غلام صغير فقال الغلام اقتلوني فما انا بصغير فقال انظروا انبت فقال انا اعلم بنفسي قد احتملت ووطئت النساء فامر به يزيد فقتله .

ثم ارسل يزيد بن عبدالملك النساء والذرية الى العباس بن الوليد وهو على حلب وأراد بيعهم فاشتراهم الجراح بن عبدالله الحكمي بمائة الف وخلى سبيلهم ولم يأخذ منه مسلمه بن عبدالملك شيئاً[2] .

اما الاسرى الذين وقعوا بيد مسلمه بن عبدالملك بعد فشل ثورة آل المهلب فقد امر يزيد بن عبدالملك بقتلهم جميعا فامر باخراجهم عشرين عشرين أو ثلاثين ثلاثين فقام نحو ثلاثين رجلا من تميم فقالوا نحن انهزمنا بالناس فابدؤا بنا قبل الناس فاخرجوا وضربت اعناقهم[3] وبذلك قضى على فتنة قوم كانوا يشكلون خطرا كبيرا على الدولة فتتبع أفراد هـــذه العائلة واستأصلهم وهذا الحقد والتصميم لم يكن وليد حادثة عابرة أو نفـــور شخص وانما هو الخوف من هذه العائلة وقو اشتهر عدد كبير من افرادها بالقوة والشجاعة والكرم مما اعطى هذه العائلة مكانة رفيعة في ذلك الوقت حتى اكثر الشعراء في مدحهم والتغني بكرمهم حتى قيل لم يكن في بني

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٧٥
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٢٢
(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٧٥

امية اكرم من بني المهلب .

الخوارج :

كان عمر بن عبدالعزيز قد وادع بسطام زعيم الخوارج الذين خرجوا في العراق فلما تولى يزيد بن عبدالملك عاد بسطام الى ثورته وهاجم الكوفة وانتصر على جيوش عدة الا ان مسلمه بن عبدالملك الذي تولى امر الكوفة بعد انتصاره على آل المهلب ارسل اليه جيشا ضخما فقتل بسطام وقتل من معه من الخواج[1] .

كذلك ثار خارجي على يزيد اسمه عقفان فصانعه يزيد وصالحه[2] .

سياسته الداخلية :

كان يزيد بن عبدالملك قد ولى بلاد المغرب يزيد بن ابي مسلم وكان هذا كاتبا للحجاج فلما تولى سليمان بن عبدالملك قبض عليه وأراد قتله ومما قال له اترى الحجاج استقر في قعر جهنم ام هو يهوى فيها فقال يزيد بن ابي مسلم يا امير المؤمنين ان الحجاج يأتي يوم القيامة بين ابيك واخيك فضعه من النار حيث شئت[3] فامر به الى الحبس فكان فيه حتى توفى سليمان بن عبدالملك وكان دميما قصيرا اشتهر بقسوته مثل الحجاج في العراق فلما تولى يزيد بن عبدالملك الخلافة ولاه بلاد المغرب فأراد ان يسير بهم سيرة الحجاج مع أهل العراق فاعاد الجزية على من اسلم فثار عليه البربر وقتلوه وكتبوا الى يزيد بن عبدالملك انهم قتلوه لسوء سيرته ولم يخلعوا طاعة الخليفة فولى يزيد بن عبدالملك امر المغرب بشر بن صفوان[4] .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ١٤٤
(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٨٩
(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٢٧
(٤) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٨٢

كما ثار الترك وارتد كثير منهم عن الاسلام الذين اقبلوا على اعتناقه في خلافة عمر بن عبدالعزيز واستهانوا بالمسلمين ونقضوا احلافهم فاضطر عمر بن هبيرة أمير العراق ان يولي سعيد بن عمر الحرشي الذي استطاع اعادة سلطان المسلمين على تلك البلاد[1] .

اما اعمال الفتح في خلافة يزيد بن عبدالملك فكانت محدودة فقد ارسل غزوات الى بلاد الروم كذلك استطاع الجراح بن عبدالله الحكمي ايقاف تقدم الخزر على حدود ارمينيا وفي الهند لم يحدث تقدم كبير للجيوش العربية وكذلك في الاندلس[2] .

وفاة يزيد بن عبدالملك :

كانت وفاته سنة ١٠٥هـ بعد موت جاريته حبابه وكان سبب موتها انها اكلت رمانة فشرقت بحبه منها فماتت فاقام لا يدفنها ثلاثه حتى تغيرت وانتنت وهو يشمها ويرشفها فعاتبه اهل بيته حتى اذن لهم في غسلها ودفنها فحزن عليها حزنا شديدا ومات بعدها بعشرين يوما[3] وقيل انه كان مريضا بالسل فمات فيه وكانت خلافته أربع سنين .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٤ ص١٨٢ .
(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٨٣
(٣) الاصفهاني ـ الاغاني ج ١٥ ص ١٤٥

هشام بن عبدالملك

١٠٥هـ ـ ١٢٥هـ

بويع هشام بن عبدالملك في اليوم الذي توفي فيه اخوه يزيد سنة ١٠٥هـ بالرصافة وهو ابن ثلاث وثلاثون سنة وكان احول خشنا غليظا يجمع الاموال ويعمر الارض ويستجيد الخيل واتخذ القنى والبرك في طريق مكة[١] وكان احزم خلفاء بني امية واسع العقل حسن الادارة والتدبير فحاول انقاذ الدولة من الهوة التي اندفعت اليها بتأثير سياسة سلفه يزيد بن عبدالملك فعمل على انتشالها وحفظ كيانها واوقف تيار العصبية القبلية الذي زعزع كيان الدولة وعمل على اضعافها .

كان هشام حريصا على احقاق الحق عاقب ابنه سعيد لانه فجر وزنى وشرب الخمر فعزله عن حمص وحلف ان لا يلي له عمل طول حياته[٢] وقال والله انا لنعرف الحق اذا نزل ونكره الاسراف والبخل وما نعطي تبذيرا ولا نمنع تقتيرا وما نحن الا خزنة الله في بلاده وامناؤه على عباده[٣] .

سياسته الداخلية :

اتجه هشام في سياسته الداخلية الى وقف الصراع بين المضرية واليمانية فقد ولى العراق خالد بن عبدالله القسرى رغم معارضة المضرية غايته اضعاف سيطرة مضر التي قويت بعد القضاء على ثورة يزيد بن المهلب وهو زعيم أهل اليمن قال عمر بن يزيد الاسدي لهشام وهشام يشيد بأهل اليمن

---

(١) المسعودي ـ مروج الذهب ج ٣ ص ٣٧٠
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٤٨
(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٥٠

وخالد القسرى عنده (والله ما رأيت هكذا خطأ وخطلا والله ما فتحت فتنة في الاسلام الا باهل اليمن هم قتلوا عثمان وهم خلعوا عبدالملك وان سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب)[1] ولكن هشام لم يأبه لهذه المعارضة فتولى خالد القسرى امر ولاية العراق وبقى فيها خمسة عشر عاما استطاع خلال هذه المدة ان يقدم للعراق فترة استقرار وأمن فحارب الخوارج واهل البدع والسحرة وغيرهم وهدأت حركات المعارضة وعنى بأمور الري والزراعة وجفف البرك والمستنقعات بعمل المسنيات وجود الدراهم فعرفت بأسمه الخالدية[2] .

الا ان هشـــام بن عبدالملك عزل خالد سنة ١٢٠هـ بسبب انكسار الخراج وقلة واردات العراق واستحواذ خالد على ضياع كثيرة في العراق قدرت غلتها بـ (١٣) الف الف درهم حتى قال خالد لولده ما انت بدون مسلمه بن هشام كما اساء خالد معاملة احد أفراد البيت الاموي وكان لا يذكر هشام الا بالاحول حتى تعدى ذلك الى امه فكان يذكرها بالسوء كما اتهم خالد بأنه استعان بأهل الذمة واذل الاسلام[3] ، كل هـذه الاسباب دفعت هشام الى عزل خالد القسرى عن العراق ليعود الى سياسة الحجاج المالية وليضعف من سيطرة اليمانية وسيطرة خالد الذي كان يستغل ولاية العراق ويقول ما هي لي بشيء[4] .

كتب هشام بن عبدالملك الى يوسف بن عمر الثقفي وهو على اليمن ورقة صغيرة دسها بين الكتب المرسلة قال فيها خـــذ ابن النصرانية يعني خالد[5] وعماله وعذبهم واشفني منهم فسار يوسف من يومه متجهـا الى

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٩
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٤٧
(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٣٩
(٤) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٣٦
(٥) كانت أم خالد نصرانية فبنى لها ابنها دير في ظاهر في الكوفة

العراق ، فلما وصل الكوفة استعان بقبائل مضر فاخذ خالد القسرى وحبسه وحبس ثلثمائة من عماله[1] .

عاد يوسف بن عمر الثقفي الى سيرة الحجاج فعزل عمال خالد القسرى كلهم واستخدم الشدة واخذ الناس بالمشاق وفي ولايته ثار زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الذي ثار في الكوفة سنة ١٢١هـ وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين اهله بالسوية ورد المظالم ونصر اهـــل البيت فبايعه عشرة آلاف من أهـــل الكوفة[2] فلما علم يوسف بن عمر بأمره اخذ يلاحقه حتى اضطر زيد الى اعلان الثورة فلما خرج لقتال يوسف بن عمر سأله بعض انصاره عن رأيه في خلافة أبي بكر وعمر فايدها ولم ينكرها فلما رأوا منه ذلك رفضوه وامتنعوا عن القتال ولذلك سموا بالروافض فبقى في قلة من اصحابه وهم اصول فرقة الزيدية فسهل على يوسف بن عمر قتله وصلب في كناســـة الكوفة وكان ذلك سنة ١٢٢هـ فتفرق انصاره واتباعه وتمكنوا فيما بعد من تكوين دولة في جنوب بحر قزوين كما هرب ابنه يحيى الى خراسان فنزل عند احد الدهاقنه ثم اخذه نصـر بن سيار وحبسه بامر هشـام ولما تولى الوليد بن يزيد ثار يحيى في الجوزجان فقتل[3] .

خراسان والصراع القبلي :

ثار الصراع القبلي بين اليمانية والمضرية في بدء خلافة هشام بن عبدالملك ووقع القتال بينهما فانتصرت المضرية بقيادة نصر بن سيار فلما تولى خالد القسرى ولاية العراق وخراسان ولى اخاه اسد بلاد خراسان

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٥٣
(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٤٢
(٣) الاصفهاني ـ مقاتل الطالبين ص ١١٥

فعزل العمال وابدلهم بآخرين من اليمانية[1] ولكنه اشرك المضرية في الحروب والغزوات وكانت تحاول ان ترضيه بما كانت تظهره في الحرب ولكن لم يكن يرضيه من عملهم شيء وكان الجفاء واقع بينهما[2] . ثم عزل اسد القسرى عن خراسان فولى هشام بن عبدالملك اشرس بن عبدالله السلمي ثم ولى بعده الجنيد بن عبدالرحمن فلم يستعمل الا مضريا . وفي ولاية عاصم بن عبدالله ثار الحارث بن سريج في بلاد الترك واستطاع هذا بما انضم اليه من العرب والترك ان يستولي على عدد من المدن والمناطق فلما بلغ هشام خطورة الوضع في خراسان وتعاظم ثورة الحارث بن سريج ارسل الى خالد القسرى أمير العراق ان ارسل أخاك اسد ليصلح ما افسد[3] وكان اسد بن عبدالله يمانيا متعصبا حتى في انزال العقاب بدعاة بني العباس فقد قبض على عدد منهم فعذب المضرية ولم يعاقب اليمانية[4] ثم ولى هشام نصر بن سيار ولاية خراسان فقال رجل من اليمانية ما رأيت عصبية مثل هذا وكان نصر قد اختار اعوانه من مضر فلم يستعمل طوال اربع سنين الا مضريا وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبلها واحسن الولاية والجباية[5] .

من هذا يظهر ان هشام كان يرغب في ان يسود الوئام القبائل اليمانية والمضرية فتغير ولاة خراسان مرة مضرى واخرى يماني غايته ان لا يعطي الفرصة لاحدهما في الانطلاق والاستحواذ والسيطرة ولكنه من ناحية أخرى اوجد عن غير قصد فتقا لم يستطع من جاء بعده من الخلفاء سده

---

(١) ابن الاثير – الكامل ج ٤ ص ١٨٧
(٢) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ١٩١
(٣) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٢٢٦
(٤) الطبري – الامم والملوك ج ٨ ص ٢٢٨
(٥) ابن الاثير – الكامل ج ٤ ص ٢٣٩

فكان اسلوبه يثير الاحقاد بتغيره هذا وذاك من الامراء والعمال وكانت نتيجة ذلك اضعاف قوة العرب في هذه المنطقة المهمة من أجـــزاء الامبراطورية العربية وساعد أخيرا الدعوة العباسية على الانتصار .

بلاد الترك وثورة الحارث بن سريج :

غزا المسلمون بلاد الترك في عهد هشام بن عبدالملك فكل ولاة خراسان شنوا الغارات عليهم لان الترك لم يستسلموا للحكم العربي وبرز زعماء منهم اشتهروا بمقاومة العرب وقتالهم منهم كور صول الذي قتله نصر بن سيار فحزن عليه الترك فقطعوا آذانهم وشعورهم واذناب خيلهم[1] وغوزك وكانت مدن سمرقند وبخارى وبيكند اشد المناطق حربا على المسلمين وخسر المسلمون اعدادا كبيرة من رجالهم في هذه الحروب التي لم تكن تهدأ حتى تثور من جديد فغزا اسد بن عبدالله القسرى بلاد الختل حتى وصل حدود الصين وغزا مسلم بن سعيد بلاد الترك ويطلق على هذه الغزوة يوم العطش لان المسلمين حوصروا ومنع عنهم الماء ولكن المسلمين انتصـروا[2] ويوم الشعب وقد قتل في هذه المعركة عدد كبير من المسلمين وكان الترك بزعامة ملكهم خاقان وغوزك[3] كما حارب اشرس اهل سمرقند وكان اشرس قد دعا أهل الذمة الى الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فاجابوا الى ذلك فلما اسلموا ورأى انكسار الخراج عدل عن قراره ورأى ان يمتحن الناس وانهم لم يسلموا رغبة وانما دخلوا الاسلام تعوذا من الجزية فامتحنهم بالختان واقامة الفرائض وقراءة القرآن واعاد الجزية على كثير منهم فثاروا به وحاربوه فانتصر عليهم[4] .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٤٤

(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ١٨٦

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢١٢

(٤) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ١٩٦

هذه السياسة الشاذة دفعت بالحارث بن سريج وهو احد قادة الفتح العربي وقد شارك في كثير من المعارك الا انه دعا الى مخالفة بني امية وسود راياته وكان يرى رأي المرجئة[1] وكانت دعوته ان يدعوهم الى الكتاب والسنة وللرضى[2] فانظم اليه عدد كبير من قبائل العرب من الازد وتميم وعدد من دهاقين الترك واستطاع دحر جيوش الدولة في معارك عدة حتى وصل مرو عاصمة خراسان يساعده في ذلك أهل البلاد الذين مالوا اليه اذ كانوا يخلون المدن قبل وصوله اليها[3] الا ان والي خراسان عاصم بن عبدالله استطاع عند مرو مقاتلة الحارث ابن سريج والانتصار عليه فقتل وغرق عدد كبير من اتباعه وتفرق عنه اصحابه من العرب والدهاقين ثم تولى خراسان اسد بن عبدالله القسرى فلاحق الحارث بن سريج واستطاع اضعاف امره واتخذ اسد بن عبدالله مدينة بلخ مركز له ليكون اقرب الى مناطق القتال الا ان الحارث ابن سريج ظل ملخلفا للدولة الاموية حتى خلافة يزيد الناقص الذي امنه واعاد اليه ما اخذ من امواله وولده .

بلاد الهند :

كان اهل الهند قد اقبلوا على الاسلام في خلافة عمر بن عبدالعزيز وتسموا بأسماء عربية ولكنهم سرعان ما ارتدوا عنه في خلافة هشام بن عبدالملك بسبب سوء الادارة وثأروا بالمسلمين فحاربهم عامل الهند سنة ١٠٧هـ الجنيد بن عبدالرحمن فقتل ملكهم جيشيسه واخاه صصه فارتد اهل الهند جميعا فنقل هشام الجنيد الى عمل خراسان وولى محله ولاة آخرين ولكنهم لم يستطيعوا تثبيت الحكم العربي فاذى ذلك الى خروج المسلمين من هذه البلاد[4] .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٢٣
(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٢١٩
(٣) الطبري ـ الامم والملوك ج ٨ ص ٢٢٣
(٤) ابن الاثير ـ الكامل ج ٢ ص ١٣٤

بلاد مصـــر :

تعرضت بلاد مصر لقسوة الولاة وسوء تصرفهم مخالفين بذلك سياسة عمر بن عبدالعزيز فزيدت عليهم الضرائب فثار القبط والفوا جيوشا حاربت الدولة ولكن هشام استطاع اخماد ثورتهم وقتل اناس كثير منهم[1] .

بلاد المغرب وثورة البربر :

ثار البربر وامروا عليهم رجلا خارجيا اسمه ميسرة السقا لان أمير المغرب اساء السيرة واراد ان يخمس البلاد فاستطاع البربر احتلال طنجه وبويع ميسرة بالخلافة ثم قتل ميسرة قتله اصحابه بعد ان فشل في حربه مع والي المغرب ثم ولى الخوارج امرهم خالد بن حميد الزناني فانتصر البربر على العرب في وقعة الاشراف اذ قتل فيها عدد كبير من العرب فثار الناس وانتفضت البلاد مما ادى الى ازدياد ثورات الخوارج فاحـــرزوا انتصارات عدة على الجيوش الاموية الا ان حنظلة الكلبي استطاع الانتصار على أقوى زعيم خارجي هو عبدالواحـــد ابن يزيد الهواري في معركة الاصنام قرب مدينة القيروان وكان قتالا شديدا انتهى بنصر العرب وقتل زعيم الخوارج وقيل ان عدد القتلى بلغ ١٨٠ الف مما يدل على عظم هذه الثورة التي ثارت في شمال افريقيا[2] .

الفتوح في خلافة هشام :

نشط العرب في عهد هشام في شن الغارات على جبهات متعددة من بلاد الترك وارمينيا وبلاد الخزر والاندلس وفي البحر الا ان هـــذه الغارات والغزوات لم تضف بلادا جديدة وانما حافظت على حدود الامبراطورية العربيـــة .

برز في عهد هشام قواد كبار كان لهم الفضل في تحقيق انتصارات

---

(١) المقريزي ـ الخطط ج ١ ص ٧٩

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٢٣

رائعة • ففي بلاد الترك برز اسد بن عبدالله القسرى الذي وصل حدود الصين كما برز عدد من القادة ابرزهم نصر بن سيار •

وفي سنة ١٠٥هـ هاجم الجراح بن عبدالله الحكمي والي الجزيرة بلاد ارمينيا حتى جاز بلنجر وحارب الخزر وهم قوة جديدة ظهرت على مسرح المعارك العسكرية وقد استطاعوا قتل الجراح بن عبدالله الحكمي وقتلوا عددا كبيرا من المسلمين حتى طمع هؤلاء ببلاد المسلمين فتوغلوا حتى قاربوا الموصل فارسل هشام جيشا بقيادة سعيد الحرشي فانتصر عليهم في معركة اردبيل وفك الاسرى وفيهم أولاد الجراح الحكمي واهل بيته ثم انتصر على الخزر في معركة أخرى على نهر البيلقان وكان نصرا عظيما قضى عليهم وكسر شوكتهم[١] •

وفي بلاد الروم نشطت الصوافي والشواتي وكانت غزوات المسلمين سنويا لهذه البلاد حتى وصلوا قونيه وسط بلاد آسيا الصغرى •

كما غزا المسلمون بلاد السودان فغنموا غنائم كثيرة[٢] • وفي بلاد الاندلس توقف تقدم العرب فقد خسروا معركة بلاط الشهداء وقتل قائدهم عبدالرحمن الغافقي[٣] •

وفي البحر نشطت المعارك فنزل المسلمون قبرص كما حاولوا احتلال صقلية[٤] •

وفاة هشـــام :

مات هشام بالذبحة سنة ١٢٥هـ بعد ان قضى عشرين سنة قال الاشياخ اديل الشرف وذهبت المروءة وذلك عند وفاة هشام[٥] •

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٠٨
(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢١٥
(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢١٥
(٤) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ١٩
(٥) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٢

الوليد بن يزيد بن عبدالملك

١٢٥هـ ـ ١٢٦هـ

بويع للوليد بن يزيد بن عبدالملك بالخلافة سنة ١٢٥هـ وامه بنت محمد بن يوسف الثقفي اخي الحجاج وعمره اربع وثلاثون سنة وكان أبوه يزيد قد بايع لاخيه هشام لان ابنه الوليد كان صغيرا وقد حاول هشام تنحيته عن الخلافة وكان يزدرى به ويحقره يساعده في ذلك سلوك الوليد الذي شغف باللهو والمجون والعبيد والشراب[١] . وفي ايامه خرج يحيى ابن زيد بن علي بن الحسين بالجوزجان من بلاد خراسان منكرا للظلم وما عم الناس من الجور فسير اليه نصر بن سيار امير خراسان جيشاً قضى عليه وحمل رأسه الى الوليد بن يزيد الذي نصبه على رمح اما جسمه فقد صلب هناك[٢] .

كان أول عمل قام به انه ضيق على أولاد هشام واحصى اموالهم واخذ عمال هشام وحشمه وقسا في معاملتهم ليثأر لكرامته التي كانت هدفا لانتقادات هشام والتشهير به[٣] . ثم انه سار على سياسة والده يزيد بن عبدالملك في الميل الى القيسية وابعاد اليمانية فاسلم خالد القسرى الى يوسف بن عمر الذي نفذ فيه حكمه فقتله .

ذكر الطبري وصفا لعملية قتل خالد القسرى بعد ان نال من الوليد فلما سلمه الى يوسف بن عمر نزع ثيابه ودرعه عباءة ولحفه باخرى

---

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٥٢
(٢) المسعودي ـ مروج الذهب ج ٣ ص ٢٢٥
(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٥٨

وحمله في محمل بغير وطاء فلما خرج من معسكر الوليد بسط عليه وعذبه عذابا شديدا وخالد لا يتكلم ثم ارتحل به حتى وصل الحيرة فدعا به فبسط عليه العذاب وبقى فيه يومان ثم دعا يوسف بن عمر بعود فوضع على قدميه ثم قامت عليه الرجال حتى كسرت قدماه فما تكلم ولا عبس ثم على ساقيه حتى كسرتا ثم على فخذيه ثم على حقويه ثم على صدره حتى مات فما تكلم ولا عبس[1] . فحز هذا في نفوس اليمانية واشتدت نقمتهم عليه[2] .

ثم عكف على البطالة وحب القيانة والملاهي والشراب ومعاشقة النساء فارسل الى المدينة المنورة فحملوا له المغنين وامر ان يدخلوا المعسكر ليلا وكره ان يراهم الناس كما قرب اليه العشاق والندماء ومنهم شراعة احد مجن الكوفة وكان هو شاعرا مغنيا[3] كما كان ولوعا بالخيل وحلبات السباق الا انه من ناحية أخرى فقد اجرى على زمني[4] اهل الشام وعميهم وكساهم وامر لكل انسان منهم بخـــادم واخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم وزاد الناس في العطاء عشرات ثم زاد اهل الشـام بعد العشـــرة عشـــرات[5] .

كان سلوك الوليد اللاهي الماجن قد سهل على اعدائه الطعن عليـه فثقل على الناس ورماه بنو هشام بن عبدالملك وبنو الوليد بن عبدالملك بالكفر وغشيان امهات اولاد ابيه وقالوا قد اتخذ مائة جامعة وكتب على كل جامعة اسم رجل من بني امية ليقتله بها ورموه بالزندقة وكان من اشدهم فيه قولا يزيد بن الوليد بن عبدالملك وكان الناس الى قوله اميل لانه كان يظهر النسك ويتواضع ويقول ما يسعنا الرضا بالوليد حتى حمل الناس على

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٩ ص ٢١
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٥٢
(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٥٧
(٤) زمني ـ الذين لازمهم المرض
(٥) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٥٨

الفتك به[1] وقد التف حوله اليمانيون الناقمون عليه لقتل خالد بن عبدالله القسرى وكانوا يشكلون اكثر جند الشام وكان منصور بن جمهور على رأس تلك الحركة الا ان يزيد الناقص مع هذا كله لم يجد من بني امية تأييدا لعزمه في الثورة على الوليد وحذروه ، ان تكون هذه بداية لهلاك بني امية اذ لم يحدث ان ثار جند الشام على خلفاء بني امية طوال فترة دولتهم الا ان يزيد بن الوليد الذي اشتهر فيما بعد بالناقص لم يأخذ بنصيحة أفراد البيت الاموي بل عزم على الثورة يشجعه في ذلك الحاح زعماء اليمانية فثار في دمشق واستولى على الاموال وفرقها بين اهلها ثم ارسل جيشا الى البخراء مركز الوليد قرب تدمر فحاول الوليد مفاوضة مهاجميه واقناعهم بخطأ موقفهم واخرج اليهم يزيد بن خالد القسرى الذي كان محبوسا ليتوسط بينهم ولكن يزيد انضم الى الثوار كما انفض من حول الوليد عدد من مؤيديه من أفراد البيت الاموي فلما لم يجد بدا من الحرب خرج ومعه القيسية فقاتل فهزم فدخل قصره ليحتمي به الا ان اعداءه دخلوا عليه وذبحوه سنة ١٢٦هـ فحمل رأسه الى يزيد الذي نصبه على رمح وطاف به شوارع دمشق[2] . وهذه أول ثورة يمانية على خليفة أموي وكأنها بداية لتلك الثورات التي سنشهدها فيما بعد والتي عجلت بسقوط الدولة الاموية .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٩ ص ٣

(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٩ ص ١٤

يزيد بن الوليد بن عبدالملك

بويع يزيد بن الوليد بن عبدالملك سنة ١٢٦هـ وامه ابنه يزدجرد بن كسرى سباها قتيبة بن مسلم بخراسان وبعث بها الى الحجاج فبعث بها الحجاج الى الوليد بن عبدالملك فاتخذها فولدت له يزيد الناقص ولم تلد غيره[١] وهو اول من ولى الامر وامه ام ولد اي انها غير عربية[٢] .

سمي الناقص لانه نقص الزيادة التي كان الوليد زادها في اعطيات الناس ورد العطاء الى ما كان أيام هشام بن عبدالملك[٣] .

كانت ثورة يزيد على الوليد أول حدث من نوعه حدث في خلافة الامويين اذ لم يحدث ان ثار أحد من أفراد البيت الاموي على أي خليفة من خلفائهم فلما بايعه الناس خطب فيهم خطبة برر فيها قتله الوليد بن يزيد وانه ما فعل ذلك الا غضبا لله ودينه . وكان ذا دين وورع يظهر النسك والتواضع[٤] وكان يرى رأي القدرية ويقول بقول غيلان الدمشقي في القدر أي الذي يقول بقدرة الانسان في عمله وانه خالق الافعال ويقدر خيره وشره وهو نفسه مذهب المعتزلة[٥] .

اعتمد يزيد الناقص على اليمانية وفرق فيهم الصلات والجوائز وابعد القيسية وكان ساخطا عليهم قال لولا انه ليس من شأني سفك الدماء لعاجلت قيسا فوالله ما عزت قيسا الا ذل الاسلام[٦] . فولى منصور بن جمهور وهو

---

(١) ابن عبد ربه – العقد الفريد ج ٤ ص ٤٦٤
(٢) المسعودي – مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٤
(٣) ابن الاثير – الكامل ج ٤ ص ٢٦٩
(٤) ابن الاثير – الكامل ج ٤ ص ٢٦٤
(٥) المسعودي – مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٤
(٦) الطبري – الامم والملوك ج ٩ ص ٢٧

يماني وزعيم الثورة على الوليد بن يزيد العراق وعزل عنها يوسف بن عمر الثقفي فهرب يوسف بن عمر وانجه الى دمشق فارسل اليه يزيد الناقص قوة للقبض عليه فعرض رجل من نمير ليوسف فقال يا ابن عمر انت والله مقتول فاطعني وامتنع قال لا قال فدعنـ اقتلك انا ولا تقتلك هذه اليمانية فتغيظنا بقتلك الا انه ابى ذلك ثم القى القبض عليه وسيق الى يزيد الناقص فحبسه ثم قتل في سجنه قتله يزيد بن خالد بن عبدالله القسرى انتقـــاما لابيـه[1] .

اما في خراسان فقد امتنع اميرها نصر بن سيار على يزيد الناقص فلم يمتثل لأمر منصور ابن جمهور والى العراق مما ساعد على وقوع الاختلاف في خراسان بين اليمانية والمضرية وقد حاول نصر بن سيار تجنب الاقتتال فحبس الكرماني زعيم اليمانية الا ان الكرماني استطاع الهرب من سجنه فاجتمعت حوله اليمانية وانقسم الناس الى فئتين متصارعتين يمانية ونزارية[2] فعمت الفوضى واضطرب حبل الامن وثارت الفتن مما دفع يزيد الى عزل والي العراق منصور بن جمهور وتولية عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز محله وكانت غايته ان يطمأن أهل العراق اليه لميلهم الى ابيه وقد سار معهم سيرة عادلة واعطاهم الارزاق والعطاء[3] .

كما واستطاع ان ينهي ثورة الحارث بن سريج الذي كان ثائرا على الدولة منذ خلافة هشام وبقى اثنتى عشرة سنة في بلاد الشرك فاستطاع ان يحصل له على الامان من الخليفة يزيد بن الوليد فرحل الى خراسان واعيدت اليه ما اخذ من امواله وولده[4] .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٧٢
(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٧٦
(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٧٢
(٤) الطبري ـ الامم والملوك ج ٩ ص ٤٣

اما في بلاد الشام نفسها فقد اضطرب امر بني امية وهاجت الفتنة فكان من ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبدالملك بعد قتل الوليد بعمان وكان قد حبسه الوليد بها فخرج من الحبس واخذ ما كان بها من الاموال واقبل الى دمشق وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر .

وفي حمص وهي احدى مدن بلاد الشام الكبرى واحد مراكز الاجناد فقد اغلق اهلها أبواب مدينتهم بعد مقتل الوليد بن يزيد واقاموا النوائح والبواكي عليه وعاقبوا كل من شارك في قتله واجتمعت لهم الاجناد على الطلب بدم الوليد وساروا الى دمشق يريدون فتحها وانزال العقاب بمن قتل الوليد الا ان يزيد الناقص ارسل اليهم قوة انتصرت عليهم فبايعوا له .

وفي فلسطين ثار اهلها على يزيد الناقص كما ثار اهل الاردن الا انهما اضطروا الى بيعة يزيد عندما ارسل اليهم قوة اجبرتهم على ذلك[1] .

وفي شمال افريقيا ثار عبدالرحمن بن حبيب واستولى عليها مخالفا بذلك الخلافة الاموية وبقى حتى خلافة المنصور الخليفة العباسي . ففي سنة ١٣٧هـ ثار عليه جماعة من البربر والعرب فقتلوه فكانت ولايته لافريقيا عشر سنين[2] .

توفي يزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ وكانت ولايته ستة أشهر فقام اخوه ابراهيم بالامر من بعده فبايعه الناس بدمشق أربعة أشهر ثم خلع وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط واختلاف الكلمة وسقوط الهيبة[3] .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٧١

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٧٩

(٣) المسعودي ـ مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٣

مروان بن محمد

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وسمي الجعدي نسبة الى مؤدبه ولقب بالحمار لصبره على مقاتلة أعداء الدولة[1] .

كان مروان شيخ بني امية وكبيرهم وكان ذا أدب كامل ورأي فاضل تولى بلاد الجزيرة وارمينيا لهشام والوليد بن يزيد . فلما قتل الوليد بن يزيد التفت حوله المضرية وحرضوه على الثأر له من اليمانية ويزيد الناقص فاستعد مروان بجنوده من تميم وقيس وكنانة وسائر قبائل مضر وسار نحو مدينة دمشق[2] . وفي طريق تقدمه أنضم اليه أهل حمص الناقمين على يزيد الناقص فالتقى مروان بسليمان بن هشام بن عبدالملك وهو على رأس جيش كبير أرسله ابراهيم بن الوليد الذي خلف يزيد الناقص فدارت بينهما معركة هائلة انتصر فيها مروان واقتص من قتلة الوليد بن يزيد وهرب سليمان بن هشام الى دمشق ومعه يزيد بن خالد القسري فانتهبا الاموال وقتلا ابني الوليد كما قتلا يوسف بن عمر ثم هربا من دمشق ومعهم القبائل اليمانية فدخل مروان دمشق وتغيب ابراهيم بن الوليد وثار موالي الوليد بن يزيد وهاجموا دار عبدالعزيز بن الحجاج بن عبدالملك فقتلوه ونبشوا قبر يزيد الناقص . وصلبوه على باب الجابية من أبواب دمشق فاعلن مروان بن محمد خلافته وبايعه الناس سنة ١٢٧هـ ثم عاد الى حران مركزه في الجزيرة واتاه ابراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فامنهما حيث خلع ابراهيم نفسه من الخلافة[3] .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٣٢٣

(٢) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٨٤

واجه مروان بن محمد موقفـــا خطيرا تمثل في الصراع بين القبائل القيسية واليمانية وظهور ثورات عدة خارجية وعلوية وعباسية فقد عمت الفوضى وساد الاضطراب ارجاء الامبراطورية العربية .

بلاد الشـــام :

كانت بلاد الشام عماد البيت الاموي وذخيرتهم التي يعدونها لاعدائهم ولم يحدث ان ثاروا على الخلافة الاموية أو انشقوا عليها الا ان سياسة الخلفاء المتأخرين في التعصب للمانية تارة أو للقيسية تارة أخرى ودق اسفيناً شق وحدة العرب في بلاد الشام فثار الصراع الدامي الذي اشتد في خلافة مروان بن محمد الذي اعتمد على القبائل المضرية ووقفوا معه ليثأروا لابن اختهم الوليد بن يزيد من يزيد الناقص واليمانية وكان الوليد بن يزيد قد وتر اليمانيه بمقتل خالد بن عبدالله القيسري حيث سلمه الى يوسف بن عمر والي العراق وزعيم القبائل القيسية وقتله[٢] .

فقد ثار أهل حمص على مروان بعد بيعته بثلاثة أشهر بتحريض من قبائل كلب البوادي والحواضر فحاصرهم مروان وقتل عدد كبير منهم وهدم سور المدينة ثم ثار أهل الغوطه قرب دمشق بزعامة يزيد بن خالد القسري فأرسل اليهم مروان قوة قيسية فحرقوا المزه وهي من قرى اليمانية وقتلوا يزيد بن خالد القسري كما ثار أهـــل فلسطين فقضى مروان على ثورتهم الا ان القبائل اليمانية لم تستسلم فالتفت حول سليمان بن هشام الذي كان مروان قد امنه فثار عليه وخلعه فحاربه مروان وانتصر عليه في معركة خساف فسار سليمان بن هشام بعد هزيمته هذه الى حمص فتحصن بهـا فلحق به مروان وحاصرهم مدة عشرة أشهر ثم تم له فتحها اما سليمان ابن هشـــام فقد هرب الى تدمر ومنها الى العـــراق وانظم الى الضحاك

---

(١) الطبري – الامم والملوك ج ٩ ص ٦٢

الخارجي[1] .

استطاع مروان القضاء على هذه الثورات فاستقامت له بلاد الشام وجمع حوله أهل بيته من زعماء البيت الاموي فتجه الى العراق للقضاء على الثورات هناك .

قامت ثورة علوية بزعامة عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الذي جاء زائر لعبدالله بن عمر أمير العراق ولم تكن له نية في الثورة ولكن الشيعة التفوا حوله وزينوا له الثورة وحرضوه على ان يطلب الامر لنفسه واظهروا له ان بني هاشم اولى بهذا الامر مستغلين ضعف عبدالله بن عمر وثوران العصبية بين القبائل وضعف سيطرة عبدالله بن عمر على الامور فبايعه عدد من زعماء اليمانية من مؤيدي يزيد الناقص وعلى رأسهم منصور بن جمهور وكذلك الزيدية وهم اتباع زيد بن علي[2] ولكنهم لم يثبتوا معه عندما التقى بعبدالله بن عمر وبقي في قلة من اصحابه فهرب الى المدائن ثم خرج بمن بايعه الى الجبال[3] فارسل اليه مروان بن محمد جيشا قويا فهرب عبدالله بن معاوية الى خراسان وقد تناهت اليه اخبار ابي مسلم الذي كان يدعو الى الرضا من آل محمد عله ان يجد عنده التأييد والنصر فشخص اليه .

اما جند الكوفة فكانوا فريقين متخاصمين اليمانية بزعامة عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز الذي لم يعلن بيعته لمروان بن محمد وابى ان يسلم العراق لابن سعيد الحرشي الذي كان مروان قد ارسله واليا عليها والمضرية بزعامة ابن سعيد الحرشي فكان القتال دائرا بينهم حتى دهمهم الخوارج بزعامة الضحاك بن قيس الخارجي فاجتمعوا على حربه ولكنهم انهزموا امام

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٨٦
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٩ ص ٥٠
(٣) الاصفهاني ـ مقاتل الطالبين ص ١٦٧

الخوارج فخرج عبدالله بن عمر وابى سعيد الحرشي ومن معهم من يمن ومضر واتجهوا الى واسط فعادت الحرب بينهم ثم عادا فاتفقا عندما اقترب منهم الضحاك الخارجي الا ان بعض اليمانية رفضت هذا الاتفاق فخرج منصور بن جمهور زعيم اليمانية وانظم الى الخوارج[1] .

الخـــوارج :

ثار الخوارج سنة ١٢٧هـ بزعـامة الضـحاك بن قيس الشيباني في الجزيرة في أرض الموصل فسار منها الى العراق لما بلغه من تشتيت الامر واختلاف أهل الشام وقتال بعضهم بعضـا فاجتمع مع الضحاك نحو الف رجل وتوجه الى الكوفة ثم لحق به ثلاثة آلاف من أهل الجزيرة والموصل والقتال دائر بين أهـل الكوفة فسـهل على الضحاك الانتصار على اليمانية والمضرية الذين اتفقوا على حربه فهرب المنهزمون ولحقوا بواسط فسيطر الضحاك على الكوفة ثم خرج منها متجها الى واسـط فانسحب ابن سعيد الحرشي الى الشام ، اما ابن عمر فعقد اتفاق مع الضحاك وحرضه على ان يذهب الى قتال مروان فتمكن الضحاك من السيطرة على العراق ومد نفوذه حتى اطراف الجزيرة في الموصـل التي سقطت بين يديه وطـرد عامل مروان منها .

اتجه مروان بن محمد للقضاء على الضحاك الخارجي فولى امر العراق يزيد بن عمر بن هبيرة وعزل عنها عبدالله بن عمر فسار ابن هبيرة نحو الكوفة وقبض على عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز وارسله الى مروان فحبسه مروان في حران وبقي حتى مات والتقى بالضحاك الخارجي فهزمه ثم لحق به الى البصرة فهزم الخوارج أيضا فاضطر الضحاك الى الاتجاه نحو الجزيرة فسار اليه مروان بن محمد والتقى به في معركة كفرتوثا من أرض الموصل

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٩ ص ٦٢
(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٩٦

فانتصر عليه وقتله فبايع الخوارج الخيبري وكان معه سليمان بن هشام فاستطاع مروان قتله بعد معارك مريرة فتزعم الخوارج شيبان الحروري وكان معه سليمان بن هشام أيضا فدارت الحرب بين الجانبين وبعد معارك طاحنة دامت عشرة أشهر انتصر مروان فهرب شيبان الى بلاد فارس ثم الى عمان حيث قتل هناك ، اما سليمان بن هشام فقد هرب الى السند وبقي الى ان ولى العباسيون الخلافة فقربه أبو العباس السفاح ثم قتله مع عدد من أفراد البيت الاموي[1] .

خراسان :

استقرت في خراسان قبائل متعددة منذ ان خضعت للحكم العربي وازداد اهتمام الامويين بهذه البلاد لانها تحتل الخط الاول للدفاع عن بلاد المسلمين وكذلك لانها مركزا لانطلاق الفتح العربي الى بلاد الترك عموما .

كانت القبائل العربية من يمن ومضر وقبائل أخرى متعددة وقد بدأ الشقاق والاختلاف بين القبائل منذ خلافة يزيد بن عبدالملك الذي ضرب اليمانية بشخص يزيد بن المهلب ثم ازداد الخصام والفرقة في خلافة هشام بن عبدالملك الذي عمل على حفظ التوازن بين الفريقين المتخاصمين ولكنه من ناحية أخرى زاد في شقة الخلاف باتباعه سياسة ابدال الولاة مرة من يمن وأخرى من مضر وكان الوالي يقرب اتباعه ويبعد مخالفيه فاثار ذلك الحقد والكراهية بين الجانبين كما زاد في حدة الخصام مقتل خالد القسري حيث سلمه الوليد بن يزيد الى عدوه زعيم القيسية يوسف بن عمر فقتله .

كان زعيم المضرية نصر بن سيار وزعيم اليمانية جديع بن علي الازدي الذي عرف بالكرماني لان ولد بكرمان[2] .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٩ ص ٧٦

(٢) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص ٢٣٦

تطور هذا الحقد وهذه الفرقة الى اشهار السيف بعد هروب الكرماني من سجن نصر بن سيار سنة ١٢٦هـ .

زاد الامور تعقيدا قدوم الحارث بن سريج بامان يزيد الناقص الذي دعا من قبل الى تخليص المضطهدين مستعينا بالترك الذين لجأ اليهم وبقى مخالفا الدولة اثنتي عشرة سنة .

حاول نصر بن سيار ان يستميل اليه الحارث بن سريج فعرض عليه الاموال والولايات ولكنه ابى ان يقبل شيئا يمنعه زهده وتنسكه من ذلك وكان نصر يطمع فيه لانه مضري ولكن الحارث بن سريج طلب الى نصر بن سيار بالشورى والاصلاح وكان قوله لنصر (اني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ولا من تزويج عقائل العرب في شيء وانما اسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال اهل الخير والفضل فان فعلت ساعدتك على عدوك[١] . ثم ما لبث الحارث ان ثار على نصر بن سيار بما انضم اليه من زعماء القبائل العربية فاجتمع حوله ثلاثة آلاف مقاتل وكان خروجه غضبا لمسلك نصر معه قال له خرجت من هذه الدنيا منذ ثلاث عشرة سنة انكارا للجور وانت تريدني عليه[٢] .

خشى نصر ان يجتمع عليه الحارث والكرماني فخرج من مرو فدخلها الكرماني وهدم بيوت المضرية ولكن الخلاف وقع بين الكرماني والحارث ابن سريج فقتل الحارث بن سريج سنة ١٢٨هـ .

ثم نشب القتال بين الكرماني ونصر بن سيار فخرج الحيان يقتتلان وحفر كل حي منهم خندقا فسمي ذلك المكان بالخندقين فمكثوا كذلك عشرين شهرا حتى ظهور الدعوة العباسية .

---

(١) الطبري ـ الامم والملوك ج ٩ ص ٥٣
(٢) الطبري ـ الامم والملوك ج ٩ ص ٥٣

الجزيرة العربية :

ظهر في الحجاز زعيم خارجي اسمه حمزه الخارجي فاستولى على المدينة المنورة وكان يدعو الى خلاف مروان وفي اليمن ظهر شخص آخر اسمه عبدالله بن يحيى المعروف بطالب الحق ودعا أيضا خلاف مروان فاتفق الاثنان وبايع احدهم الآخر بالخلافة فارسل مروان بن محمد جيشا قتل حمزه الخارجي لما حاول مهاجمة بلاد الشام[1] .

مصـــر :

اثار مروان أهل مصر وجندها عليه بسبب تغيير الولاة فقد حاول عزل عاملها حفص بن الوليد الحضرمي ولكنه واجه معارضة من جندها فابقاه على كره منه ثم عزله وولى أمير آخر اسمه العجلان الباهلي الذي قتل حفص بن الوليد بعدها ثار القبط واضطربت الاحوال[2] .

المغرب والاندلس :

في المغرب حدث خلاف بين واليها حنظلة بن صفوان الكلبي ورجل آخر اسمه عبدالرحمن بن حبيب وكان حنظله يكره القتال بين المسلمين فتنازل عن عمله ورحل الى الشام فتولى الامر عبدالرحمن بن حبيب وتمكن من اسكات المعارضة اليمانية وامسك بزمام الامور[3] .

اما في بلاد الاندلس فقد ثار الصراع بين اليمانية والمضرية فثارت المضرية بزعامة الصميل بن حاتم على أمير البلاد ابا الخطار اليماني سنة ١٢٧هـ فقبض على ابي الخطـــار وسجن ثم اتفقوا على تولية يوسف بن عبدالرحمن الفهري ولكن ابا الخطار هرب من سجنه واستعان باليمانية فتقابل الطرفان قرب قرطبة وتقاتلا اياما فغلبت اليمانية على امرها واسر

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٣١٤
(٢) المقريزي ـ الخطط ج ٢ ص ٨٢
(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٧٨

ابو الخطار فقتله الصميل بن حاتم وبقي يوسف بن عبدالرحمن الفهري في امارة الاندلس الى سقوط دولة بني امية[1] .

الدعوة العباسية ونهاية الدولة الاموية :

قامت الدولة الاموية نتيجة لذلك الصراع بين علي بن ابي طالب (ر) ومعاوية بن ابي سفيان وقد نجح معاوية في الوصول الى الخلافة واقام دولة بني امية وخلال حكم الامويين قامت ثورات علوية ترمي الى نقل الخلافة الى البيت العلـــوي يؤيدهم في دعوتهم أهل الكـــوفة ومن شايعهم في حب آل البيت .

اما العباسيون فلم تشر الاحداث الى اتجاههم السياسي فالعباس عم الرسول (ص) كان موقفه تأييد لعلي بن أبي طالب في طلب الخلافة ولم يطلبها لنفسه ، لعل ذلك عائد الى تأخره في اعتناق الاسلام فقد اسلم قبل فتح مكة بقليل أي في السنة الثامنة للهجرة اما ابنه عبدالله بن عباس فقد وقدته العبادة وانصرف الى العلم واهتم بجمع الحديث النبوي حتى نبغ فيه فعرف بالبحر لعلمه ، اما علي ابنه فكان يعرف بالسجاد لتعبده وكان يقيم بالحميمة من بلاد الاردن ولم تشر المصادر انه سعى الى الخـــلافة أو طالب بها[2] .

اما مبدأ سعيهم الى الخلافة فقد ظهر على يد محمد بن علي بن عبدالله بن عباس الذي اتصل به أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفيـــة ورئيس الدعوة الشيعية المعروفة بالكيسانية أو الهاشمية نسبة اليه فقد كان أبو هاشم في زيارة لسليمان بن عبدالملك فلما رأى سليمان علمه وفصاحته خافه فوضع له من دس له السم فلما احس أبو هاشم بالسم قصد الحميمه وكان بها محمد بن علي فاوصى بأن يرثـــه في امامة الشيعة وامر اتباعـــه بالطاعة له .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٣٠٨

(٢) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٢٢٦

عمل محمد بن علي على تنظيم الدعوة تنظيما سريا وقصد الى الاطاحة بالحكم الاموي وكانت دعوته الرضا من آل محمد[1] ليلبس الامر على الامويين كما امر دعاته ان يتصلوا بالناس ويبينوا فضل بني هاشم وظلم بني امية[2] واشاعة احاديث تؤيد حقهم في الخلافة وكان له مجلس يشرف على تنظيم الدعوة من اثني عشر نقيبا اما الدعاة فقد بلغ عددهم اكثر من سبعين رجلا وقد تعرض هؤلاء الدعاة للقتل والتمثيل وقطع الايدي والارجل فقد تعقب ولاة بني امية على خراسان هؤلاء وعاقبوهم بأشد أنواع العقاب الا انهم لم يتهاونوا أو ييأسوا وقد نجح هؤلاء في جلب الموالي الناقمين على بني أمية خاصة والعرب عامة ذلك الحقد المتوارث والمنبعث من هزيمة هؤلاء امام العرب واصابهم من ذل لخضوعهم للحكم العربي فتعلقوا بهذا الامل لعلهم يصلون الى غايتهم وهي استئصال الحكم العربي من الوجود .

شعر دعاة بني العباس بهذا الشعور الذي استحوذ على الموالي من الفرس بخاصة فنشطوا في بث الدعوة بين هؤلاء وركزوا جهودهم في هذا القطر البعيد عن مركز الخلافة مما جعل الامويين يخافون من حدوث انقلاب في خراسان فكانوا يرون انهم يقدرون ان يرتقوا أي فتق الا من خراسان[3] .

عمل ابراهيم بن محمد الذي تولى قيادة الدعوة العباسية بعد وفاة والده سنة ١٢٤هـ على ان تكون خراسان مركز للدعوة فولى قيادة اتباعه ابا مسلم الخراساني وقد زوده بنصائح في سبيل نصرة آل البيت وان يفرق بين طوائف العرب فيضرب بعضا ببعض ثم ينقض على كل من يتكلم العربية

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٣٠٧

(٣) الدينوري ـ الاخبار الطوال ص ٣٣٩

(٣) ابن الاثير ـ الكامل ج ٤ ص ٣٢٣

فيقتله[1] فلما قوى امر ابي مسلم اظهر دعوته في شهر رمضان سنة ١٢٩هـ ورفع الاعلام السود فأصبح السواد منذ ذلك الوقت رمزا للدولة العباسية .

استطاعت جيوش العباسيين الانتصار على قوى الامويين فاستولوا على خراسان ثم اتجهوا الى العراق فالتقوا مع مروان بن محمد في معركة الزاب الاعلى سنة ١٢٣هـ-٧٥٠م فدارت معركة رهيبة مدة يومين هزم فيها مروان وغرق كثير من جيشه وكان سبب هزيمة مروان انه لم يكن يسيطر على طوائف الجيش فاذا طلب الى القيسيين الخروج للقتال قالوا له لتخرج اليمانية واذا طلب من اليمانية قالوا لتخرج القيسية حتى لم يعد باستطاعته الاشتباك في الحرب فدارت الدائرة عليه وهزم وفر الى الشام والعباسيون يلاحقونه حتى امسكوا به في قرية بوصير في صعيد مصر فقتلوه وبمقتله انتهت الدولة الاموية وقامت الدولة العباسية .

---

(١) ابن الاثير - الكامل ج ٤ ص ٢٩٥

ثبت الكتاب

الجزء الاول

	الصفحة
١ ـ ابو بكر الصديق	٣
٢ ـ بيعة ابى بكر	٤
٣ ـ اعمال ابى بكر	٧
٤ ـ حركة الردة	٩
٥ ـ الاسود العنسى	١٠
٦ ـ طليحه الاسدي	١٢
٧ ـ سجاح بنت الحارث	١٣
٨ ـ مالك بن نويره	١٣
٩ ـ مسيلمة الكذاب	١٣
١٠ـ اسباب حركة الردة	١٥
آ ـ التعصب القبلي	١٥
ب ـ الزكاة	١٧
ج ـ ظهر المتنبئين	١٩
د ـ العادات القديمة	٢٠
و ـ قصر المدة بين اسلام القبائل العربية وردتها	٢٠
١١ـ نتائج حروب الردة	٢١

١٢- الفتوحات الاسلامية في خلافة ابي بكر ٢٢
١٣- دولة الفرس الساسانيين ٢٣
١٤- الدولة البيزنطية ٢٤
١٥- الفتوحات العربية ٢٦
١٦- فتح العراق ٢٩
١٧- فتح بلاد الشام ٣٥
١٨- عملية الفتح ٣٦
١٩- الفترة الاولى ٣٧
٢٠- مسير خالد بن الوليد الى بلاد الشام ٣٨
٢١- معركة اليرموك ٣٩
٢٢- نشوب القتال ٤٠
١ - نسب عمر ٤٥
٢ - اسلام عمر ٤٦
٣ - هجرته ٤٦
٤ - عمر مع الرسول ٤٧
٥ - بيعة عمر ٤٩
٦ - الفتوح في خلافة عمر ٥١
٧ - فتح العراق ٥١
٨ - معركة الجسر ٥١
٩ - معركة القادسية ٥٣
١٠- معركة جلولاء ٥٨
١١- اثر الفتح العربي للعراق ٦١

١٢ـ فتح دمشق ٦٥
١٣ـ استكمال فتح بلاد الشام ٦٦
١٤ـ طاعون عمواس وعام الرماده ٦٧
١٥ـ عمر يزور بلاد الشام ٦٨
١٦ـ فتح مصر سنة ٢٠هـ مقدمة ٦٩
١٧ـ معركة نهاوند ونهاية الدولة الساسانية ٧٥
١٨ـ التنظيمات الادارية والمالية ٧٦
آ ـ النظام الاداري ٧٦
ب ـ النظام المالي
الجزية والخراج ٧٩
ج ـ النظام القضائي ٨٣
١٩ـ التقويم الهجري ٨٤
٢٠ـ تدوين الديوان ٨٤
٢١ـ اليهود والنصارى ٨٥
٢٢ـ مقتل عمر ٨٥
٢٣ـ مسألة الشورى وبيعة عثمان بن عفان ٨٦
١ ـ الفتوح في عهد الخليفة عثمان بن عفان ٩٤
٢ ـ القنته على عثمان ٩٧
١ ـ بيعة علي بن ابي طالب ١٠٧
٢ ـ خلافة علي ١٠٩
٣ ـ معركة الجمل ١١٠
٤ ـ وقعة صفين ١١٤

الجزء الثاني

الدولة الاموية

١ ـ الخصائص العامة ١٢٦
٢ ـ مبدأ الوراثة ١٢٨
٣ ـ السياسة العربية ١٢٩
آ ـ الانتصار في الميدان العسكري ١٣٠
ب ـ الانتصار الديني ١٣٠
جـ ـ الانتصار في الميدان اللغوي ١٣٢
٤ ـ السياسة المالية ١٣٤
٥ ـ الصراع الحزبي ١٣٤
٦ ـ الناحية الثقافية ١٣٧
٧ ـ اسماء خلفاء الدولة الاموية ١٣٩
١ ـ معاوية بن ابي سفيان ١٤٠
أ ـ معاوية والخوارج ١٤٨
ب ـ الفتوحات في خلافة معاوية ١٤٩
جـ ـ ولاية العهد ١٥١
٢ ـ يزيد بن معاوية ١٥٣
٣ ـ معاوية الثاني ١٥٤
٤ ـ الحرب الاهلية

أ ـ الموقف بعد وفاة يزيد بن معاوية ١٥٥
ب ـ خلافة مروان بن الحكم ١٥٧
جـ ـ عبدالله بن الزبير ١٥٩
٥ ـ عبدالملك بن مروان ١٦١
١ ـ المشاكل التي واجهت عبدالملك القضاء على التعصب القبلي ١٦٣
٢ ـ فتنة عمرو بن سعيد الاشدق ١٦٤
٣ ـ فتنة المختار بن ابي عبيد المنفعى ١٦٦
٤ ـ ثورة الجراجه في لبنان وتهديد البيزنطيين ١٦٧
٥ ـ القضاء على آل الزبير مصعب وعبدالله ١٦٧
٦ ـ الحجاج بن يوسف الثقفي ١٦٩
٧ ـ موقف الخوارج ١٧١
٨ ـ ثورة عبدالرحمن بن الاشعث ١٧٤
٩ ـ التنظيمات المالية والادارية وتعريب النقد ١٧٨
١٠ـ تعريب الدواوين ١٧٨
١١ـ الفتح في خلافة عبدالملك بن مروان ١٨٠
١٢ـ وفاة عبدالملك ١٨٢
٦ ـ الوليد بن عبدالملك ١٨٣
١ ـ حركة الفتح قتيبه بن مسلم الباهلي وفتح بلاد الترك ١٨٥
٢ ـ فتح بلاد الروم ١٨٦
٣ ـ فتح بلاد الاندلس ١٨٦
٤ ـ فتح بلاد السند ١٨٩

٥ ـ اعماله العمرانية ١٩٠
٧ ـ سليمان بن عبدالملك ١٩٢
١ ـ اعمال الفتح ١٩٤
٨ ـ عمر بن عبدالعزيز ١٩٦
١ ـ سياسته العامة ١٩٨
٢ ـ موقفه من الفئات المعارضة ٢٠٠
٣ ـ سياسته الخارجية ٢٠٠
٤ ـ سياسته المالية ٢٠١
٩ ـ يزيد بن عبدالملك ٢٠٤
١ ـ ثورة يزيد بن المهلب ٢٠٥
٢ ـ الخوارج ٢٠٨
٣ ـ سياسته الداخلية ٢٠٨
٤ ـ وفاة يزيد بن عبدالملك ٢٠٩
١٠ـ هشام بن عبدالملك ٢١٠
١ ـ سياسته الداخلية ٢١٠
٢ ـ خراسان والصراع القبلي ٢١٢
٣ ـ بلاد الترك وثورة الحارث بن سريج ٢١٤
٤ ـ بلاد الهند ٢١٥
٥ ـ بلاد مصر ٢١٦
٦ ـ بلاد المغرب وثورة البربر ٢١٦
٧ ـ الفتوح في خلافة هشام ٢١٦
٨ ـ وفاة هشام ٢١٧
١١ـ الوليد بن يزيد ٢١٨

١٢- يزيد بن الوليد بن عبدالملك ٢٢١
١٣- مروان بن محمد ٢٢٤
١ ـ بلاد الشام ٢٢٥
٢ ـ الخوارج ٢٢٧
٣ ـ خراسان ٢٢٨
٤ ـ الجزيرة العربية ٢٣٠
٥ ـ مصر ٢٣٠
٦ ـ المغرب والاندلس ٢٣٠
٧ ـ الدعوة العباسية ونهاية الدولة الاموية ٢٣١

الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١	وبو	ابو
٤	٢	ليقننه	ليفتنه
٤	١١	يحضه	يخصه
٨	٢٣	ابى بكر	ابو بكر
١٠	٤	ابى نور	ابو ثور
١٣	٥	ملكتا	ملكنا
١٣	١٣	سجاع	سجاح
١٣	١٥	سجاع	سجاح
١٣	١٥	شبيب	شبث
١٣	١٦	الزبيرقان	الزبرقان
١٣	١٨	سجاع	سجاح
١٤	٧	بنى قيم	بنى تميم
١٦	٢٤	العثه	العته
٢٤	٥	اعرش	العرش
٢٦	٢٠	الدولة	الدول
٢٩	٤	اتوشروان	انوشروان
٣٠	١٦	الثانية	الاولى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠	٢٢	يستقيا	يستبقا
٣١	١٩	البس	اليس
٣٤	٢	من	في
٣٥	٤	اختصت	احتضنت
٣٥	٨	القت	الفت
٣٩	١٥	نللاقات	ناقلات
٤١	١٩	اخر	اخو
٤٤	١٥	اخشوتيت	اخشوشنت
٤٥	١٨	مبنى	لبنى
٤٥	١٨	نميم	تميم
٤٧	٢٥	يتخن	يثخن
٥٧	١٨	يحاوالون	يحاولون
٥٨	١٥	جنان	جنات
٥٨	١٧	وقدر	قدر
٧٣	١	الغرماء	الغرماء
٧٦	٢	للاتسباح	للانسياح
٧٧	١١	المصلين	المسلمين
٨١	٢٢	عما	عمال
٨٣	١٤	لانقاذ	لانفاذ
٨٦	١	عبدالله	عبيدالله

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٩	٣	انفار	القاب
٩٢	١٦	لستة	لست
٩٥	٢١	ماخته	فاختة
٩٦	٧	٣٩	٢٩
٩٩	٨	التفاصل	التفاضل
١٠١	٧	تعاقم	تفاقم
١٠٣	٥	مقتل	فمقتل
١٠٣	٢٣	قبض	قيض
١٠٩	٧	الليفه	الخليفة
١١٠	١	اشترطا	اشترطنا
١١٥	١٧	سعون	تسعون
١١٥	١٨	الاعتزاف	الاعتراف
١١٨	١٩	باعداء	يا اعداء
١٤٠	٤	اسقبان	سفيان
١٤٦	١٠	بج	بن
١٤٩	٥	المسورد	المستورد
١٥٠	٢٢	تكون	تكن
١٥٠	٢٢	تقدع	تقدم
١٥١	١	٤٥٣م	١٤٥٣م

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٢	٣	الخص	الخاص
١٥٤	١٣	يستسيفه	يستسفه
١٥٥	١٦	عبدا	تحذف هذه الكلمة
١٥٦	٧	عبيوالله	عبدالله
١٥٨	٥	عبيد بن زياد	عبيدالله بن زياد
١٥٨	١١	الثوابين	التوابين
١٦٠	٨	معويه	معاويه
١٦٠	١٠	مرة	امره
١٦٠	١٢	خلافة الامويين	خلافه للامويين
١٦١	١٤	نائل	ناثل
١٦٥	١٠	يستلسم	يستسلم
١٦٨	٧	واينضم	وينضم
١٦٩	٨	استفناء	استفناء
١٧٨	١٥	عبدالرحمن	عبدالملك
١٨٠	١٦	الملك	عبدالملك

٣٥/١٠٠٠/٢٦/٦/١٩٧٠

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY